الجامعـــــــة الإســـلاميـة – غـزة
شئون البحث العلمي والدراسات العليا
كليـــــــــــة أصـــول الديـــن
ماجستيـــر تفسيـــر وعلـــوم القرآن

The Islamic University–Gaza
Research and Postgraduate Affairs
Faculty of Theology
Master of Interpretation & Quran Sciences

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثاني والأربعين من القرآن الكريم (سورة لقمان الآيات (٢٢-٣٤)، (سورة السجدة)،(سورة الأحزاب الآيات (١-٣٠)

Analytical study of the purposes and objectives of the second party quran from forty (Surah luqman) verses from (22-34) , (sajda) , (al-ahzab verses from (1-30)

إِعدَادُ البَاحِثِ

محمد عزات صالح جحا

إِشرَافُ

الأستاذ الدُكتُور

صبحي رشيد حسن اليازجي

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي التفسير وعلوم القرآن بِكُليةِ أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة

يونيو/٢٠١٦م – شعبان/١٤٣٧هـ

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثاني والأربعين من القرآن الكريم (سورة لقمان الآيات (٢٢-٣٤)، (سورة السجدة)،(سورة الأحزاب الآيات (١-٣٠)

Analytical study of the purposes and objectives of the second party quran from forty (Surah luqman) verses from (22-34) , (sajda) , (al-ahzab verses from (1-30)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	محمد عزات صالح جحا	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:	٢٠١٦/٠٦/٠١	التاريخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza
عمادة الدراسات العليا
هاتف داخلي: 1150

الرقم Ref ...ج س غ/35/...
التاريخ Date ...2013/07/20...

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **محمد زياد محمد أبو هاشم** لنيل درجة الماجستير في **كلية *التجارة*/ قسم إدارة الأعمال** وموضوعها:

الدور الرقابي لوزارة الاقتصاد الوطني على الواردات من المواد الغذائية

وبعد المناقشة التي تمت اليوم السبت 11 رمضان 1434 هـ، الموافق 2013/07/20م الساعة الحادية عشرة صباحاً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. فارس محمود أبو معمر	مشرفاً ورئيساً	.....
أ.د. محمد إبراهيم مقداد	مناقشاً داخلياً	.....
د. محمد جودت فارس	مناقشاً خارجيًا	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *التجارة*/ قسم إدارة الأعمال**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

عميد الدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine fax: +970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 ص.ب. 108 الرمال غزة فلسطين هاتف
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

ملخص الرسالة

تم بحمد الله وتوفيقه إتمام هذه الرسالة، والتي كانت بعنوان: **(الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثاني والأربعين من القرآن الكريم (سورة لقمان الآيات:٢٢-٣٤)، (سورة السجدة)، (سورة الأحزاب الآيات :١-٣٠)**، وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

أما المقدمة: فقد اشتملت على: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهجية الباحث، وخطة البحث.

بينما التمهيد: فقد ابتدأت الحديث فيه عن مفهوم الدراسة التحليلية، للمقاصد والأهداف في السور القرآنية، ثم تناولت الحديث عن تعريف الدراسة التحليلية ومتطلباتها وأهميتها، وتعريف المقاصد والأهداف للسور القرآنية، وأهميتها.

وفي الفصل الأول: تناولت تعريف سورة لقمان، وبيان مقاصدها وفضائلها وأهدافها ومناسبتها، ثم التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف سورة لقمان من آية (٢٢ -٣٤)، وتضمن الحديث عن: تسلية الرسول وتمسك المسلمين بالعروة الوثقى، وتذكير المشركين بدلائل وحدانية الله تعالى وقدرته، والنظر إلى الكون وعجائبه، وبيان حال المشركين في الشدة والرخاء، والأمر بتقوى الله تعالى، وبيان مفاتح الغيب.

أما الفصل الثاني: فتناولت تعريف سورة السجدة، وبيان مقاصدها وفضائلها وأهدافها ومناسبتها، ثم التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف سورة السجدة كاملة، وتضمن الحديث عن: القرآن حق منزل من عند الله وإثبات النبوة، ودلائل التوحيد والقدرة الإلهية، وإثبات البعث وحال المجرمين يوم القيامة، وصفة المؤمنين في الدنيا وجزاؤهم عند ربهم في الآخرة، وجزاء المؤمنين والفاسقين، ووحدة الرسالات وسنن الدعوة، والقدرة على أهلاك الأمم الماضية، وإثبات رسالة التوحيد.

بينما الفصل الأخير: فتناولت تعريف سورة الأحزاب، وبيان مقاصدها وفضائلها وأهدافها ومناسبتها، ثم التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف سورة الاحزاب من آية (١-٣٠)، وتضمن الحديث عن: الأمر بتقوى الله واتباع الوحي والتوكل على الله، وأحكام الظهار والتبني، وأخذ الميثاق من النبيين وسؤال الصادقين، وغزوة الأحزاب والتذكير بنعمة الله وابتلاء المؤمنين، وفضح المنافقين وبيان صفاتهم القبيحة، والرسول هو الأسوة الحسنة وأصحابه هم النموذج الفريد في التضحية، ونتيجة المعركة وخيانة اليهود، وتخيير النبي ﷺ لزوجاته بين الدنيا والآخرة ومقدار العقوبة.

وفي نهاية الرسالة ذكرت أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها.

Abstract

Thanks to Allah who helped me to finish this research successfully, which was entitled: (analytical study of the purposes and objectives of the forty second hezb of the holly Quran (Surat Luqman verses: 22-34), (Sajda), (Al-Ahzab verses: 1-30this study was divided into :an introduction ,preface, three chapters and a conclusion.

The introduction included the importance of the subject and the reasons for its choice, and research objectives, previous studies, the methodology of the researcher ,and the research plan.

While the preface included the concept of an analytical study, the purposes and objectives of the Quranic verses, then talked about the definition of the analytical study, its requirements and its importance, and the definition of objectives and targets of the verses of Qur'an, and its importance.

In the first chapter, I discussed the definition of Luqman, a declaration of its purposes and virtues, objectives and its occasion, then the analytical interpretation of the purposes and objectives of Luqman verse (22-34), and included the Entertainment of the messenger , Muslims and their stuck in the most trustworthy handhold, and to remind the idolaters of the indications of the oneness of Allah and his ability, consider to the universe and wonders, and the indication of the infidels in good and bad times, and the order to fear Allah, and the declaration of the unseen.

The second chapter :I discussed the definition of surat el Sajda, and a declaration of its purposes ,its virtues and its objectives, occasion, and analytical interpretation of the purposes and objectives of Sajda then I talked about: the Quran as something perfect from Allah and proof the prophecy, and signs of monotheism and divine power, and prove the resurrection and the state of offenders in the Day of Resurrection, description of believers in the world and their reward with Allah in the hereafter, and the reward of the believers and heretics, and the unity of the messages and the ways of the call to Allah , and the ability to destroy the previous Nations, proof message monotheism

In the final chapter I discussed the definition of Al-Ahzab, and a statement of its purposes ,its virtues and its objectives, occasion, and analytical interpretation of the purposes and objectives of Al-Ahzab verse (1-30), and it talked about: its order to fear Allah and follow the revelation and trust in Allah , and the provisions of zihaar and adoption, taking the Charter of Prophets and question the truthful, and the battle of Al Ahzab and to recall the grace of Allah and the affliction of believers and expose the hypocrites, and the declaration of their bad qualities, the messenger as a good model and his companions are unique in their sacrifice , the outcome of the battle and the betrayal of the Jews, and giving a choice to the Prophet's wives between this world and the Hereafter and the amount of the penalty.

At the end of the research I mentioned the most important results and recommendations

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

[التوبة: 105]

ألإهدَاْءُ

إلى خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا وحبيبنـا وقائدنـــا محمد ﷺ

إلى والـــــــــــديَّ الكريميـــن أطـال الله فـي عمريهمـا

إلـــى زوجتـي الغاليـة رفيقـة دربـي وقـرة عينـي: أم عبد الله

إلـى أولادي وزينـــــــة حياتـــي: عبد الله وأسامة وسارة ويزن

إلـــى أُخـــتي وإخـــوتي وأزواجهـــم وأبنائهـــم جميعـــاً

إلى الشهـــداء الذين صدقـوا ما عاهـدوا الله عليـــــه

إلى المجاهدين والمرابطين على الثغور في مشارق الارض ومغاربها

إلـــى علمائنـــــا وأساتذتنـــــا ومشايخنـــــا الأفاضـل

إلى جامعـــــتي الغـــراء منـــارة العلـم والعلمـــــــــــاء

إلى الدعـاة وطلبة العلم والعاملين في حقل الدعوة الاسلاميـــة

إلى هـؤلاء جميعًـــا أُهدي هذا البحثَ المتواضـــــــــــع

شكرٌ وتقديرٌ

انطلاقًا من قوله تعالى: **{ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ }** (لقمان: ١٢)، وقولِ نبينا محمد ﷺ: **(لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ)**[١]، فإنني أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذي ومشرفي فضيلة الدكتور: صبحي رشيد اليازجي، الذي تكرم بقبوله بالإشراف على هذه الرسالة، ومنحني من جهده ووقته الكثير، وما بخل عليَّ بعلمه وملاحظاته وتنبيهاته، فجزاه الله عني خير الجزاء، وجعل ذلك في ميزان حسناته يوم القيامة.

كما وأتقدم بالشكر والتقدير والامتنان إلى عضوي لجنة المناقشة، الذين تفضلا مشكورين بدراسة هذا البحث وتنقيحه ليخرج بإذن الله سبحانه وتعالى في أجمل حلة وأبهى صورة.

الدكتور/ **محمود هاشم عنبر** ، مناقشًا داخليًا.

والدكتور/ **ماجد رجب سكر** ، مناقشًا خارجياً.

كما لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر إلى الجامعة الاسلامية الغراء، هذا الصرح الشامخ والمنارة العلمية التي لا تنطفئ، ممثلة بإدارتها ومدرسيها ومكتبتها والعاملين فيها، كما وأتقدم بجزيل الشكر لعمادة الدراسات العليا ممثلة بعميدها والعاملين فيها، والشكر موصول إلى أساتذتي في كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية على جهودهم العظيمة.

كما وأتوجه بجزيل الشكر والعرفان والامتنان، لكل من ساعدني وأعانني في إثراء هذا البحث.

وفي الختام أسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، ولا شك أن كلَّ عمل بشري لابد وأن يعتريه النقص والخلل، فما كان في هذا البحث من صواب فمن توفيق الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان.

الباحث

محمد عزات جحا

---

(١) سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ح (١٩٥٤)، (٣٣٩/٤)، قال الترمذي هذا حديث صحيح.

فهرس المحتويات

م.	الموضوع	الصفحة
١	إقرار	أ
٢	نتيجة الحكم على اطروحة الماجستير	ب
٣	ملخص الرسالة باللغة العربية	ج
٤	ملخص الرسالة باللغة الانجليزية	د
٥	الاهداء	و
٦	شكر وتقدير	ز
٧	فهرس المحتويات	ح
٨	المقدمة.	١
٩	أهمية الموضوع وأسباب اختياره	١
١٠	أهداف البحث.	٢
١١	الدراسات السابقة.	٢
١٢	منهجية الباحث.	٢
١٣	خطة البحث.	٣
١٤	**التمهيد: مفهوم الدراسة التحليلية، للمقاصد والأهداف في السور القرآنية**	٧
١٥	**المبحث الأول: تعريف الدراسة التحليلية ومتطلباتها وأهميتها**	٨
١٦	**المطلب الأول:** تعريف الدراسة التحليلية.	٩
١٧	**المطلب الثاني:** متطلبات الدراسة التحليلية.	١١
١٨	**المطلب الثالث:** أهمية الدراسة التحليلية للسور القرآنية.	١٢
١٩	**المبحث الثاني: تعريف المقاصد والأهداف للسور القرآنية، وأهميتها**	١٤
٢٠	**المطلب الأول:** تعريف المقاصد والاهداف.	١٥
٢١	**المطلب الثاني:** أهمية معرفة المقاصد والأهداف.	١٨
٢٢	**المطلب الثالث:** الفرق بين المقاصد والأهداف.	١٩
٢٣	**المطلب الرابع:** طرق معرفة مقاصد السور والآيات.	٢١
٢٤	**الفصل الأول: تعريف عام بسورة لقمان، وبيان مقاصدها وأهدافها**	٢٢
٢٥	**المبحث الأول: تعريف عام بسورة لقمان**	٢٣
٢٦	**المطلب الأول:** أسماء السورة وعدد آياتها.	٢٤
٢٧	**المطلب الثاني:** مكان وزمان وسبب نزولها.	٢٥

٢٨	**المطلب الثالث:** فضائل السورة.	٢٥
٢٩	**المطلب الرابع:** مقاصد سورة لقمان ومناسبتها.	٢٦
٣٠	**المبحث الثاني: التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف سورة لقمان من آية (٢٢ -٣٤)**	٣٠
٣١	**المقطع الأول:** تسلية الرسول وتمسك المسلمين بالعروة الوثقى.	٣١
٣٢	**المقطع الثاني:** تذكير المشركين بدلائل وحدانية الله تعالى وقدرته.	٣٥
٣٣	**المقطع الثالث:** النظر إلى الكون وعجائبه وبيان المشركين في الشدة والرخاء	٤١
٣٤	**المقطع الرابع:** الأمر بتقوى الله تعالى، وبيان مفاتح الغيب.	٤٧
٣٥	**الفصل الثاني: تعريف عام بسورة السجدة، وبيان مقاصدها وأهدافها**	٥٤
٣٦	**المبحث الأول: تعريف عام بسورة السجدة**	٥٥
٣٧	**المطلب الأول:** أسماء السورة وعدد آياتها وسبب نزولها.	٥٦
٣٨	**المطلب الثاني:** مكان وزمان السورة والجو الذي نزلت فيه.	٥٨
٣٩	**المطلب الثالث:** فضائل السورة.	٥٩
٤٠	**المطلب الرابع:** مناسبة السورة.	٦٠
٤١	**المبحث الثاني: التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف سورة السجدة**	٦٣
٤٢	**المقطع الأول:** القرآن حق منزل من عند الله وإثبات النبوة	٦٤
٤٣	**المقطع الثاني:** دلائل التوحيد والقدرة الإلهية	٧١
٤٤	**المقطع الثالث:** إثبات البعث وحال المجرمين يوم القيامة	٥٨
٤٥	**المقطع الرابع:** صفة المؤمنين في الدنيا وجزاؤهم عند ربهم في الآخرة	٩٢
٤٦	**المقطع الخامس:** جزاء المؤمنين والفاسقين	١٠١
٤٧	**المقطع السادس:** وحدة الرسالات وسنن الدعوة	١٠٨
٤٨	**المقطع السابع:** القدرة على أهلاك الأمم الماضية، وإثبات رسالة التوحيد	١١٤
٤٩	**الفصل الثالث: تعريف عام بسورة الأحزاب وبيان مقاصدها وأهدافها.**	١٢٢
٥٠	**المبحث الأول: تعريف عام بسورة الأحزاب**	١٢٣
٥١	**المطلب الأول:** أسماء السورة وعدد آياتها وسبب نزولها.	١٢٤
٥٢	**المطلب الثاني:** مكان وزمان السورة والجو الذي نزلت فيه.	١٢٥
٥٣	**المطلب الثالث:** فضائل السورة.	١٢٥
٥٤	**المطلب الرابع:** مناسبة السورة.	١٢٥
٥٥	**المبحث الثاني: التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف سورة الاحزاب**	١٢٨

٥٦	**المقطع الأول:** الأمر بتقوى الله واتباع الوحي والتوكل على الله.	١٢٩
٥٧	**المقطع الثاني:** أحكام الظهار والتبني.	١٣٨
٥٨	**المقطع الثالث:** أخذ الميثاق من النبيين وسؤال الصادقين.	١٥٧
٥٩	**المقطع الرابع:** غزوة الأحزاب والتذكير بنعمة الله وابتلاء المؤمنين.	١٦٢
٦٠	**المقطع الخامس:** فضح المنافقين وبيان صفاتهم القبيحة.	١٧٤
٦١	**المقطع السادس:** الرسول هو الأسوة الحسنة وأصحابه هم النموذج الفريد في التضحية.	١٩٥
٦٢	**المقطع السابع:** نتيجة المعركة وخيانة اليهود.	٢٠٣
٦٣	**المقطع الثامن:** تخيير النبي ﷺ لزوجاته بين الدنيا والآخرة ومقدار العقوبة.	٢١٠
٦٤	**الخاتمة.**	٢١٨
٦٥	**الفهارس العامة.**	٢٢٠
٦٦	أولاً: فهرس الآيات القرآنية.	٢٢١
٦٧	ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.	٢٣٠
٦٨	ثالثاً: فهرس الأعلام.	٢٣٢
٦٩	رابعاً: فهرس والمصادر والمراجع.	٢٣٣
٧٠	أ . التفاسير.	٢٣٣
٧١	ب . علوم القرآن.	٢٣٨
٧٢	ج . كتب السنة النبوية.	٢٤٠
٧٣	د . المعاجم واللغة.	٢٤١
٧٤	هـ . المراجع العامة.	٢٤٢

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن أولى ما اشتغل به المشتغلون، وسعى في تحصيله المسلمون هو العلم بكتاب الله عز وجلّ، لأنّ شرف العلم من شرف المعلوم، وعلم التفسير من أهم العلوم المتعلّقة بكتاب الله تعالى إذ به يعقل المسلم عن الله تعالى خطابه.

فالقرآن الكريم هو رسالة الله للبشرية، فقد أرسله سبحانه وتعالى مع خير رسله، وتولى بحفظه من التبديل والتحريف الى قيام الساعة، قال تعالى: **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا}** (الإنسان: ٢٣)، أنزله سبحانه وتعالى بلغة عربية عذبة سلسة بحيث يستطيع أي إنسان أن يفهم الحقائق الأساسية لتلك الرسالة مهما كان حظه من الثقافة، قال تعالى: **{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}** (يوسف: ٢)، فلذلك رغبت في المشاركة ضمن السلسلة التي يشرف عليه قسم التفسير وعلوم القرآن للوقوف على أهداف ومقاصد الحزب الثاني والأربعين من القرآن الكريم، سائلاً الله ﷻ أن يوفقني لما يحبه ويرضاه، وأن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم.

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. تعلق موضوع الدراسة بأشرف الكتب وأجلها على وجه الأرض، ألا وهو القرآن الكريم.
٢. خدمة القرآن الكريم من أشرف الأعمال وأحبها إلى الله تعالى.
٣. المساهمة في تقديم الحلول المناسبة لبعض المشاكل المعاصرة التي تعاني منها الأمة.
٤. ربط القرآن الكريم بواقعنا المعاصر، ومعالجة هذا الواقع والتأصيل القرآني له.
٥. علم المقاصد والأهداف يرسخ الإيمان في نفوس المؤمنين، ويدفعهم للاعتناء بالقرآن الكريم والإقبال عليه.
٦. تعميق النظر في كتاب الله تعالى، والتفكر والتدبر في آياته، والغوص في ثنايا النصوص لاستخراج المكنون فيها.
٧. اطلاع القارئ على معالم الطريق الموصلة إلى مرضاة الله رب العالمين، وسعادته في الدارين.

ثانياً: أهداف البحث:

للبحث أهداف عديدة وغايات سامية أذكر أهمها:

١. الوصول إلى مرضات الله تعالى، ونيل الأجر والثواب.

٢. بيان الموضوعات الأساسية للحزب الثاني والأربعين من سور القرآن الكريم، وإظهار مقاصدها العامة وأهدافها التي تهدف لترسيخها في المجتمع الإسلامي.

٣. دراسة أهداف ومقاصد الآيات دراسة تحليلية، لبيان الجانب الإعجازي في القرآن الكريم.

٤. الوقوف عند كل ما يتعلق بالحزب الثاني والأربعين من أسماء السور، ومكان وزمان نزولها، والجو الذي نزلت فيه، وفضائلها ومحورها وموضوعاتها.

٥. إثراء المكتبة الإسلامية بهذا النوع من التفسير.

٦. فتح آفاق جديدة أمام الباحثين، وذلك من خلال الموضوعات التي تم طرحها في هذه الرسالة، والنتائج التي توصل إليها الباحث.

ثالثاً: الدراسات السابقة:

يعد هذا البحث استكمالاً لسلسلة الأبحاث التي تم اعتمادها في قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، والتي تتناول الدراسة التحليلية للمقاصد والأهداف المتنوعة والمختلفة لآيات القرآن الكريم، وكان نصيبي من هذه السلسلة الحزب الثاني والأربعين من القرآن الكريم.

رابعًا: منهجية الباحث:

اعتمد الباحث منهج التفسير الموضوعي وتحليل الأهداف والمقاصد للسور القرآنية القائم على النقاط التالية:

١. وضع مقدمة لكل سورة، وبيان اسمها، وفضائلها، ومكان وزمان نزولها والجو الذي نزلت فيه، ومحورها الرئيس، والمناسبة بين سور الدراسة في البحث، والمقاصد العامة للسورة وأغراضها.

٢. تقسيم الدراسة إلى فصول ومباحث ومطالب.

٣. ذكر اسم السورة، ورقم الآية في المتن، تجنباً من إثقال الحاشية.

٤. إيراد القراءات القرآنية المتواترة وتوجيهها، وبيان المعاني التفسيرية.

٥. استنباط مقاصد وأهداف الحزب الثاني والأربعين من القرآن الكريم وتحليلها، مع محاولة ربطها بالواقع إن أمكن.
٦. عزو الأقوال المقتبسة لأصحابها وتوثيقها حسب الأصول، وفي حالة استخلاص المعنى العام من النص أكتفي بالقول: (انظر)، وفي حالة التصرف في النص اكتب (بتصرف)، ثم أذكر المرجع الذي نقلت منه.
٧. تخريج الأحاديث النَّبوية من مصادرها الأصلية، فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بذلك، وإن كان في غيرهما استعنت بأكثر من مرجع، وذكرت حكم العلماء عليه ما أمكن.
٨. بيان معنى المفردات الغريبة في الحاشية.
٩. اكتفيت بذكر اسم الكتاب واسم المؤلف ورقم الجزء والصفحة فقط في الحاشية، ثم أبين باقي المعلومات المتعلقة بالمرجع في فهرس المصادر والمراجع.
١٠. عند وجود تكرار لنفس المصدر في الحاشية نفسها على التوالي أكتفي بالقول: المرجع السابق، وأذكر رقم الجزء والصفحة.
١١. الترجمة للأعلام المغمورين.
١٢. إعداد الفهارس اللازمة للرسالة.

خامساً: خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول وخاتمة ومجموعة فهارس تخدم البحث، وهي كالآتي:

أما المقدمة فتشمل على:

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
ثانياً: أهداف البحث.
ثالثاً: الدراسات السابقة.
رابعاً: منهجية الباحث.
خامساً: خطة البحث.

التمهيد

مفهوم الدراسة التحليلية، للمقاصد والأهداف في السور القرآنية

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: تعريف الدراسة التحليلية ومتطلباتها وأهميتها

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** تعريف الدراسة التحليلية.
- **المطلب الثاني:** متطلبات الدراسة التحليلية.
- **المطلب الثالث:** أهمية الدراسة التحليلية للسور القرآنية.

المبحث الثاني: تعريف المقاصد والأهداف للسور القرآنية، وأهميتها.

ويشتمل على أربعة مطالب:

- **المطلب الأول:** تعريف المقاصد والاهداف.
- **المطلب الثاني:** أهمية معرفة المقاصد والأهداف.
- **المطلب الثالث:** الفرق بين المقاصد والأهداف.
- **المطلب الرابع:** طرق معرفة مقاصد السور والآيات.

الفصل الأول

تعريف عام بسورة لقمان، وبيان مقاصدها وأهدافها.

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة لقمان

ويشتمل على أربعة مطالب:

- **المطلب الأول:** أسماء السورة وعدد آياتها.
- **المطلب الثاني:** مكان وزمان وسبب نزولها.
- **المطلب الثالث:** فضائل السورة.
- **المطلب الرابع:** مقاصد سورة لقمان ومناسبتها.

المبحث الثاني: التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف سورة لقمان من آية (٢٢ -٣٤)

ويشتمل على أربعة مقاطع:

- **المقطع الأول:** تسلية الرسول وتمسك المسلمين بالعروة الوثقى.

- **المقطع الثاني:** تذكير المشركين بدلائل وحدانية الله تعالى وقدرته.
- **المقطع الثالث:** النظر إلى الكون وعجائبه، وبيان حال المشركين في الشدة والرخاء.
- **المقطع الرابع:** الأمر بتقوى الله تعالى، وبيان مفاتح الغيب.

الفصل الثاني

تعريف عام بسورة السجدة، وبيان مقاصدها وأهدافها.

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة السجدة

ويشتمل على أربعة مطالب:

- **المطلب الأول:** أسماء السورة وعدد آياتها.
- **المطلب الثاني:** مكان وزمان وسبب نزولها.
- **المطلب الثالث:** فضائل السورة.
- **المطلب الرابع:** مقاصد سورة السجدة ومناسبتها.

المبحث الثاني: التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف سورة السجدة

ويشتمل على سبعة مقاطع:

- **المقطع الأول:** القرآن حق منزل من عند الله وإثبات النبوة
- **المقطع الثاني:** دلائل التوحيد والقدرة الإلهية
- **المقطع الثالث:** إثبات البعث وحال المجرمين يوم القيامة
- **المقطع الرابع:** صفة المؤمنين في الدنيا وجزاؤهم عند ربهم في الآخرة
- **المقطع الخامس:** جزاء المؤمنين والفاسقين
- **المقطع السادس:** وحدة الرسالات وسنن الدعوة
- **المقطع السابع:** القدرة على إهلاك الأمم الماضية، وإثبات رسالة التوحيد

الفصل الثالث

تعريف عام بسورة الأحزاب وبيان مقاصدها وأهدافها.

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة الأحزاب

ويشتمل على أربعة مطالب:

- **المطلب الأول:** أسماء السورة وعدد آياتها.
- **المطلب الثاني:** مكان وزمان وسبب نزولها.
- **المطلب الثالث:** فضائل السورة.
- **المطلب الرابع:** مقاصد سورة الأحزاب ومناسبتها.

المبحث الثاني: **التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف سورة الاحزاب من آية (١-٣٠)**

ويشتمل على ثمانية مقاطع:

- **المقطع الأول:** الأمر بتقوى الله واتباع الوحي والتوكل على الله.
- **المقطع الثاني:** أحكام الظهار والتبني.
- **المقطع الثالث:** أخذ الميثاق من النبيين وسؤال الصادقين.
- **المقطع الرابع:** غزوة الأحزاب والتذكير بنعمة الله وابتلاء المؤمنين.
- **المقطع الخامس:** فضح المنافقين وبيان صفاتهم القبيحة.
- **المقطع السادس:** الرسول هو الأسوة الحسنة وأصحابه هم النموذج الفريد في التضحية.
- **المقطع السابع:** نتيجة المعركة وخيانة يهود بني قريظة.
- **المقطع الثامن:** تخيير النبي ﷺ لزوجاته بين الدنيا والآخرة ومقدار العقوبة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث.

الفهارس:

١) فهرس الآيات القرآنية.
٢) فهرس الأحاديث النبوية.
٣) فهرس الأعلام المترجم لهم.
٤) فهرس المصادر والمراجع.
٥) فهرس الموضوعات.

والله ولي التوفيق

التمهيد

مفهوم الدراسة التحليلية للمقاصد والأهداف في السور القرآنية

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: تعريف الدراسة التحليلية ومتطلباتها وأهميتها.

المبحث الثاني: تعريف المقاصد والأهداف للسور القرآنية وأهميتها.

المبحث الأول

تعريـــف الدراســـة التحليليـــة ومتطلباتهـا وأهميتهـا

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** تعريف الدراسة التحليلية.
- **المطلب الثاني:** متطلبات الدراسة التحليلية.
- **المطلب الثالث:** أهمية الدراسة التحليلية للسور القرآنية.

المطلب الأول

تعريف الدراسـة التحليليـة

إنَّ مصطلح الدارسة التحليلية يتألف من كلمتين: هما (الدراسة)، و(التحليلية)، ولكي نقف على هذا المعنى لا بد من التعريج أولاً على المعنى اللغوي لكل كلمة.

أولاً: معنى كلمة (الدراسة) في اللغة:

هي مصدر مشتق من الفعل الثلاثي درس، يدارس، مُدارسَةً، فهو مُدارِس، والمفعول مُدَارَس[١]، وقد وردت في القرآن الكريم في عدة مواضع منها: قوله تعالى: [**بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ**] (آل عمران:٧٩)، وقوله: [**وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ**] (الأنعام:١٠٥)، وقوله: [**وَدَرَسُوا مَا فِيهِ**] (الأعراف:١٦٩)، وقوله: [**وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا**] (سبأ:٤٤).

وقد استعلمت كلمة (درس) في لغة العرب لمعان عدة منها:

١. **القراءة والحفظ والتعهد للشيء:** "تدارسوا الْقُرْآنَ؛ أَي اقرأُوه وَتَعَهَّدُوهُ لِئَلَّا تَنْسَوْهُ" [٢]، "وأَصل الدِّراسَةِ الرياضة والتَّعَهُّدُ للشيء"[٣]، والمِدْراسُ: هو الموضع الذي يُقْرَأُ فيه القرآنُ ومنه مِدْراسُ اليَهُودِ [٤]، ودرس الكتاب: "أي كرّر قراءته ليحفظه" [٥].

٢. **التلقي والتبادل:** "درَس العلمَ على فلان: أي تلقّاه على يديه"[٦] ، "ودارسه العلمَ: أي تبادله".[٧]

٣. **الإزالة والمحو:** "دَرَسَته الريح أي عفت أثره" [٨] ،"ودَرَسَ الثوبُ دَرْساً، أي أخلَقَ"[٩]، أي لبسه لبسه حتى أصبح بالياً، "ودرس القومُ المكان أي أبلوا أثره"[١٠] .

٤. **الحيض:** "وَدَرَسَتِ المرأةُ دُروساً، أي حاضت" [١١]، فالدرس كناية عن المرأة إذا حاضت.

---

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د.أحمد مختار عبد الحميد عمر (٧٣٨/١)

(٢) لسان العرب، لابن منظور (٦/ ٨٠).

(٣) المرجع السابق (٦/ ٧٩).

(٤) انظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي (ص: ٧٠٢).

(٥) معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن، للجمل (٢/ ١٠١).

(٦) معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (١/ ٧٣٧).

(٧) المرجع السابق (١/ ٧٣٧).

(٨) لسان العرب، لابن منظور (٦/ ٧٩).

(٩) الصحاح في اللغة، للجوهري (١/ ٢٠٢).

(١٠) الموسوعة القرآنية، للأبياري (٨/ ١٨٨).

(١١) الصحاح في اللغة، للجوهري (١/ ٢٠٢).

٥. **الجَرَب:** "الدَرْسُ: جَرَبٌ قليلٌ يبقى في البعير" [١]، قال الأَصمعي[٢]: "إذا كان بالبعير شيء خفيف من الجرب قيل: به شيء من دَرْسٍ"[٣] .

٦. **التذليل:** دَرَسَ الناقة، أي: راضها وذلّلها [٤]، "وطريق مدروس: كثر مشي الناس فيه حتى ذلّلوه" [٥].

ثانياً: معنى كلمة (التحليلية) في اللغة:

أصلها من الفعل الرباعي (حَلَّل) على وزن (فَعَّل) ليكون مصدره على وزن (تَفْعيل)، "وحلّ العقدة يَحُلُّها حلاً: فتحها فانحلَّت" [٦]، وكذا قال الجوهري[٧]: "حَلَلتُ العُقدَةَ أَحُلُّهَا حَلاً وحُلولًا ومَحَلاً"[٨]، وزاد صاحب المعجم تفصيلاً فقال: "وحلّل الشيء: رجعه إلى عناصره، يقال: حلَّل الدم، وحلَّل البول، ويقال: حلَّل نفسية فلان: درسها ليكشف خباياها، وتحليل الجملة: بيان أجزائها، ووظيفة كل منها" [٩].

وجاء في معناها أيضاً: "بأنها عملية تقسم الكل إلى أجزائه، ورد الشيء إلى عناصره"[١٠] ، "والمَحَلُّ: المكان الذي تَحُلُّهُ، ورجلٌ حِلٌّ من الإحرام، أي حَلالٌ" [١١]، "وحَلِيلة الرجل امرأَته وهو حَلِيلُها؛ لأَن كل واحد منهما يُحَالُّ صاحبه" [١٢].

---

(١) الصحاح في اللغة، للجوهري (١/ ٢٠٢).

(٢) الجوهري إمام اللغة، أبو نصر إسماعيل بن حماد التركي، مصنف كتاب الصحاح ويضرب به المثل في ضبط اللغة، وللجوهري نظم حسن ومقدمة في النحو، وقد مات الجوهري متردياً من سطح داره بنيسابور في سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي(١٧/٨٠ – ٨٢).

(٣) تهذيب اللغة، للهروي (١٢/ ١٩٨).

(٤) انظر: إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (٣/ ٢٧٩).

(٥) المرجع السابق (٣/ ٢٧٩).

(٦) لسان العرب، ابن منظور (٢٠٣/١١).

(٧) هو الإمام الحافظ حجة الأدب ولسان العرب أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي ، يقال يقال اسم أبيه عاصم ولقبه قريب ولد سنة بضع وعشرين ومائة، ومات سنة ٢١٥ وقيل ٢١٦. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء(١٧٥/١٠)

(٨) الصحاح في اللغة، للجوهري (١٦٧٢/٤).

(٩) المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار(٢٠٠/١).

(١٠) مجمع اللغة العربية، للدكتور: أحمد مختار عمر (٥٥٠/١).

(١١) الصحاح في اللغة، للجوهري (١/ ١٤٤).

(١٢) لسان العرب، لابن منظور (١١/ ١٦٣).

ثالثاً: تعريف الدراسة التحليلية:

للدراسة التحليلية عدة تعريفات منها:

١. " الأسلوب الذي يتتبع فيه المفسر الآيات حسب ترتيب المصحف سواء تناول جملة من الآيات متتابعة أو سورة كاملة أو القرآن الكريم كله، ويبين ما يتعلق بكل آية من معاني ألفاظها ووجوه البلاغة فيها وأسباب نزولها وأحكامها ومعناها ونحو ذلك" [١].

٢. " بيان آيات القرآن الكريم بالتعرض لجميع نواحيها، والكشف عن كل مراميها، وذلك بأن يمضي المفسر في شرحه للقرآن مع النظم القرآني علي ما هو موجود في المصحف آية آية، متتبعاً معاني المفردات والألفاظ في شرحها، ذاكراً ما تضمنته من المعاني في جملها، وما ترمي إليه في تراكيبها، منقباً عن المناسبات في مفاصلها، ذاكراً أوجه الربط بين مقاصدها" [٢].

٣. "تفكيك الكلام على الآية لفظة لفظة، والكلام على ما فيها من معانٍ وإعراب وأحكام وغيرها، ثم الانتقال إلى ما بعدها" [٣].

وكل هذه التعاريف التي ذكرتها تدور حول البحث عن أسرار النص القرآني من خلال تفسير الآيات القرآنية حسب ترتيبها في المصحف، وذكر ما فيها من معانٍ وأقوالٍ وإعرابٍ وبلاغةٍ وأحكامٍ وغيرها مما يعتني به المفسر، وهذا هو الأسلوب الذي سارت عليه التفاسير إلى وقتنا الحاضر.

المطلب الثاني

متطلبات الدراسة التحليلية

إنَّ الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد النص القرآني تتناول كلام الله تعالى لبيان مراده منه، لذلك وجب على من يريد أن يسلك في هذا المجال أن تتوفر فيه بعض المتطلبات، وهي على النحو التالي:

أولاً: متطلبات ذاتية:[٤]

١. التقوى فيما بينه وبين الله تعالى مع إخلاص النية وسلامة المقصد.

---

(١) بحوث في أصول التفسير ومناهجه، للدكتور: فهد الرومي (ص:٥٧)

(٢) البداية في التفسير الموضوعي، عبدالحي الفرماوي (ص:٢٤)

(٣) أرشيف ملتقى أهل التفسير، (ص: ٥٨٠٨) ، تعريف د. مساعد الطيار.

(٤) انظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان،(ص:٣٤٠).

٢. التجرد عن الهوى، والاحتكام إلى الكتاب والسنة؛ ففيهما الهدى والنور، والفلاح والسعادة، والتسلح بسلاح الإيمان والعلم، مبتعداً عن التعصب والهوى.
٣. إلتزام الباحث بعقيدة السلف الصالح وما كانوا عليه في فهمهم للنصوص.
٤. أن يكون له نصيب من علم الموهبة، **وعلم الموهبة:** هو "علم يورثه الله تعالى لمن يشاء من عباده العالمين العاملين المتقين فيلهمهم المعرفة بأسرار كتابه"[١].
٥. إتصافه بالذكاء والفطنة والقدرة على الفهم والاستنباط، ليكون لديه المقدرة على الترجيح.
٦. حسن الخُلق والتواضع ولين الجانب.

ثانياً: متطلبات علمية:[٢]

١. أن يكون الباحث مطلعاً على العلوم المتصلة بالتفسير، والتي تُعينه على فهم المراد كعلوم اللغة والقرآن والحديث والسيرة والفقه والنحو وغيرهم.
٢. اعتماده بشكل أساسي على علوم القرآن، كعلم القراءات والمناسبات وأسباب النزول والمكي والمدني وغيرهم.
٣. قدرته على ربط النصوص القرآنية بعد تحليلها بواقع الأمة وحاضرها.
٤. حسن الصياغة والعرض، فهذا له دور كبير في توضيح الصورة وتقريبها للقارئ.

المطلب الثالث

أهمية الدراسة التحليلية للسور القرآنية[٣]

١. التعرف على أسرار ومكنونات القرآن الكريم.
٢. الاستفادة من دلالات النص القرآني في تصحيح السلوكيات والأخلاقيات.
٣. التركيز على آيات العقيدة، وبيان منهج السلف فيها.
٤. ابطال الشبهات التي يطرحها المشككون والمستشرقون.
٥. بيان إعجاز القرآن للفطرة اللغوية عند العرب.

---

(١) بيان المعاني، لعبد القادر ملا حويش (١/ ٨).

(٢) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفى مسلم، (ص:٥٢)، ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان،(ص:٣٤٠).

(٣) انظر: سورة القصص دراسة تحليلية، د. محمد مطني، (١/ ٣)، وأرشيف ملتقى أهل التفسير (ص: ٦٧١٧).

٦. وضع الحلول المناسبة للمشاكل التي تواجه المجتمعات من خلال فهم النصوص القرآنية.

٧. تعدد استنباط الأحكام الشرعية، ومسايرتها لظروف الزمان والمكان.

المبحث الثاني

تعريف المقاصد والأهداف للسور القرآنية، وأهميتها.

ويشتمل على أربعة مطالب:

- **المطلب الأول:** تعريف المقاصد والأهداف.
- **المطلب الثاني:** أهمية معرفة المقاصد والأهداف.
- **المطلب الثالث:** الفرق بين المقاصد والأهداف.
- **المطلب الرابع:** طرق معرفة مقاصد السور والآيات.

المطلب الأول

تعريف المقاصد والأهداف للسور القرآنية

أولاً: تعريف المقاصد لغة:

جمع مقصد وأصلها يرجع إلى الفعل الثلاثي (قصد)، قَصَدْتُ الشَّيْء ولهُ وإِلَيْه قَصدًا بمعنى طَلَبْتُهُ بعيْنه. [١]

وقد جاءت كلمة القصد في لغة العرب بمعان عدة منها:

١. **التوسط وعدم الإفراط والتفريط:** قال تعالى: **{وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ}** (لقمان:١٩)، وقال تعالى: **{مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ}** (فاطر:٣٢)، وفي الحديث: **(وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا)**[٢]، أي عليكم بالتوسط في الأمور [٣].

٢. **الاعتماد وطلب الشيء وإتيانه:** والقصد إتيان الشيء: تقول قصدته وقصدت له وقصدت إليه [٤].

٣. **استقامة الطريق:** قال تعالى: **{وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ}**(النحل:٩)؛ أي: "على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة" [٥].

٤. **الغرض والهدف:** "يقال فهم غرضه أي قصده، والغرض هو الهدف الذي يرمى إليه" [٦].

٥. **الْكَسْرُ:** "تَقُولُ: قصَدْتُ العُود قَصْداً كسَرْتُه، وَقِيلَ: هُوَ الْكَسْرُ بِالنِّصْفِ" [٧].

ومن خلال ما سبق، فإن خلاصة كلام أهل اللغة أن مادة (قصد) تدل على معانٍ متعددة، إلا أن الغالب عند إطلاقها انصرافها إلى العزم على الشيء والتوجه نحوه.

ثانياً: المقاصد اصطلاحاً:

من المعلوم أن المفاهيم الشرعية يرجع في تعريفها إلى ما كتبه المتقدمون من العلماء، غير أنه بالنظر إلى البحوث والدراسات الشرعية والأصولية المتقدمة يصعب علينا أن نجد تعريفاً محدداً أو دقيقاً للمقاصد يحظى بالقبول والاتفاق من قبل كافة العلماء.

---

(١) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي، (٥٠٤/٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: القصد والمداومة على العمل، ح(٦٤٦٣) (٩٨/٨).

(٣) انظر: الصحاح في اللغة، للجوهري(٥٢٥/٢).

(٤) انظر: لسان العرب، لابن منظور .(٣٥٣/٣).

(٥) تاج العروس، للزبيدي(١٧٤/٢٠).

(٦) مختار الصحاح، للرازي (ص ٢٢٦).

(٧) لسان العرب، لابن منظور (٣/ ٣٥٥).

ومن التعريفات التي ذكرها العلماء للمقاصد:

- **تعريف ابن عاشور:** "هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظاتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة، وغايتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظاتها، ويدخل في هذا أيضاً معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام"[١]، وإذا كان ابن عاشور قد قصر تعريفه هنا على المقاصد العامة للشريعة فإنه في قسم آخر من كتابه ذكر المقاصد الشرعية الخاصة وبين أنها: "الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة، أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة".[٢]
- **وأما العلامة علال الفاسي**[٣] فقد عرف المقاصد عموماً: "بأنها الغاية والأسرار التي وضعها وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"[٤].

والذي يظهر من تعريف الفاسي أنه جمع في تعريفه بين مقاصد الشريعة العامة ومقاصدها الخاصة، كما ويبدو أن ما انتهى إليه كل من ابن عاشور والفاسي في تعريفهما لمقاصد الشريعة يُعد مرجعاً لأغلب التعريفات المتداولة بعدهما في الكتب المعاصرة التي اهتمت بمقاصد الشريعة.

- تعريف **الدكتور أحمد الريسوني**[٥]، قال: "هي الغايات التي وضعت الشرعية لأجل تحقيقها، لمصلحة العباد"[٦].

ويبدو أن تعريف الريسوني مبني على التعريفين السابقين.

- وأما **الدكتور نور الدين الخادمي**[٧]، قال بأنَّ المقاصد: "هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها، سواء أكانت المعاني حكماً جزئية، أم مصالح كلية، أم سمات

---

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية، لابن عاشور (ص:١٦٥).

(٢) المرجع السابق (ص:٣٠٦-٣٠٧).

(٣) هو علال بن عبد الواحد بن علال الفاسي الفهري، يقال لعائلته: الفاسي، وأحياناً: الفهري، وذلك نسبة إلى إلى قبيلة بني فهر، ولد بمدينة فاس بالمغرب سنة ١٩١٠م، وهو سياسي وأديب، ومؤسس حزب الاستقلال وزعيم الحركة الوطنية المغربية، توفي سنة ١٩٧٤م. انظر: الأعلام، للزركلي (٤/ ٢٤٦)

(٤) قواعد المقاصد عن الإمام الشاطبي عرضاً ودراسة وتحليلاً، د. عبد الرحمن الكيلاني، (ص٤٦)

(٥) د. أحمد الريسوني، ولد سنة ١٩٥٣م بمدينة القصر الكبير، بالمملكة المغربية، عضو مؤسس للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وله العديد من المناصب. انظر (http://www.raissouni.ma)

(٦) نظرية المقاصد عند الشاطبي، د. أحمد الريسوني، (ص٧).

(٧) د. نور الدين بن مختار الخادمي، ولد في تالة بتونس عام ١٩٦٣م، حاصل على الدكتوراه في أصول الفقه، وله عدة بحوث فقهية معاصرة.

إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد وهو تقرير عبودية الله ﷻ، ومصلحة الإنسان في الدارين"[١].

- كما وعرفها **الدكتور يوسف القرضاوي،** قائلاً: "بأنها الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهي والإباحات، وتسعى الأحكام الجزئية إلى تحقيقها في حياة المكلفين، أفراداً وأسراً وجماعات وأمة"[٢].
- وعرفها **الأستاذ يوسف حامد العالم**[٣]، فقال: "هي المصالح التي تعود إلى العباد في دنياهم وآخرتهم سواء كان تحصيلها عن طريق جلب المنافع، أو عن طريق دفع المضار" [٤].
- وأختم بتعريف **الدكتور محمد الزحيلي،** فقال :"هي الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتت بها الشريعة، وأثبتتها في الأحكام وسعت إلى تحقيقها وإيجادها والوصول إليها في كل زمان ومكان"[٥].

وخلاصة القول أنَّ هذه التعريفات في جملتها تهدف إلى أن المقاصد الشرعية متعلقة بدراسة الأدلة والأحكام الشرعية، وفهم مناطها، ومقصود الشارع منها، والغاية المرجوَّة من ورائها، تحقيقًا للمصلحة ودَرْءًا للمفسدة، وهي تسعى دائمًا إلى حفظ الضروريات الخمس؛ من الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال.

ثالثاً: مرادفات مصطلح مقاصد السور:

مصطلح مقاصد السور له مرادفات كثيرة في كلام المفسرين وغيرهم، منها: سياق السور، وغرض السورة، والوحدة الموضوعية، والوحدة السياقية للسورة، وموضوع السور العام، وعمدة السورة، وهدف السورة، وروح السورة، وجو السورة، ومضمون السورة ..[٦]، إلى غير ذلك

---

(١) علم المقاصد الشرعية، د. نور الدين الخادمي، (ص١٧).

(٢) دراسة في فقه المقاصد بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية، د. يوسف القرضاوي، (ص٢٠).

(٣) د. يوسف العالم ولد سنة ١٩٣٧م، حاصل على الدكتوراه في أصول الفقه الإسلامي، تولى مهام عمادة كلية الدراسات الاجتماعية بجامعة أم درمان، وهو عضو هيئة كبار العلماء بالسودان، وهو أول منشئ وعميد لكلية القرآن، وله العديد من المؤلفات، توفي ١٩٨٨م.

(٤) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د. يوسف العالم، (ص٧٩).

(٥) شرح المعتمد في أصول الفقه، محمد حبش (ص: ٣٢)

(٦) انظر: التفسير الحديث، دروزة (١/ ٢١)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (١٣/ ١٠٣)، وفي ظلال القرآن، القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٥٩٥)، والتفسير المنير، للزحيلي (١٦/ ١٤٣) وغيرها من كتب التفسير.

من المرادفات المتشابهة، وكلها تصب في معنى واحد.

رابعاً: تعريف الأهداف لغة:

هَدَف: "الْهَاءُ وَالدَّالُ وَالْفَاءُ: أصلٌ يَدُلُّ عَلَى انْتِصَابٍ وَارْتِفَاعٍ"[١] والهدف: "كل شيء عظيم مرتفع، وكل بناء مرتفع مُشْرِف، أو كثيب رَمْل أو جبل، ومنه سمي الغرَضُ هدفاً"[٢]، "وامرأة مُهْدِفَةٌ، أي لَحيمَةٌ"[٣].

خامساً: الأهداف اصطلاحاً:

للأهداف عدة تعريفات اصطلاحية منها:

١. "هي المصالح التي تعود إلى العباد في دنياهم وآخرتهم، سواء كان تحصيلها عن طريق جلب المصالح أو درء المفاسد"[٤].

٢. "الغايات والرغبات التي تسعى لتحقيقها منذ نقطة البداية لأي مخطط أو منهج كانت الأهداف فيه عاجلة أم آجلة، واضحة أم خفية، معلومة أم مجهولة"[٥].

٣. "التغيرات التي يراد حصولها في سلوك الإنسان الفرد وفي ممارسات واتجاهات المجتمع المحلي أو المجتمعات الإنسانية"[٦].

ومن خلال التعريفات السابقة نجد أن التعريف الأول أقرب إلى الشرعي، والثاني عام وشامل، والثالث أقرب إلى التربوي، كما ونجد أنّ الأهداف تتغير وتتطور تبعاً للمستوى العلمي والثقافي لدى الإنسان وتبعاً للظروف المحيطة به.

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس (٦/ ٣٩).

(٢) لسان العرب، لابن منظور، (٣٤٥/٩).

(٣) مختار الصحاح ، للجوهري (٤/ ١٤٤٢).

(٤) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، للدكتور يوسف حامد العالم، (ص٧٩).

(٥) الأهداف السلوكية، للدكتور: مهدي محمود سالم، (ص:١٤).

(٦) أهداف التربية الإسلامية، لماجد الكيلاني (ص: ١٨).

المطلب الثاني

أهميـة معرفـة المقاصد والأهداف

١. التدبر والهداية، كما قال تعالى: **{ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ }** (ص:٢٩)، وذلك لأن التدبر لا يكون إلا بعد فهم المعاني، ومقصد كل سورة هو أصل معانيها الذي ترجع إليه، ولهذا فإن معاني السورة لا تتحقق إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر واستخراج مقصدها[١] .

٢. إن معرفة مقصد السورة الذي تنتظم به معانيها وآياتها سبيل للسلامة من الخطأ وتفسير كلام الله على غير مراده، فتكون لحمة واحدة يجمعها معنى واحد [٢].

٣. أن تفسير القرآن باعتبار مقاصد السور يجعل كلام الله ﷻ منتظمًا على نحو كمال نظمه ومعناه، وتكون السورة معه كالبناء المرصوص وكالعقد المتناسق[٣].

٤. إن مقاصد السورة من أعظم ما يتحقق بها ربط الآيات بالواقع، وذلك أن المتدبر في مقصد السورة يعايش السورة معايشة تبعثه على التفاعل والعمل والتطبيق.

٥. إعمال العقل في البحث عن مراد الله تعالى، وتوسيع افاق الباحثين في البحث عن أسرار هذا الكتاب العظيم.

٦. إمداد المجتهد بثروة عظيمة تعينه في عملية الاجتهاد وتساعده في فهم وتفسير النصوص مما لا ينافي مقاصد الشارع، وعلى الوجه الصحيح دون إفراط ولا تفريط وخاصة في المسائل والنوازل، واستنباط الأحكام المناسبة لذلك.

٧. تعويد حملة الشريعة، وعلماء هذه الأمة، على البحث واستخراج المقاصد، حتى تكون طبقات علماء الأمة صالحة في كل زمان ومكان لفهم تشريع الشارع ومقصده من التشريع، فيكونوا قادرين على استنباط الأحكام التشريعية [٤].

---

(١) انظر: الموافقات ، للشاطبي (٤١٥/٣).

(٢) انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ، للبقاعي، (ص١٤٩:).

(٣) انظر: النبأ العظيم، محمد دراز (ص:١٥٥).

(٤) انظر: التحرير والتنوير ،لابن عاشور (١٥٨/٣) .

المطلب الثالث

الفرق بين الأهداف والمقاصد

من خلال ما سبق من تعريفات اصطلاحية لكل من الأهداف والمقاصد، نلاحظ الفرق بين كلا الاصطلاحين، ويتمثل فيما يلي:

أولاً: الأهداف تتميز عن المقاصد بالآتي: [١]

- الأهداف هي نقطة البداية لأي عمل في إطار تعبدي أو تربوي، وتكون قبل وضع الخطط.
- الأهداف الكبرى والعامة تهتم وتعنى في صياغة القيم والاتجاهات.
- الأهداف تقوم على تطوير فلسفة المجتمع الممنهجة وفق سياستها التربوية.
- الأهداف العامة والخاصة لا بد من ربطها بالواقع التطبيقي للحياة قدر الإمكان.
- الأهداف هي التي يرغبها الإنسان، ويسعى من خلال تحقيقها إلى تنظيم سلوكه الإنساني.
- الأهداف تكون قبل نتاج أي عمل، لأنها قد تتحقق وقد لا تتحقق.
- يختلف تعريف الهدف تبعاً لنوعيته، ومستوى عموميته.
- الأهداف تنقسم إلى عدة أهداف سلوكية تطبيقية، ومعرفية مهارية، ووجدانية عاطفية.

ثانياً: المقاصد تتميز عن الأهداف بالآتي:[٢]

- المقاصد هي المبادئ والنتائج التي تسعى الأهداف إليها، فإن تحققت الأهداف أصبحت النتائج مقصودة لذاتها، فالأعمال شرعت للوصول إلى المقاصد.
- المقاصد هي الحق المقصود لذاته.
- تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، ودرء المفاسد ودفع المضار.
- المقاصد هي الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهي والمباحات، وتسعى الأحكام الجزئية إلى تحقيقها في حياة المكلفين، أفراداً وجماعات.
- المقاصد هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها العامة.

---

(١) انظر: الأهداف السلوكية، مهدي سالم (ص:١٤-١٨) .

(٢) انظر: الاجتهاد المقاصدي حجيته .. ضوابطه .. مجالاته، نور الدين الخادمي، (٦٥/١).

- المقاصد هي المعاني الملحوظة في الأحكام القرآنية والشرعية المترتبة عليها، سواء كانت تلك المعاني حكماً جزئياً أم مصالح كلية أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن تقرير ونتاج واحد، وهو: العبودية لله ومصلحة الإنسان في الدارين.

المطلب الرابع

طرق معرفة مقاصد السور والآيات

١. الاستعانة بالله تعالى واخلاص العمل له وحده، فإن تحقيق المقصد من الخلق هو العبادة، ولا يتم هذا المقصد بدون الاستعانة بالله تعالى.

٢. الفهم الصحيح للنص القرآني: فإن أول ما ينبغي معرفته للوصول إلى مقاصد السور والآيات هو الفهم الصحيح للمقصد وضابطه؛ فإن ذلك يهدي للطريق الصحيح إليه[١].

٣. الالتزام بضوابط التفسير: ومن ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، لأن القرآن يبين بعضه بعضًا، وأن ينظر الباحث في هذا العلم لأقوال الرسول ﷺ لأنه أعرف الخلق بالله ﷻ وبمعاني كلامه، ولأقوال صحابته الكرام رضوان الله عليهم وأقوال التابعين.

٤. لا بُدَّ لمن أراد الوصول لمقصد السورة أن يبدأ بحثه في السورة ومقصدها بمعرفة ما يتعلق بالسورة من الظروف والأحوال التي نزلت فيها السورة من كونها مكية أو مدنية، وسبب نزولها، وفضائلها، وخصائصها.

٥. الرجوع إلى الكتب والآراء الواردة عن السلف في بيان ما أنزلت فيه السور وما يكون منطلقًا لتحديد مقاصدها، كأن ينص أحد العلماء المعروفين بأن موضوع هذه السورة كذا.

٦. الاستعانة ببعض الكتب والتفاسير التي تعتني بمقاصد السور.

٧. المعايشة الروحية الحية للسورة [٢].

٨. استقراء المفسر لآيات كل سورة، وذلك للوقوف على الجو الخاص الذي يظلل موضوعاتها كلها ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات.

٩. أن يكون موضوع السورة ظاهراً من مطلعها وفواتحها، فيظهر للمفسر أن كل السورة مبني على أولها، وفواتحها مؤثرة في موضوعها ومقصودها.

---

(١) انظر: علم مقاصد السور، د.محمد الربيعة، (٤٨/١).

(٢) انظر: معالم في الطريق، سيد قطب، (١٨/١).

الفصـل الأول

تعريـف عام بسـورة لقمـان، وبيـان مقاصـدها وأهدافـها.

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة لقمان.

المبحث الثاني: التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف سورة لقمان من آية (٢٢ –٣٤).

المبحث الأول

تعريف عام بسورة لقمان

ويشتمل على أربعة مطالب:

- **المطلب الأول:** أسماء السورة وعدد آياتها.
- **المطلب الثاني:** مكان وزمان وسبب نزولها.
- **المطلب الثالث:** فضائل السورة.
- **المطلب الرابع:** مقاصد سورة لقمان ومناسبتها.

المطلب الأول

أسماء السورة وعدد آياتها

أولاً: اسم السورة ووجه التسمية:

- **اسم السورة:**

سميت بسورة لقمان لورود قصة لقمان فيها، والسورة تسمى باسم ما ذُكر فيها أحياناً، وليس لها غير هذا الاسم، وبهذا عُرفت بين القراء والمفسرين [١].

- **وجه التسمية:**

ذكر ابن عاشور سبب ذلك فقال: "سَمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ بِإِضَافَتِهَا إِلَى لُقْمَانَ؛ لِأَنَّ فِيهَا ذِكْرَ لُقْمَانَ وَحِكْمَتِهِ وَجُمَلًا مِنْ حِكْمَتِهِ الَّتِي أَدَّبَ بِهَا ابْنَهُ" [٢]، "وَلُقمَانُ عليه السلام لَم يَرِد ذِكرُهُ فِي غَيرِهَا مِن سُوَرِ القُرآنِ" [٣].

ثانياً: عدد آياتها:

سورة لقمان سورة مكية، نزلت بعد سورة الصافات وقبل سورة سبأ، وهي من أواخر ما نزل بمكة، فقد نزلت بعد سورة الإسراء وقبل الهجرة [٤]، ومن العلماء من عدها ثلاثاً وثلاثين آية، ومنهم من عدها أربعاً وثلاثين آية.

قال الداني: وَهِي ثلاثون وثلاث آيات فِي عدد الْمَدَنِيين والمكي، وَأَرْبع فِي عدد البَاقِينَ، واختلافها في آيتين:

- **(الم)** : عدهَا الْكُوفِي، وَلم يعدها الْبَاقُونَ.
- **(مُخلصين لَهُ الدّين):** عدهَا الْبَصْرِيّ والشامي، وَلم يعدها الْبَاقُونَ [٥].

وعدد حروفها ألفان ومائة وعشرة، وكلماتها خمسمائة وثمانية وأربعون [٦].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ١٣٧).

(٢) المرجع السابق (٢١/ ١٣٧).

(٣) تبصير الرحمن وتيسير المنان، للمهايمي (١٤٣/٢).

(٤) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، د. عبدالله شحاته (٢٩٣/١).

(٥) انظر: البيان في عد آي القرآن، للداني (ص: ٢٠٦).

(٦) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري (٥/ ٤٢١).

المطلب الثاني

مكان وزمان نزولها

أولاً: مكان وزمان نزول السورة :

سورة لقمان هي السورة السابعة والخمسون في تعداد نزول السور، وهي السورة السابعة عشر من بين تسع وعشرين سورة، افتتحت بحروف الهجاء المقطعة، ترتيبها بين سور المصحف الشريف الحادية والثلاثون، توسطت سورتي الروم والسجدة على الترتيب[١]، وهي مكية كما هي عند جمهور المفسرين [٢].

وقال بعض العلماء أنها مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة، أولهن: **{لَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** (لقمان: ٢٧) [٣]، وقال بعضهم: هذه السورة مكية غير آيتين، أولهما: **{لَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** (لقمان: ٢٧) إلى آخر الآيتين، وقيل هي مكية إلا آية واحدة، وهي: **{الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}** (لقمان: ٤)، وهذا ضعيف؛ لأن وجوبهما بالمدنية، لا ينافي شرعيتهما بمكة [٤].

ثانياً: سبب نزولها:

لم يرد سبب نزول للسورة كاملة، بل ورد لبعض آياتها سبب نزول، وسأذكره في حينه.

المطلب الثالث

فضائل السورة

ورد حديثان صحيحان في فضل آيتين منها، وهما:

الحديث الأول: ما أخرَجَه البُخَارِيُّ ومُسلِمٌ فِي صَحِيحَيهِمَا، مِن حَدِيثِ عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ ﷺ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَت: **{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}**(الأنعام: ٨٢)، شَقَّ ذَلِك عَلى أصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ: أيُّنَا لم يَظلِمْ نَفسَهُ؟، فَقَالَ

---

(١) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري (٥/ ٤٢١).

(٢) انظر: المحرر الوجيز ، لابن عطية (٤/ ٣٤٥).

(٣) انظر: المرجع السابق (٤/ ٣٤٥) .

(٤) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٤/ ٤٩٠).

رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**لَيسَ ذَاكَ، إنَّمَا هُوَ الشِّركُ، ألم تَسمَعُوا قَولَ لُقمَانَ لابنِهِ: {يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}** (لقمان: ١٣) "[١].

الحديث الثاني: ما أخرَجَه البُخَارِيُّ ومُسلِمٌ فِي صَحِيحَيهِمَا أيضاً، مِن حَدِيثِ ابنِ عُمَرَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "**مَفَاتِحَ الغَيبِ خَمسٌ، لا يَعلَمُهُنَّ إلا اللهُ،** ثُمَّ قَرَأَ ﷺ: **{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}** (لقمان: ٣٤)"[٢].

وقد ورد في فضل السورة مجتمعة حديث واحد وهو:

عنِ البَراء بن عازبٍ، قال: " كان رسول الله ﷺ يصلِّي بنا الظُّهر، فنسمَعُ منه الآية بعد الآيات من سورة لقمانَ والذاريات"[٣].

المطلب الرابع

مقاصد سورة لقمان ومناسبتها

أولاً: مقاصد سورة لقمان:

سورة لقمان من السور التي عالجت موضوع العقيدة في نفوس المشركين، وتعنى بالتركيز على الأصول الثلاثة لعقيدة الإيمان وهي الوحدانية والنبوة والبعث والنشور كما هو الحال في السور المكية.

ومقصودها هو: "بشارة المؤمنين بنزول القرآن عليهم، والأَمر بإقامة الصَّلاة، وأَداءِ الزَّكاة، والشكاية من قوم اشتغلوا بلَهْو الحديث، والشكاية من المشركين في الإعراض عن الحقِّ، وإقامة الحجّة عليهم، والمِنَّة على لقمان بما أُعطِى من الحكمة، والوصيّة ببرّ الوالدين، ووصية لقمان لأَولاده، والمِنَّة بإسباغ النعمة، وإلزام الحجّة على أَهل الضَّلالة، وبيان أَنَّ كلمات القرآن بحور المعاني، والحجّة على حَقِّيَّة البَعْث، والشكاية من المشركين بإقبالهم على الحق في وقت المِحْنة، وإعراضهم عنه في وقت النعمة، وتخويف الخَلْق بيوم القيامة"[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ولقد آتينا لقمان الحكمة، ح(٣٤٢٩)(١٦٣/٤)، وصحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: صدق الإيمان وإخلاصه، ح(١٩٧) (١١٤/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: إن الله عنده علم الساعة، ح(٤٧٧٧)(١١٥/٦)، وصحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الإسلام ما هو وبيان خصاله ،ح (٧)(٤٠/١).

(٣) أخرجه النسائي، كتاب: جامع ما جاء في القرآن، باب: القراءة في الظهر ح(٩٧٠)(٥٠٣/٢)، وضعفه الالباني في السلسة الضعيفة، ح(٤١٢٠)(١٢٠/٩).

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي (٣٧٠/١-٣٧١).

وقد ذكر الدكتور وهبة الزحيلي مقاصد وأهداف السورة في نقاط: [1]

١. بيان معجزة النبي ﷺ الخالدة وهي القرآن، وموقف الناس منه، قال تعالى: **{الم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**(لقمان:١-٥)

٢. الحديث عن أدلة وحدانيته وقدرته الباهرة من خلق العالم والكون، قال تعالى: **{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠) هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}** (لقمان:١٠-١١)

٣. بيان قصة لقمان الحكيم ووصاياه الخالدة لابنه، قال تعالى: **{وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}** (لقمان:١٢-١٩)

٤. النعي على المشركين في تقليدهم لأباءهم، وجحودهم نعم الله الكثيرة، قال تعالى: **{ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٢٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ}**(لقمان:٢٠-٢١)

---

(١) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (١٢/١٢٦-١٢٧) .

٥. بيان الأمر بالتقوى والخوف من عذاب يوم القيامة، وعدم الاغترار بمتاع الدنيا وزخارفها، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ}** (لقمان:٣٣)

٦. التنبيه على مفاتيح الغيب الخمسة التي اختص الله بعلمها، وأن الله محيط علمه بالكائنات جميعها، قال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}** (لقمان:٣٤).

ثانياً: مناسبة السورة:

١. مناسبة افتتاح السورة لمضمونها:

إنّ مضمون سورة لقمان يركز على حكمة لقمان كما ورد ذلك في وصاياه لابنه، وكذلك في بيان قضية العقيدة التي تتلخص في توحيد الخالق وعبادته والإيمان بما جاء في كتابه، واليقين بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب وتدبر الكون، الذى ينطق بقدرة الله ووحدانيته وهى في كل ذلك منسجمة مع ما افتتحت به.

٢. مناسبة السورة لما قبلها:

من أسرار القرآن الكريم مناسبة فاتحة السورة لخاتمة التي قبلها، وتعلقها بها سواء أكان ذلك ظاهرًا جليًّا أم كان خفيًّا دقيقًا يحتاج إلى تأمل ونظر [١]، وأما عن مناسبة سورة لقمان بخاتمة سورة الروم فقد جاءت بعدة وجوه منها: [٢]

أ- قال تعالى في خاتمة سورة الروم، **{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ}** (الروم: ٥٨)، وأشار إلى ذلك في مطلع لقمان بقوله: **{الم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ }** (لقمان :١-٢).

ب- قال في سورة الروم من نفس الآية، **{وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ}** (الروم: ٥٨) وجاء في أول لقمان: **{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}** (لقمان: ٧)

---

(١) انظر: روح المعاني، للألوسي، (٦٥/٢١).

(٢) انظر : تفسير المراغي، (٧١/٢١).

ت- قال في سورة الروم، **{وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }**(الروم: ٢٧)، وقال هنا، **{مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }** (لقمان: ٢٨)، ففي كلتيهما إفادة سهولة البعث.

ث- ذكر في سورة الروم، **{وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ}** (الروم: ٣٣)، وقال هنا، **{وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ}** (لقمان: ٣٢)، فذكر في كل من الآيتين قِسْماً لم يذكره في الآخر.

ج- ذكر في السورة التي قبلها محاربة ملكين عظيمين لأجل الدنيا، وذكر هنا قصة عبد مملوك زهد فيها، وأوصى ابنه بالصبر والمسألة، وذلك يقتضى ترك المحاربة [١].

والذي يبدو لي من خلال ما سبق أنّ الكلام في خاتمة الروم ومطلع لقمان متعلق بموضوع واحد، وهو: القرآن الكريم وشمول آياته وإحكامها وجحود الكافرين بها وإنكارهم لها وإعراضهم عنها إلى لهو الحديث ثم المصير الذى ينتظرهم من الله تعالى فيطبع على قلوب الذين كفروا بها وصدوا عنها وهو ما جاء في الروم، ويتوعد المعرضين المستهزئين الذين أنفقوا أموالهم لصرف الناس عن تدبر آيات الله بالعذاب المهين يوم القيامة وهو ما جاء في لقمان.

٣. مناسبة السورة لما بعدها:

إنَّ سورة لقمان تستكمل مع سورة السجدة موضوع العقيدة، فقد ذكر الله سبحانه وتعالى في أواخر سورة لقمان مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا هو، وقد تضمنها قوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}** (لقمان:٣٤)، وهى من أدلة توحيده، وإذا كانت سورة لقمان قد تناولت دلائل التوحيد منذ بدأ الخلق وهو الأصل الأول، ثم ذكرت المعاد والمحشر وهو الأصل الثاني الذى ختمت به السورة، ذَكَرَ في افتتاح سورة السجدة الأصل الثالث، وهو تبيين الرسالة والكتاب والقرآن [٢].

---

(١) انظر: في رحاب التفسير، للشيخ كشك (٣٩٥٦/٥).

(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٨/ ٤٢٨).

المبحث الثاني

التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف

سورة لقمان من آية (٢٢ -٣٤)

ويشتمل على أربعة مقاطع:

- **المقطع الأول:** تسلية الرسول وتمسك المسلمين بالعروة الوثقى.
- **المقطع الثاني:** تذكير المشركين بدلائل وحدانية الله تعالى وقدرته.
- **المقطع الثالث:** النظر إلى الكون وعجائبه، وبيان حال المشركين في الشدة والرخاء
- **المقطع الرابع:** الأمر بتقوى الله تعالى، وبيان مفاتح الغيب.

المقطع الأول

تمسك المسلمين بالعروة الوثقى وتسلية الرسول ﷺ

قال تعالى: {وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٢٢) وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٣) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ} [لقمان: ٢٢ – ٢٤]

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى حال الكافر المجادل في الله بغير علم، أردف ذلك بذكر حال المسلم المفوض أمره إلى الله، ثم سلى رسوله ﷺ على ما يلقاه من إعراض المشركين عن دعوته، وبين له أنه قد بلغ رسالات ربه، وتلك وظيفة الرسل، وعلي الله الحساب والجزاء، فهو يجازيهم بما يستحقون من العذاب الغليظ في جهنم، وبئس المصير [١] .

ثانياً: التحليل اللغوي:

١. **(وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ)**: "أي يُخْلِصْ دِينَهُ لِلَّهِ، وَيُفَوِّضْ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ" [٢].

وفيها ثلاثة معان: **أحدها:** الاخلاص لله، و**الثاني:** الطاعة لله، **الثالث:** الاستسلام لله [٣].

٢. **(وهو مُحسِنٌ)**: "المحسن: الذي جمع القول والعمل"[٤] .

٣. **(العروة الوثقى)**: وجاءت بعدة معانٍ منها: الايمان، والاسلام، ولا إله إلا الله، والقرآن، والحب في الله والبغض في الله[٥] .

وكل هذه الأقوال لا تعارض بينها، لأن من تمسك بلا إله إلا الله فقد تمسك بالإيمان والإسلام والقرآن، والمقصود أنه تمسك بالدين القويم الذي ثبتت قواعده ورسخت أركانه، وكان المتمسك به على ثقة من أمره لكونه استمسك بالعروة الوثقى التي لا انقطاع لها.

---

(١) انظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري (٢٢/ ٢٨١)

(٢) تفسير البغوي (٦/ ٢٩١).

(٣) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٤٣).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٥٣).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٥٢٣).

٤. **(ومن كفر)**: أصل الكفر في اللغة "التغطية والستر"[١]، ويطلق على الجحود وكفران النعمة [٢]، قال ابن تيمية "والكفر إنما يكون بإنكار ما عُلِمَ من الدين ضرورةً، أو بإنكار الأحكام المتواترة والمجمع عليها ونحو ذلك" [٣].

٥. **(عليم بِذَاتِ الصُّدُورِ)**: "عليم بمَا فِي خَوَاطِرِ النَّاسِ مِنَ النَّوَايَا[٤].

٦. **(نضطرهم)**: "نلجئهم ونلزمهم"[٥].

٧. **(عذاب غليظ)**: "عذاب شديد ثقيل"[٦].

ثالثاً: البلاغة :

١. **(وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ)**: "مجاز مرسل في (وَجْهَهُ) وهو من قبيل إطلاق الجزء وإرادة الكل"[٧].

٢. **(وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ)، (وَمَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ)**: "بينهما ما يسمى بالمقابلة"[٨].

٣. **(فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى)**: "تشبيه تمثيلي، شبّه من تمسك بالإسلام بمن أراد الصعود إلى قمة جبل، فتمسك بأوثق حبل"[٩].

٤. **(وإلى الله عاقبة الأمور)**: تقديم ما حقه التأخير في قوله (إلى الله) لإفادة الحصر، وذلك رداً على الكفرة في زعمهم مرجعية آلهتهم لبعض الأمور[١٠]، فالأمور عاقبتها ترجع إليه وحده.

٥. **(ثم نضطرهم)**: "استعارة مكنية فقد شبه إلزامهم التعذيب وإرهاقهم إياه باضطرار المضطّر إلى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه"[١١]، والتعبير بالاضطرار يلقي ظل الهول الذي يحاول الكافر ألا يواجهه، مع عدم مقدرته على دفعه، لأنه لا يريده لكنَّه يُجْبَرُ عليه والعِيَاذُ بالله.

---

(١) مفاتح الغيب، للرازي (٧/ ٦٤).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، (ص:٤٣٣).

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (١٠٦/١).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٧/ ٣٦٧).

(٥) التفسير الوسيط ، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (٨/ ٩٧).

(٦) انظر: المرجع السابق (٨/ ٩٧).

(٧) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ١٦٢).

(٨) المرجع السابق (٢١/ ١٦٢).

(٩) المرجع السابق (٢١/ ١٦٢).

(١٠) انظر: روح المعاني، للألوسي (١١/ ٩٤).

(١١) الجدول في إعراب القرآن، محمود صافي (٢١/ ٩١)

٦. **(عَذابٍ غَلِيظٍ)**: "استعارة الغلظ للشدة؛ لأنه إنما يكون للمادة الكثيفة، فاستعير للمعنى"[١].

رابعاً: المعنى الاجمالي:

١. تمسك المسلمين بالعروة الوثقى

على مر العصور فإن تمسك المسلمين بدينهم وأخلاقهم من أعظم ما جر أهل الكفر للدخول في الإسلام[٢]، وهو خير دليل على أنه مفتاح نصرهم وإن قلّ عددهم وعدتهم[٣].

وقد سُئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن العروة الوثقى؟ فأجاب: "العروة الوثقى: هي الإسلام، وسميت عروة وثقى لأنها توصل إلى الجنة" [٤]، وقيل: شبهت بالبناء الوثيق لأنه لا ينحل [٥].

٢. تسلية الرسول عليه الصلاة والسلام

تخبرنا الآيات عن حال الفريق الثاني من الناس، وهم الذين لم يجادلوا في الله ولم يتبعوا أسلوب تقليد الآباء والأجداد، بل آمنوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، إنَّه فريق المخلصين الذين اعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله، فليس الايمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل.

أما الذين جادلوا في الله بغير علم ولا هدي ولا كتاب منير وقلدوا الآباء والأجداد **{أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}** [البقرة: ٢٥٧]، فهؤلاء لا تحزن عليهم فإن مرجعهم الى الله **{إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا }** [النبأ: ٢٧ – ٢٨] ، هؤلاء هم الذين غرتهم الحياة الدنيا **{ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ }** [آل عمران: ١٩٦– ١٩٧] [٦]، ومتاع الحياة الذي يخدعهم قليل، قصير الأجل، زهيد القيمة، «**نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا**»، والعاقبة بعد ذلك مروعة، وهم مدفوعون إليها دفعاً لا يملكون ردها: «**ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلى عَذابٍ غَلِيظٍ**»، والتعبير بالاضطرار يلقي ظل الهول الذي يحاول الكافر ألا يواجهه، مع العجز عن دفعه، فأين هذا ممن يسلم وجهه إلى الله ويستمسك بالعروة الوثقى، ويصير إلى ربه في النهاية هادئ النفس مطمئن الضمير [٧].

---

(١) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ١٦٢)

(٢) انظر: فتاوى الشبكة الإسلامية (١٣/ ١٦٣٤٣)

(٣) انظر: التتار من البداية إلى عين جالوت، راغب السرجاني (١٠/ ١)

(٤) فتاوى نور على الدرب، لابن عثيمين (ص: ١٢١٨).

(٥) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٤٤).

(٦) انظر: في رحاب التفسير، كشك (٤٠٢٣/٢١-٤٠٢٤)

(٧) انظر: في ظلال القرآن (٥/ ٢٧٩٤)

وفي هذه الآيات تسلية للنبي ﷺ فيما كان يقاسيه من قومه من فنون البلاء والعذاب، ووعد له في هلاك أعداءه الظالمين[١].

سادساً: الهدايات المستنبطة من المقطع:

١. دلت الآيات على أن الناس في الآخرة، فريقان: فريق في الجنة، وفريق في السعير، فمن أخلص عبادته وقصده إلى الله تعالى، فهو من الناجين، ومن أشرك بالله، فإن الله سيجازيه يوم القيامة[٢].

٢. يشترط لقبول العمل: إخلاص العبادة لله وعدم الشرك به، ووجوب طاعة الرسول ﷺ واتباع ما شرعه، وترك البدع والمحدثات[٣] .

٣. بينت الآيات أهمية الاستسلام لله والانقياد له وإحسان العمل من أجل مرضاته.

٤. "الإحسان مرتبة أعلى في الإسلام"[٤] .

٥. إنَّ عواقب الأمور مرجعها إلى الله عز وجل، فهو الذي بيده ملكوت كل شيء، لذا ينبغي لمن أسلم وجهَه لله وهو محسن أن يصبر ويحتسب؛ لأنَّ العاقبةَ له.

٦. شدة حرص النبي ﷺ على هداية الناس جميعاً لكونه يَحْزَن لمن لا يؤمن، مع أن عدم إيمان الناس لا يضره شيئاً، ولذلك فإنَّ المسلم الحق يحزن ويتألم لكفر الكافر وانحراف العاصي.

٧. ينبغي للإنسان أنْ يعلم أنَّ الله عزّ وجل مطلع عليه، فهو الذي يعلم السرَّ وأخفى.

٨. أنَّ الكافِرَ قد يُمَتَّعُ في الدنيا أكْثَرَ مما يُمَتَّعُ المُؤْمِن ولكن متاعه في الدنيا قَلِيل زائل، قال النبي ﷺ: "**مَوْضِعُ سَوطِ في الجنة خَيْرٌ مِن الدنيا وما فيها** "[٥]، فكل ملذات الدنيا ومتاعها ومتاعها قليل، لأنها تنتهي بموت صاحبها.

---

(١) انظر: لطائف الإشارات، القشيري (٢/ ٦٣٦)

(٢) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ١٦٣)

(٣) انظر: التوحيد وأثره في حياة المسلم، لحمد الحريقي (ص:٤٨)

(٤) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير(٦/٣٩)

(٥) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: مثل الدنيا في الآخرة، ح (٣٢٥٠) (٤/ ١١٩)

المقطـع الثانـي

تذكير المشركين بدلائـل وحدانيـة الله تعالى وقدرتـه

قال تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٥) لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٦) وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [لقمان: ٢٥ – ٢٨]

أولاً: المناسبـة:

بعد إقامة الأدلة على وحدانيته بخلق السموات بغير عمد، وبنعمه الظاهرة والباطنة، بيّن أنهم معترفون بذلك غير منكرين له، وأنهم يتضرعون إليه وقت الشدة، ثم يعودون إلى كفرهم بعد النجاة، ثم أثبت تعالى وحدانيته بملكه ما في السموات وما في الأرض، ثم أقام الدليل على سعة علمه، وشمول قدرته على كل شيء، ومنه خلق الناس وبعثهم(١).

ثانياً: سبب النزول:

قوله تعالى: { وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [لقمان: ٢٧]

قال المفسّرون: سَأَلَتِ اليهودُ رسولَ الله ﷺ عن الرّوح، فأنزل الله بمكّة: **{ويسألونك عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحَ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}** (الإسراء:٨٥)، فلمّا هاجر النبي ﷺ إلى المدينة أتاه أحبار اليهود، فقالوا: يا محمّد بلغنا عنك أنّك تقول: **{وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}**، أَفَتَعْنِينَا أم قومك؟ فقال: كلّا قد عنيت، قالوا: ألست تتلوا فيما جاءك، إنّا قد أوتينا التّوراة وفيها علم كلّ شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: هي في علم الله قليل، وقد آتاكم الله ما إنْ عملتم به انتفعتم به، فَقَالُوا: يَا محَمَّدُ كَيْفَ تَزْعم هَذَا؟ أنت تَقُول: **{وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا}**، فَكَيْفَ يَجْتَمِع هَذَا عِلْمٌ قَلِيلٌ وَخيْرٌ كَثِيرٌ؟ فَأَنزَل الله تعالَى: **{وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ...}** الْآيَةَ" (٢).

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٢٦)

(٢) انظر: أسباب النزول، للواحدي (ص: ٣٤٦)، تفسير الطبري (١٢/٥٠-٥١)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/٤٥١).

ثالثاً: التحليل اللغوي:

١. **(الْأَقْلَامُ)**: جمع قلم، وهو العود المشقوق الذي يكتب به [١].

٢. **(يَمُـدُّهُ)**: "يزيده" [٢]، "من مد الدواة إذا زادها من المداد وهو الحبر، ويطلق المد على مطلق الزيادة" [٣].

٣. **(نفدت)**: "ما فنيت ولا انتهت" [٤].

٤. **(سبعة أبحر)**: لا خلاف في أن العدد سبعة ليس مقصوداً بذاته وإنما المقصود التكثير، وقد ذُكِرت السبعة على وجه المبالغة لا الحصر [٥].

٥. **(كلمات الله)**: المراد بها: العلم وحقائق الأشياء [٦].

رابعاً: البلاغة:

١. **(من شَجَرَةٍ)**: وقد جاءت نكرة، لتشمل كل أنواع الشجر، حتى لا يبقى من جنس الشجر، ولا واحدة، إلا قد بُريت أقلاماً [٧].

٢. **(الْأَقْلَامَ)**: وقد جاءت بالجمع؛ وذلك للتكثير [٨].

خامساً: القراءات:

- **(وَالْبَحْرَ)**: قرأها أبو عمرو ويعقوب بنصب الراء.
- **(وَالْبَحْرُ)**: وقرأها الباقون برفع الراء [٩].

التوجيه:

فأما على قراءة النصب فإنه عطف على (ما) فيكون المعنى: وَلَو أَن مَا فِي الأَرْض من شجرة أقلام، وَلَو أَن الْبَحْر يمده من بعده سبعة أبحر [١٠].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ١٨٢).

(٢) تفسير البغوي (٦/ ٢٩٢).

(٣) التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٠٠).

(٤) المرجع السابق (٨/ ١٠٠).

(٥) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/١٦٩).

(٦) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١٠/ ٢٩٧).

(٧) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ١٦٦).

(٨) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٢٧٩).

(٩) انظر: النشر، لابن الجزري (٢/٣٤٧).

(١٠) انظر: حجة القراءات، لابن زنجلة (ص: ٥٦٧).

وأما على قراءة الرفع فإنه اعتبر الواو واو حال فيكون المعنى: وَالْبَحْرُ هَذِه حَاله، وقيل أنه يجوز أن تكون الواو معطوفة على موضع (إن) مع ما بعدها [١].

الجمع بين القراءتين:

تدل القراءتان: "على إحاطة علم الله تعالى بكل شيء ولا يغيب عن علمه مثقال ذرة في السماء والأرض، وكلمات الله تعالى هي تصوير لعلمه الذي لَا يحصى"[٢].

سادساً: المعنى الإجمالي:

١. **تذكير المشركين بدلائل وحدانية الله تعالى**

يخبر الله تعالى عن هؤلاء المشركين المعاندين: بأنهم يعترفون بأن الله خلق السموات والأرض، ومع اعترافهم بهذا إلا أنهم يشركون به، **{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ}**، وعندما تظهر الحجة عليهم، فقل الحمد لله الذى أنطقهم بالحق، وفي هذا دعوة إلى النبي ﷺ، وإلى كل مؤمن، بالتعقيب على هذا الجواب بحمد الله، الذي خلق السموات والأرض، فهذا الخلق نعمة تستوجب الحمد والشكر للخالق [٣].

(ولكنّ أكثرهم لا يعلمون): لعنادهم لا يتدبرون ولا يتفكرون حتى يعلموا أن الله خالق هذه الأشياء وهو الذي تجب له العبادة دون غيره، وهو الغني عما سواه، فلا يحتاج معه إلى غيره[٤]، غيره[٤]، وكل شيء فقير إليه.

٢. **ملك الله المطلق**

الله سبحانه وتعالى وحده له ما في السموات والأرض، **(لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيد)**، وإنه ليملك من هؤلاء المشركين ما لا يملكون هم من أنفسهم، فكيف يكون الخالق في حاجة إليهم؟ «**ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ**»(ص:٢٧) [٥].

وقد قرن سبحانه بين الغني والحميد في مواطن كثيرة من القرآن الكريم، وعلل القرطبي ذلك فقال: "لأنه ليس كلُّ غنيٍّ نافعًا بغناه، إلا إذا كان الغني جَوَادًا مُنعِمًا، وإذا جادَ وأنعم حَمِدَهُ

---

(١) انظر: حجة القراءات، لابن زنجلة (ص: ٥٦٧) .

(٢) زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٩/ ٤٥٩٨)

(٣) انظر: التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٥٨١)

(٤) انظر: الأسماء والصفات، للبيهقي (١/ ١٠٣).

(٥) انظر: التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٥٨٢)

المُنعَمُ عليهم، واستحقَّ عليهم الحمد، وليدلَّ به على أنه الغني النافع بغِناه خلقَه، الجَوَاد المُنعِم عليهم، المستحق بإنعامه عليهم أن يحمدوه"[١].

٣. **كلمات الله لا تنفد**

يخبرنا سبحانه وتعالى عَنْ سعة عظمته وكبريائه وجلاله، وكلماته التامة التي لا يحيط بها أحد، فَقَالَ تَعَالَى: **{وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ..}**، فلو أن جميع أشجار الأرض جُعلت أقلاماً، وجُعل البحر مداداً ومده سبعة أبحر معه، فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت الأقلام، ونفد ماء البحر، وما انتهت ولا نفدت كلمات الله.

وهذا التمثيل من باب تقريب المعنى، الذي لا يطاق الوصول إليه إلى الأفهام والأذهان، وإلا فالأشجار، وإن تضاعفت على ما ذكر، أضعافا كثيرة، والبحور لو امتدت بأضعاف مضاعفة، فإنه يتصور نفادها وانقضاؤها، لكونها مخلوقة، وأما كلام الله تعالى، فلا يتصور نفاده[٢].

ثم قال، **{إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}، فالعزيز**: هو الممتنع الذي لا يغلبه شيء، وقيل: هو القوي الغالب [٣]، وعزة الله سبحانه وتعالى تجتمع فيها كل هذه المعاني المذكورة، **والحكيم**: الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب [٤]، ولهذا كثيراً ما يقترن هذان الاسمان في آيات التشريع والتكوين والجزاء ليدل عباده على أن مصدر ذلك كله عن حكمة بالغة وعزة قاهرة [٥].

٤. **يسر الخلق وسهولة البعث**

ثم ذكر عظمة قدرته وكمالها، بأن خلق جميع الخلق، وبعثهم بعد موتهم، وما هذا بالنسبة إلى قدرته إلا كخلق نفس واحدة، فقال: **{مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ}**، فهو سبحانه، **{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** [يس: ٨٢] [٦].

ثم ذكر عموم سمعه لجميع المسموعات، وبصره لجميع المبصرات فقال: **{إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}**، والسميع: بمعنى السامع، إلا أنه أبلغ في الصفة، وهو الذي يسمع السر والنجوى، سواء

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٠١٥/١٤).
(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٦٥١)
(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣٧٥/٥).
(٤) انظر: كتاب المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي (١٩١/١).
(٥) انظر: مفتاح دار السعادة، لابن القيم (٤٨٥/٢) .
(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٦٥١)

عنده الجهر والخفت، والنطق والسكوت، وقد يكون بمعنى قبول الإجابة، كقول النبي ﷺ: **(اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ومن دعاء لا يسمع)**[١] أي من دعاء لا يستجاب، ومن هذا قول المصلي: سمع الله لمن حمده [٢]، **وأما البصير**: "فهو الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسموات، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة" [٣]، فهو سبحانه وتعالى البصير الذي يشاهد كل هذه الأشياء، ظاهرها وخفيها، يبصر خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يشاهد ويرى ولا يغيب عنه ما فوق السموات العلا أو ما تحت الثرى.

سابعاً: الهدايات المستنبطة من المقطع:

١. اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية لقوله تعالى: **{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ}** (لقمان:٢٥).

٢. انكار المشركين لتوحيد الألوهية، فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها، وتوحيد الألوهية مفترق الطرق بين المؤمنين والمشركين [٤].

٣. إقرار الخلق بالله من جهة ربوبيته أسبق من إقرارهم به من جهة ألوهيته، فالنفس البشرية بحاجة إلى رب يدبر شؤونها ويقوم على أمور حياتها، ثم تأتي الرسل بعد ذلك لدعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له [٥].

٤. إنَّ أكثر هؤلاء المشركين كانوا لا يعلمون إما للجهل وإما لعدم الانتفاع؛ لِقولِه: **(بل أكثرُهم لا يعْلَمُون)**.

٥. "إعمال العقل والتفكير في ملكوت السموات والأرض"[٦].

٦. أنَّ لله جميع ما في السموات، والأرض، وأنه الغني عن خلقه وعن عبادتهم، وإنما أمرهم بالعبادة لينفعهم[٧].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الدعوات، باب: من دعاء النبي ﷺ ح(٧٠٠٥)(٨/٨١).

(٢) انظر: شأن الدعاء، للخطابي (ص ٥٩).

(٣) الحق الواضح المبين، عبدالرحمن آل سعدي (ص٣٦).

(٤) انظر: تجريد التوحيد، للمقريزي (ص: ٢٠-٢١).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٤/١٤-١٥).

(٦) التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ٧٧).

(٧) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ١٧٣).

٧. إنّ كلمات الله سبحانه لا تنفد، ولا نهاية لها، ولا يمكن حصرها ولا عدها، ولو كانت الأشجار أقلاماً، والبحار مداداً، فكتب بها عجائب صنع الله الدالة على قدرته ووحدانيته لم تنفد تلك العجائب، وإذا كانت معاني كلام الله لا نهاية لها، فعلم الله بحقائق الأشياء لا يمكن حصره، وإنما هو واسع شامل[١].

٨. رد على منكري البعث من المشركين، حيث بين لهم أن الله الذي خلقهم أول مرة قادر على أن يبعثهم مرة أخرى.

٩. إثبات قدرة الله تعالى على الخلق والبعث والنشور، ودلالة هذا كله على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في رسالته ونزول القرآن عليه.

---

(١) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ١٧٤).

المقطع الثالث

النظر إلى الكون وعجائبه، وبيان حال المشركين في الشدة والرخاة

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ(٢٩) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ(٣٠) أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ} [لقمان: ٢٩ – ٣٢]

أولاً: المناسبة:

لما ذكر الله تعالى بأنه سخر للإنسان ما في السموات وما في الأرض، بقوله، **(ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض)** [لقمان: ٢٠]، وهذه الآية على عمومها، ثم ذكر بعض ما هو فيهما على وجه الخصوص فقال: **{يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ...}**، وبعض ما في السموات بقوله: **{وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ}**، وبعض ما في الأرض بقوله: **{أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ}** ثم ذَكَرَ أن كل المشركين معترفون بتلك الآيات، إلا أن البصير يدركها على الفور، ومن في بصيرته ضعف لا يدركها إلا إذا وقع في شدة وأحدق به الخطر[١].

ثانياً: التحليل اللغوي:

١. **(ألم تر)**: الخطابُ لرسول الله ﷺ، وقيل عام لكل من يصلح له الخطاب.[٢]

٢. **(يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل)**: في معنى الإيلاج قولان، **أحدهما:** أنه يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار وذلك بغياب الشمس ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطلوع الشمس، **القول الثاني:** هو ما يزيد في أحدهما وينقص من الآخر من الساعات وذلك لا يقدر عليه إلا الله تعالى[٣].

---

(١) انظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري (٢٢/ ٢٨٢).

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري (٢٠/ ١٥٧).

(٣) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣/ ٢٦٣).

٣. **(أجلٍ مسمى):** "وقت معين في علم الله"[١].

٤. **(الفلك):** "السفن" [٢].

٥. **(غشيهم):** "علاهم وغطاهم"[٣].

٦. **(موجٌ كالظلل):** "كالجبال، وقيل كالسحاب"[٤]، وذلك " في ارتفاعه وتغطيته ما تحته" [٥].

٧. **(فمنهم مقتصد):** أي مؤمن متمسك بالتوحيد والطاعة، وقيل: المقتصد المتوسط بين السابق بالخيرات، والظالم لنفسه، وهو الذي تساوت سيئاته وحسناته،وقيل: متوسط بين الكفر والإيمان[٦].

٨. **(ختَّار):** "الختر: أسوأ وأقبح الغدر" [٧] أي غَدَّارٍ.

٩. **(كفور):** جحوداً للنعم، غير شاكر لها[٨].

ثالثاً: البلاغة:

١. **(يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل):** "تمثيل لتعاقب الظلمة والضياء بولوج أحدهما في الآخر" [٩]، والابتداء بالليل: "لأن أمره أعجب فكيف تغشى ظلمته تلك الانوار النهارية" [١٠].

٢. **(كل يجري إلى أجل مسمى):** "الجري: المشي السريع وقد استعير لانتقال الشمس في فلكها وانتقال الأرض حول الشمس وانتقال القمر حول الأرض، تشبيهاً بالمشي السريع لأجل شسوع المسافات التي تقطع في خلال ذلك" [١١]، "وزيادة قوله (إلى أجل مسمى): للإشارة إلى أن لهذا النظام الشمسي أمداً يعلمه الله، فإذا انتهى ذلك الأمد بطل ذلك التحرك والتنقل، وهو

---

(١) التفسير الوسيط، للطنطاوي (١٤/ ٢٥).

(٢) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ١٦٦).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٤/ ٢١٧).

(٤) الوجيز، للواحدي (ص: ٨٥١).

(٥) إيجاز البيان عن معاني القرآن، للنيسابوري (٢/ ٦٦٠).

(٦) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، لمحمد صديق خان (١٠/ ٣٠١).

(٧) مجاز القرآن، لأبي عبيدة (٢/ ١٢٩)، تفسير غريب القرآن، للكواري (٣١/ ٣٢).

(٨) انظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري (٢٢/ ٢٨٢).

(٩) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ١٨٥).

(١٠) المرجع السابق (٢١/ ١٨٥).

(١١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ١٨٥)

الوقت الذي يؤذن بانقراض العالم فهذا تذكير بوقت البعث"[١].

٣. **(ذلك)**: "إشارة إلى ما تُلي من الآياتِ الكريمةِ وما فيه من معنى البُعد للإيذان ببُعد منزلتِها في الفضل".[٢]

٤. **(وإذا غشيهم موج كالظلل)**: "الظلل، جمع ظلة شَبَّهَ بِهَا الْمَوْجَ فِي كَثْرَتِهَا وَارْتِفَاعِهَا"[٣].

٥. **(فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ)**: "فيه إيجاز بالحذف، والمعنى: فمنهم مقتصد ومنهم كافر، دل على المحذوف قوله تعالى: **(وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ)**"[٤].

٦. **(صبَّارٍ شَكُورٍ)**،**(خَتَّارٍ كَفُورٍ)**: "صيغ مبالغة، وفيها ما يسمى توافق الفواصل أو السجع"[٥].

[٥].

رابعاً: القراءات:

- **(يَدْعُونَ)**: قرأها أبو عمرو وحفص وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف بياء الغيب.
- **(تَدْعُونَ)**: وقرأها الباقون بتاء الخطاب.[٦]

التوجيه: علاقة بلاغية باستخدام اسلوب الالتفات من الخطاب الى الغيبة، فمن قرأها بالياء حمله على لفظ الغيبة، ومن قرأه بالتاء حمله على لفظ الخطاب، لأن بعده (يا أيها الناس)، وهو أقرب إليه، والمخاطب الكفار والمشركون[٧] .

خامساً: التفسير الاجمالي:

١. النظر إلى الكون وعجائبه

يتوالى تذكير البشر بالنعم الدالة على قدرة الله، وسعة علمه، فمن ذلك إيلاج الليل في النهار، والنهار في الليل، وزيادة أحدهما ونقص الآخر عند اختلاف فصول السنة في دورة كونية مستمرة دائمة، دقيقة منظمة، ومن ذلك أيضاً تسخير الشمس والقمر، كل منهما يجري في فلكه إلى أجل مسمى وبانتظام دائم[٨].

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ١٨٥)

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود (٧/ ٧٦)

(٣) تفسير البغوي، (٣/ ٥٩٢)

(٤) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ١٦٥)

(٥) المرجع السابق، (٢١/ ١٦٥)

(٦) انظر: النشر، لابن الجزري (٣٢٧/٢)

(٧) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، سراج الدين النشار(١٩٩/٣)

(٨) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣١٣)

ومشهد دخول الليل في النهار، ودخول النهار في الليل، مشهد عجيب حقاً، ولكن كثرة تكراره أفقد أكثر الناس الحساسية تجاهه فلا يلحظون هذه العجيبة، التي تتكرر بانتظام دقيق، لا يتخلف مرة ولا يضطرب، والله وحده هو القادر على إنشاء هذا النظام وحفظه[١].

"وعلاقة تلك الدورة بالشمس والقمر وجريانهم المنتظم علاقة واضحة، وتسخير الشمس والقمر عجيبة أضخم من عجيبة الليل والنهار ونقصهما وزيادتهما، وما يقدر على هذا التسخير إلا الله القدير الخبير، وهو الذي يقدر ويعلم أمد جريانهما إلى الوقت المعلوم" [٢].

وهذا كله من الآيات الباهرة المعجزة، التي تدل على وجود الله تعالى، وكمال قدرته، وذلك لما يراه الناظر من الانتظام الدقيق، في دوران هذه الأجرام وجريانها؛ بحيث لا تخطيء أبداً.

وتعقيباً على هذه الظواهر الكونية التي سخرها الله لكافة الخلق، ولا يستطيع تدبيرها وتسييرها إلا الإله الخالق الحق، قال تعالى: **{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}** فالعاجز عن الإيجاد والإمداد، ليس له أي اعتبار [٣].

٢. تسخير الآيات الكونية لمصلحة الإنسان

ثم ينتقل سبحانه وتعالى بالحديث عن ظاهرة كونية أخرى وهي ظاهرة الملاحة، التي تقوم بها السفن في البحر فتطفو على سطح الماء، فقال تعالى: **(أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ)**، فلولا أن الله تعالى خلق الماء في البحر على الصفة التي يمكن معها جريان السفن، ولولا أن الله هدى الإنسان إلى الطريقة الصالحة لبناء السفن، وهداه إلى الكشف عن العلاقة القائمة بين كثافتها وكثافة الماء، ولولا أن الله هداه إلى معرفة التيارات المائية والهوائية المنتظمة، لبقيت البشرية في قطيعة تامة، طيلة قرون وأجيال، ولما انتظم بين أبنائها تبادل ولا اتصال[٤]، كل ذلك ليرينا الله تعالى بعض آياته، ويجعلنا نشاهد بعض مظاهر قدرته في البحار، وفي ذلك علامات وعبر وعظات لكل صبّار على قضاء الله، شكور على نعمائه.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٢٧٩٦)

(٢) المرجع السابق (٥/ ٢٧٩٦)

(٣) انظر: التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري (٥/ ٧٢)

(٤) انظر: المرجع السابق (٥/ ٧٣)

٣. **بيان تغير المشركين في الشدة والرخاء**

ثم بين سبحانه وتعالى بعد ذلك أحوال الناس عند ما تحيط بهم المصائب وهم في وسط البحر فقال تعالى: "**وَإِذا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**". أي: وإذا ما ركب الناس في السفن، وأحاطت بهم الأمواج من كل جانب، وأوشكت أن تعلوهم وتغطيهم فإنهم في تلك الحالة لجئوا إلى الله وحده، يدعونه بإخلاص وطاعة وتضرع، أن ينجيهم مما هم فيه من بلاء، فَلَمَّا نَجَّاهُمْ وأوصلهم إِلَى الْبَرِّ[١]، انقسم الناس إلى قسمين: فمنهم مقتصد في الكفر، منزجر بعض الانزجار، متجه إلى توحيد الله، ومنهم غدّار ناقض للعهد، كافر بأنعم الله، وما يكفر بآياتنا الكونية والقرآنية إلا كل كثير الغدر، كفور بما أنعم الله عليه[٢].

سادساً: الهدايات المستنبطة من المقطع:

١. تقرير التوحيد وإبطال الشرك بذكر الأدلة المستفادة من مظاهر قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته[٣].

٢. "بيان ضَعْف الإنسان وحاجتِه؛ فإن ايلاجُ اللَّيل في النَّهار والعكس، وما يَنتجُ عنه من تقلُّبٍ في الفصول يُعرِّفُ الإنسانَ بمدَى ضَعْفِه وافتقارِه إلى ربِّه، فإنْ جاءَ البردُ احتاج إليه، وإنْ جاء الحرُّ احتاج إليه"[٤].

٣. إنّ التبادل بين الليل المظلم، والنهار المنير، يعيننا علي إدراك الزمن، وعلي تحديد الأوقات بدقة، لأنه بدونها لا تستقيم الحياة على الأرض، ولا يستطيع الإنسان أن يميز ماضياً من حاضر أو مستقبل، وبالتالي فإنه بدونها لابد وأن تتوقف مسيرة الحياة على هذه المعمورة، من هنا كان التدبر في ظاهرة تعاقب الليل والنهار دعوة إلى الخلق كافة للإيمان بالله، وإدراك شيء من بديع صنعه في هذه الحياة[٥].

٤. جعل الله الشروق والغروب في وقت محدد لا يتجاوزه ولا يقصر عنه، وينتهي وجودهما بانتهاء السموات والأرض يوم القيامة، ومن قدر على هذه الأشياء، فلا بدّ أن يكون عالماً بها، والعالم بها عالم بأعمالكم، لذلك لا بد من الإقرار بأن الله هو الله هو الحق، وأن ما عداه باطل زائل لا وجود له ولا حقيقة له[٦]، وقد قال النبي ﷺ في حديث أبى هريرة (**أَصْدَقُ كَلِمَةٍ**

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (١١/ ١٣٢)

(٢) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ١٧٣)

(٣) أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢١٧)

(٤) تفسير ابن عثيمين (١٦٧/١)

(٥) انظر: من آيات الاعجاز العلمي، الدكتور زغلول النجار،(ص ٤٢٢-٤٢٣)

(٦) انظر: التفسير المنير، للزحيلي، (٢١/ ١٧٤).

قَالَهَا الشَّاعِرُ، كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللَّهَ بَاطِلٌ)[1]، والدلائل على وحدانيته وقدرته كثيرة، وعبادة غيره باطل مضمحل.

٥. تعاقب الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر: آيات دالة على قدرة الله سبحانه، وعلى المؤمن أن يلتفت لها، وقد نظّم الله حركة الشمس والقمر والأرض والنجوم وقدّرها تقديراً، وجعلها تسير بدقة متناهية.

٦. فضيلة الصبر والشكر والجمع بينهما خير من افتراقهما[2]، لذلك لابد أن يحرص العبد على أن يجمع بينهما، فلنصبر عند الابتلاء بالمصائب، ولنشكر الله عند النعم التي لا تعد ولا تحصى، فالمسلم ما بين صبر وشكر وليس ذلك إلا للمؤمن وقد قال ﷺ عن المؤمن: **(عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)** [3]، فالصبر والشكر وسيلتان للاعتبار بآيات الله، وعلى المؤمن أن يجمع بين الأمرين.

٧. بيان أن المشركين أيام نزول القرآن كانوا يوحدون في الشدة ويشركون في الرخاء [4]، فالكافر لا يعرف الله إلا عند الشدة، وهو ينقض عهده معه عند الرخاء، وإيمانه في وقت الشدة، وكفره في وقت الرخاء لؤم عظيم.

٨. شر الناس الختار أي الغدار الكفور، فقد ذم الختر وهو أسوأ الغدر [5].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: مناقب الأنصار، باب: أيام الجاهلية، ح(٣٨٤١)، (٥/ ٤٢).

(٢) أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢١٧)

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الرقائق، بَابُ: الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، ح(٧٦١٠) (٨/ ٢٢٧)

(٤) أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢١٧)

(٥) المرجع السابق (٤/ ٢١٨)

المقطع الرابع

الأمر بتقوى الله تعالى، وبيان مفاتح الغيب

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ(٣٣)إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان: ٣٣-٣٤]

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر الله تعالى دلائل وحدانيته من أول السورة إلى آخرها، أمر الله تعالى عباده بتقواه والخوف منه وخشيته، لأنه تعالى لما كان واحداً أوجب التقوى البالغة، ثم أردفه ختاماً للسورة ببيان ما استأثر الله بعلمه، وهي مفاتح الغيب الخمسة[١].

ثانياً: سبب النزول:

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان: ٣٤]

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَفَاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لاَ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي المَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَلاَ تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ"[٢].

ثالثاً: التحليل اللغوي:

١. **(وَاخْشَوْا يَوْمًا)**: اليوم المراد: "هو يوم القيامة"[٣].

٢. **(لَا يَجْزِي)**: "لا يغني "[٤].

---

(١) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ١٧٧)

(٢) أسباب النزول، للواحدي (ص: ٣٤٧)، أخرجه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام) ح(٤٦٩٧) (٦/ ٧٩).

(٣) التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، (٨/ ١٠٦)

(٤) المرجع السابق (٨/ ١٠٦)

٣. **(وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُور)**: "فلا تلهينكم ولا تخدعنكم" [١]، وقيل: في تأويل الغرور أنه الشيطان؛ لأنه يغر الإنسان ويخدعه، وقيل: الأمل(وهو تمني المغفرة في عمل المعصية)، وقيل: أن تخفي على الله ما أسررت من المعاصي [٢].

وقد عرفه الخطيب فقال: "هو ما يغرّر الإنسان، ويدفعه به إلى مواطن البلاء، والشر من شيطان، أو مال، أو سلطان" [٣].

٤. **(الغيثُ)**: "المطر" [٤].

وقد ذكر الغيث ولم يذكر المطر؛ وذلك لأنه في معرض ذكر النعم، والمطر ورد في ذكر العذاب، والغيث في الأغلب خيراً وخصباً وبركة، أما المطر فينصرف إلى العذاب، "وسمي المطر غيثاً؛ لأنه غياث الخلق، به رزقهم، وعليه بقاؤهم فالغيث مخصص بالمطر النافع" [٥].

٥. **(ويعلم ما فِي الْأَرْحامِ)** : "من الذكورة والأنوثة، والتمام والنقص، والحياة والموت، وغير ذلك من خواص الجنين وأحواله وأعراضه" [٦].

رابعاً: البلاغـة:

١. **(وَاخْشَوْا يَوْمًا)**: "كِنَايَةٌ عَنْ إِثْبَاتِ الْبَعْثِ" [٧].

٢. **(لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا)**: وقد ذكر الوالد والولد؛ لأنهما أشد محبة من غيرهما، فيعلم أن غيرهما أولى بهذا النفي، قَالَ تَعَالَى: **(يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ)** (عبس: ٣٤– ٣٥)، وابتدئ بالوالد؛ "لأنه أشد شفقة على ابنه فلا يجد له مخلصاً من سوء إلا فعله" [٨].

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، (٨/ ١٠٦)

(٢) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٤٩)

(٣) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٥٩٣)

(٤) الوجيز، للواحدي (ص: ٨٥١)

(٥) انظر: روح البيان، لأبي الفداء (١٠٣/٧).

(٦) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ١٧٦).

(٧) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ١٩٣).

(٨) المرجع السابق (٢١/ ١٩٣)

وقد عبر (بمولود) دون (ولد): "لقصد التنبيه على أن تلك الصلة الرقيقة لا تُخَوِّلُ صاحبها التعرض لنفع أبيه المشرك في الآخرة وفاء له" [١]، فأراد سبحانه وتعالى حسم أطماعهم بأن ينفعوا آباءهم بالشفاعة في الآخرة، ومعنى التأكيد في لفظ المولود: إن الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته، فضلاً أن يشفع لأجداده[٢].

٣. **(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ)**: "أسلوب قصر، مؤكد بإنَّ، ويراد به قصر علم الساعة على الله وحده" [٣] أي: عنده لا عند غيره، فكلمة عنده، إشارة إلى اختصاصه بذلك العلم؛ لأن العندية شأنها الاستئثار [٤].

٤. **(وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ)**: جاء بالفعل المضارع؛ لإفادة تجدد نزول الغيث مرة بعد المرة عند احتياج الأرض [٥].

٥. **(وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ)**: جاء بالفعل المضارع؛ لإفادة تكرر العلم بتبدل الأطوار والأحوال.[٦]

٦. **(وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ)**: "كناية عن إثبات العلم بما تكسب كل نفس، والعلم بأي أرض تموت فيها كل نفس، فحصلت إفادة اختصاص الله تعالى بهذين العلمين، وقد عبر في جانب نفي معرفة الناس بفعل الدراية؛ لأن الدراية علم فيه معالجة للاطلاع على المعلوم، ولذلك لا يُعَبَّر بالدراية عن علم الله تعالى" [٧].

والمتأمل في الآية الأخيرة "يجد أن الله أضاف العلم إلى نفسه في الثلاثة من الخمسة المذكورة، ونفى العلم عن العباد في الأخيرتين منها، مع أن الخمسة سواء في اختصاص الله تعالى بعلمها، وانتفاء علم العباد بها، لأن الثلاثة الأولى أمرها أعظم وأفخم، فخصت بالإضافة إليه تعالى، والأخيرتان من صفات العباد، فخصتا بالإضافة إليهم مع أنه إذا انتفى عنهم علمهما كان انتفاء علم ما عداهما من الخمس أولى".[٨]

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ١٩٤)

(٢) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١٠/ ٣٠٢)

(٣) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٥٩٤).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ١٩٧).

(٥) انظر: المرجع السابق (٢١/ ١٩٧).

(٦) انظر: المرجع السابق (٢١/ ١٩٧).

(٧) المرجع السابق (٢١/ ١٩٨)

(٨) فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١٠/ ٣٠٥).

خامساً: القراءات:

- **(ويُنَزِّل)**: قرأها نافع وابن عامر وعاصم وأبو جعفر بفتح النون وتشديد الزاي.
- **(ويُنْزِل)**: قرأها الباقون بتخفيف النون وتخفيف الزاي [١].

التوجيه:

حجة من قراء بالتشديد للمبالغة في التنزيل الذي لا ينقطع إلا بانقطاع الانسان عن الحياة، ويدل أيضاً على التكثير والتكرير، ومن قرأ بالتخفيف لإفادة خبر النزول ، والتشديد والتخفيف لغتان من لغات العرب [٢].

سادساً: المعنى الاجمالي:

١. الأمر بتقوى الله تعالى

يأمر الله تعالى الناس بتقواه، التي هي امتثال أوامره، وترك زواجره، ويدعوهم لخشيته يوم القيامة، ذلك اليوم الشديد، حيث يجازى الناس فرادى كل بعمله، فلا ينفع أحد أحداً، **{لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا}**، فإنَّ الدنيا متاع الغرور، ومتاعها قليل فلا يغتر بها إلا مغرور **{فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا}** والدنيا بأجمعها من أول خلقها إلى نهايتها وبكل ما فيها من زينة وعمران وملذات ليست بالنسبة للآخرة إلا متاع قليل، **{قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى}** (النساء: ٧٧)، فهي دار الفناء والزوال وما سميت الدنيا إلا لدناءتها وحقارتها، قال رسول الله ﷺ: **(لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا من شربة ماء[٣])** [٤].

وخص سبحانه الوالد والمولود بالذكر، "لأن رابطة المحبة والمودة بينهما هي أقوى الروابط وأوثقها، فإذا انتفى النفع بينهما في هذا اليوم، كان انتفاؤه بالنسبة لغيرهما من باب أولى" [٥].

٢. بيان مفاتح الغيب الخمس

ثم يختم الله تعالى السورة بمفاتح الغيب الخمسة التي استأثرها عنده وهي:

---

(١) انظر: النشر، لابن الجزري (٢/٢١٨)

(٢) الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه (٨٥).

(٣) أخرجه الترمذي ، أبواب: الزهد، باب: ما جاء في هول الدنيا على الله، ح(٢٣٢٠)(٤/ ٥٦٠) صححه الالباني

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٦٥٢)

(٥) التفسير الوسيط، لطنطاوي (١١/ ١٣٤)

الأول: علم الساعة: فعلم الساعة مبدأ مفتاح لحياة الآخرة، وسميت الساعة بهذا، لأنها ساعة عظيمة، يهدد بها جميع الناس، وهي الحاقة والواقعة، والساعة علمها عند الله لا يدري أحد متى تقوم إلا الله عز وجل.

الثاني: تنزيل الغيث: المراد به المطر؛ لأنه بالمطر تزول شدة القحط والجدب، وإذا كان هو الذي ينزل الغيث، كان هو الذي يعلم وقت نزوله، والمطر نزوله مفتاح لحياة الأرض بالنبات، وبحياة النبات يكون الخير في المرعى وجميع ما يتعلق بمصالح العباد.

وأما نشرة الأرصاد الجوية في أيامنا فتعتمد على بعض الحسابات، وما ترصده بعض الأجهزة المخصصة لمعرفة نسبة الرطوبة وسرعة الرياح، فليس ذلك غيباً، وإنما هو تخمين وظن، قد يحدث نقيضه، كما أن معرفته تكون قبل مدة قريبة، يلاحظ فيها اتجاهات الرياح والمنخفضات الآتية من الشمال أو من الغرب مثلاً[1].

الثالث: علم ما في الأرحام: أي: ما في بطون الأمهات من بني آدم وغيرهم، ومتعلق العلم عام بكل شيء، فلا يعلم ما في الأرحام إلا من خلقها عز وجل.

قال ابن كثير رحمه الله في قوله: **{وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ}** [لُقْمَانَ: ٣٤] " أَيْ: مَا حَمَلَتْ مِنْ ذِكْرٍ أَوْ أُنْثَى، أَوْ حَسَنٍ أَوْ قَبِيحٍ، أَوْ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، أَوْ طَوِيلِ الْعُمُرِ أَوْ قَصِيرُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: **{هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى}** [النَّجْمِ: ٣٢] "[2].

فعلم الأرحام لا يقتصر على معرفة ما في الأرحام من ذكر أو أنثى، إنما يحتوي على آلاف الغيبيات التي تتعلق بهذا الكائن، وبكل خلية من خلاياه وبكل صفة من صفاته، فالصبغيات التي في أي خلية من خلايا الإنسان تحتوي على المورثات، وتحمل أكثر من عشرة آلاف مورثة، كل واحدة تختص بشيء معين في الجسم، هذه تختص بالمشية، وثانية تختص باللون، وثالثة تختص بالشعر، ورابعة تختص بطبيعة الإنسان، وخامسة تختص بعقل وذكاء الإنسان، وسادسة.. وألف.. وألفان.. إنّ علم الأرحام عالم مستقل بذاته أكبر من أن تحتويه العقول وتكتشفه الأفهام[3].

الرابع: علم ما في الغد: وهو ما بعد يومك: لقوله: **{وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً}**، وهذا مفتاح الكسب في المستقبل، وإذا كان الإنسان لا يعلم ما يكسب لنفسه، فعدم علمه بما يكسبه غيره أولى.

---

(١) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ١٧٩)

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٤٣٥).

(٣) انظر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (٢٥/ ٤٩).

الخامس: علم مكان الموت: لقوله: **{وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ}** ، وما يدري أي أحد هل يموت في أرضه أو في أرض أخرى؟ ولا يدري هل يموت في البر أو في البحر أو في الجو؟ ولا يدري بأي ساعة يموت [١].

- **سبب تسميتها بمفاتيح الغيب**

وسُمّيت بمفاتح الغيب؛ لأنها مفاتيح لما بعدها كما ذكر العلماء، فقالوا: قيام الساعة مفتاح لليوم الآخر، ونزول الغيث مفتاح لحياة الأرض، وعلم ما في الأرحام مفتاح لحياة المخلوقات، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً مفتاح للأرزاق، وما تدري نفس بأي أرض تموت مفتاح للقيامة الصغرى. [٢]

وقد عبر بالمفاتح، لتقريب الأمر على السامع؛ لأن كل شيء جعل بينك وبينه حجاب فقد غيب عنك، والتوصل إلى معرفته في العادة من الباب، فإذا أغلق الباب احتيج إلى المفتاح فإذا كان الشيء الذي لا يطلع على الغيب إلا بتوصيله لا يعرف موضعه فكيف يعرف المغيب [٣].

سابعاً: الهدايات المستنبطة من المقطع:

١. الأمر بتقوى الله والخوف من اليوم الآخر، والتحذير من الدنيا والشيطان.

٢. تقرير عقيدة البعث، فاليوم الآخر جزء من عقيدة المؤمن، وهو من الأمور الغيبية التي لا يستطيع العقل البشري إدراكها، والإيمان به ركن من الأركان الستة التي تبنى عليها عقيدة المِؤمن، فلا تتم عقيدة المؤمن إلا بهذه الأركان[٤] .

٣. التذكير بأهوال يوم القيامة، حيث لا يجزي أحد عن أحد.

٤. الحذر من الاغترار بالحياة الدنيا وزخارفها وزينتها، والاتكال عليها والركون إليها، وترك العمل للآخرة، فإنها فانية[٥] .

٥. الحذر من أن يغرنا الشيطان فهو عدو لنا، والحذر من وساوسه وتزيينه، وعدم الاستجابة له، لأنه لا يعد الناس إلا غروراً.

٦. مهما بلغ الانسان من العلم، فإنَّ علمه لا يكاد يذكر أمام ما يجهله ويُخفيه الله عنه.

---

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين (١٩٣-١٩٧)

(٢) انظر: المرجع السابق (١/ ١٩٧)

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر،(٨/٥١٤).

(٤) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير (٦/٤٥)

(٥) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ١٨١)

٧. "كل مدع لمعرفة الغيب من الجن والإنس فهو طاغوت يجب لعنه ومعاداته"[١] .

٨. علم الساعة من حيث: موعدها، ووقتها ليلاً أو نهاراً، أو صيفاً أو شتاءً .. الخ، وعلى وجه التفصيل، هو مما أُضيف علمُهُ إلى الله ﷻ، لا يُطلع عليها بشراً، ولا نبياً مرسلاً، ولا ملكاً مقرَّباً، وما عُلم من أحوالها، هو غير موعدها اليقيني، وما عُلم من أمرها فهو إجمالاً، لا تفصيلاً.

٩. إحاطة علم الله بالغيب كله، فالغيبيات ليست محصورة بهذه الخمس، وإنما خصت بالذكر لوقوع السؤال عنها، أو لأنها كثيراً ما تشتاق النفوس إلى العلم بها؛ وقد علّل القسطلاني ذلك فقال: "ذكر النبي ﷺ خمساً، وإن كان الغيب لا يتناهى، لأن العدد لا ينفي زائداً عليه، ولأن هذا الخمس هي التي كانوا يدَّعون علمها" [٢].

---

(١) أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٢٠)

(٢) انظر: روح المعاني، للألوسي (١١/ ١٠٩)

الفصـل الثانـي

تعريـف عام بسـورة السجـدة وبيـان مقاصـدها وأهدافـها.

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة السجـدة.

المبحث الثاني: التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف سورة السجـدة

المبحث الأول

تعريف عام بسورة السجدة

ويشتمل على أربعة مطالب:

- **المطلب الأول:** أسماء السورة وعدد آياتها.
- **المطلب الثاني:** مكان وزمان وسبب نزولها.
- **المطلب الثالث:** فضائل السورة.
- **المطلب الرابع:** مقاصد سورة السجدة ومناسباتها.

المطلب الأول

أسماء السورة وعدد آياتها

أولاً: اسم السورة ووجه التسمية:

١. **سورة السجدة:** وهو أشهر أسماءها، وهو المكتوب في المصاحف وكتب التفسير[١]، ويعد هذا الاسم من الأسماء التوقيفية للسورة[٢].

وجه التسمية: وسميت بذلك لشهرة سجدتها، حيث كان النبي ﷺ يديم قراءتها في فجر الجمعة[٣]، وقد ذكر البقاعي أنَّ: "اسمها السجدة منطبق على ذلك بما دعت إليه آياتها من الاخبات وترك الاستكبار"[٤].

٢. **الم تنزيل:** وقد ورد هذا الاسم في حديث جَابِرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنه، قَالَ: كانَ النَّبِيُّ ﷺ لا يَنَامُ حتَّى يَقرَأَ (الم تنزيل) وَ(تَبَارَكَ الذي بِيدِهِ المُلكُ) [٥]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ: الم تَنْزِيلُ، وَهَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ"[٦].

وجه التسمية: ب(الم تَنزِيل)؛ وذلك لابتدائها بهذا اللفظ، وتميزها عن أخواتها من ذوات التصدير بِـ(الم) [٧].

٣. **المضاجع:** وتسمى هذه السورة سورة المضاجع؛ لقوله تعالى: **{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ}** [٨]، وقد ذكر هذه التسمية الإمام ابن الجوزي في زاد المسير، والسيوطي في الاتقان، وابن عاشور في التحرير والتنوير، والرازي في مفاتح الغيب وغيرهم.[٩]

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٠١)

(٢) قال السيوطي: "وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، "الاتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (١٨٦/١)، وقال ابن عاشور: "وأما أسماء السور فقد جُعلت لها من عهد نزول الوحي، والمقصود من تسميتها تيسير المراجعة والمذاكرة"، انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٨٨/١).

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: القراءة في الفجر يوم الجمعة، ح(٨٢٣)،(٢٦٩/١)، صححه الالباني.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١٥/ ٢٢٢)

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب: ماذا يقول إذا أوى إلى فراشه، ح(١٢٠٩)،(٥٤١/١)

(٦) سنن ابن ماجه، كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: القراءة في الفجر يوم الجمعة، ح(٨٢٣)،(٢٦٩/١)، صححه الالباني.

(٧) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (٢٢٢/١٥)

(٨) انظر: التفسير الوسيط ، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (٨/ ١١٠)

(٩) انظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٣/ ٤٣٧)، الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي

ووجه التسمية: لوقوع لفظ المضاجع عند وصف الله تبارك وتعالى لعباده المؤمنين، في قوله: **(تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ)** [١].

٤. **سجدة لقمان:** وقد أطلق عليها صاحب مجمع البيان هذا الاسم [٢].

وجه التسمية: لأنها واقعة بعد سورة لقمان، ولئلا تلتبس بسورة (حم السجدة)، وهي سورة فصلت [٣].

٥. **المُنجية:** وقد ذَكَرَ هذا الاسم التابعي الجليل خالد بن معدان[٤] حيث قال: "اقرأوا المنجية وَهِي {الم تَنْزِيل}، فانه بَلغنِي أَن رجلاً كَانَ يقرأوها وَمَا هوى شَيْئاً غَيرهَا وَكَانَ كثير الْخَطَايَا فنشرت جناحها عَلَيْهِ وَقَالَت: رب اغْفِر لَهُ فانه كَانَ يكثر قراءتي فشفعها الرب فِيهِ وَقَالَ اكتبوا لَهُ بِكُل خَطِيئَة حَسَنَة وَارْفَعُوا لَهُ دَرَجَة"[٥]، فَكَانَ خَالِد رَضِي الله عَنهُ لَا يبيت حَتَّى يقْرَأها [٦].

وجه التسمية: لأنها تشفع لصاحبها يوم القيامة فتنجيه من العذاب.

٦. **سجدة تنزيل السجدة:** وقد عنون لها البخاري، فقال: بَابُ: سَجدَةُ تَنزِيل السَّجدَة [٧].

وجه التسمية: وذلك لابتدائها ب(الم)، ووجود السجدة فيها.

ثانياً: عدد آيات سورة السجدة:

عَدَدُ آياتهَا تِسعٌ وعِشرُونَ آيَةً عِندَ البَصرِيّينَ، وَثَلاثُونَ آيَةً عِندَ البَاقِين، واختلافها آيتان:

- (الم) عدهَا الْكُوفِي وَلم يعدها الْبَاقُونَ.
- (لفي خلق جَدِيد) لم يعدها الْكُوفِي والبصري وعدها الْبَاقُونَ [٨] .

(١٩٤/١)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٠٣)، مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٣٥).

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٠٣)

(٢) انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي (٧١/٥)

(٣) انظر: المرجع السابق (٧١/٥)

(٤) خالد بن معدان بن أبي كريب الكلاعي أبو عبد الله الحمصي، تابعي جليل من فقهاء الشام أدرك سبعين من الصحابة. مات سنة ١٠٣هـ. وقيل بعد ذلك.

(٥) سنن الدارمي، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل سورة تنزيل السجدة وتبارك ،ح(٣٤٠٨) (٢/ ٥٤٦)

(٦) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي (٦/ ٥٣٥).

(٧) انظر: صحيح البخاري، كتاب: سجدات القرآن، باب: سجدة تنزيل السجدة، ح(١٠٦٨)(٤٠/٢)

(٨) انظر: البيان في عد آي القرآن، للداني (ص: ٢٠٧).

المطلب الثاني

مكان وزمان وسبب النزول

أولاً: مكان وزمان نزول السورة:

١. وهي مكية على قول الأكثرين، بل إنَّ بعضهم نقل الإجماع في ذلك، كما نُقل عن ابن الجوزي[١]، والألوسي[٢] وغيرهم، قال ابن عاشور: "والذي نُعوّل عليه أن السورة كُلَّهَا مكية"[٣].

٢. وقيل أنها مكية باستثناء آية واحدة نزلت بالمدينة في الأنصار، وهي قوله تعالى: **(تَتَجافى جنوبهم عن المضاجع)**، واستدلوا بحديث أنس بن مالك قال: نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فَلَا نرْجِع إِلَى رحالنا حَتَّى نصلي العشَاء مع النبي ﷺ فَنزلت فِينَا **{تَتَجَافَى جنُوبهم عَن الْمضَاجِع}**[٤].

٣. وقيل أنها مكية باستثناء ثلاث آيات نزلن بالمدينة، وهنّ من قوله تعالى: "**أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون**"[٥] .

٤. وقيل أنها مكية باستثناء خمس آيات مدنيات أولهن "**تتجافي جنوبهم..**"[٦] ، واستدلوا بحديث بحديث عطاء بن يسار قَالَ: نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ فِي عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، كَانَ بَيْنَ الْوَلِيدِ وَبَيْنَ عَلِيٍّ كَلَامٌ، فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ: أَنَا أَبْسَطُ مِنْكَ لِسَانًا، وَأَحَدُّ مِنْكَ سِنَانًا، وَأَرَدُّ مِنْكَ لِلْكَتِيبَةِ، فَقَالَ عَلِيٌّ: اسْكُتْ، فَإِنَّكَ فَاسِقٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمَا: **{أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا، لَا يَسْتَوُونَ}** [السجدة: ١٨] إِلَى قَوْلِهِ **{بِهِ تُكَذِّبُونَ}** [السجدة: ٢٠] [٧] ، فنص الرواية أنَّ هذه الآيات الثلاثة نزلنّ بالمدينة قبل إسلام الوليد بن عقبة.

---

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي(٣٣٢/٦).

(٢) انظر: روح المعاني، للألوسي(١١٥/١١).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٠٤).

(٤) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة السجدة ح(٣١٩٦)،(٥/ ٣٤٦)، وصححه الألباني، انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي (٦/ ٥٤٦).

(٥) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٢/ ١٤١)

(٦) انظر: زاد المسير، لابن الجوزي(٣٣٢/٦).

(٧) فضائل الصحابة، فضائل علي عليه السلام، لأحمد بن حنبل، ح(١٠٤٣)،(٢/ ٦١٠)، انظر: جامع البيان، للطبري (١٨/ ٦٢٥).

وعدد آياتها: ثلاثون آية، وعدد كلماتها: ثلاثمائة وثلاثون كلمة، وعدد حروفها: ألف وخمسمائة وتسعة وتسعون حرفاً، نزلت بعد سورة غافر [١].

ثانياً: سبب نزولها:

لم يرد سبب نزول صريح للسورة كاملة، بل ورد سبب نزول لبعض آياتها سأذكره عند شرح آياتها.

المطلب الثالث

فضائل السورة

وَرَدَ فِي فَضلها عدد من الاحاديث، وسأكتفي بذكر الصحيح منها:

١. عن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ يَقرَأُ فِي صَلاةِ الفَجرِ يَومَ الجُمُعَةِ بِـ(الم تَنزِيل) فِي الرَّكعَةِ الأولَى، وَفِي الثَّانِيَةِ (هَل أتَى عَلى الإنسَانِ)"[٢].

وسبب حرص النبي ﷺ على قراءتها ما ذكره ابن تيمية، حيث قال: "إنما كان النبي ﷺ يقرأ هاتين السورتين في فجر الجمعة؛ لأنهما تضمنتا ما كان ويكون في يومها، فإنهما اشتملتا على خلق آدم، وعلى ذكر المعاد وحشر العباد، وذلك يكون يوم الجمعة، وكان في قراءتهما في هذا اليوم تذكير للأمة بما كان فيه ويكون، فهذه خاصة من خواص يوم الجمعة" [٣].

قال الإمام البقاعي نحوٌ من ذلك فقال: "وسر قراءة كل من السجدة والإنسان في فجر الجمعة أنهما ذكرا ابتداء الخلق، والبعث، والجنة، والنار فهي مذكرة بخلق آدم عليه السلام فيه وقيام الساعة فيه إلى غير ذلك من أحوال الآخرة" [٤] .

٢. وعَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ ﷺ قَالَ: "كُنَّا نَحزِرُ قِيامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الظُّهرِ وَالعَصرِ، فَحَزَرنَا قِيَامَهُ فِي الرَّكعَتَينِ الأولَيَينِ مِنَ الظُّهرِ قَدرَ قِرَاءَةِ (الم تنزيل)[٥].

٣. وعَن جَابِرِ بن عبدالله ﷺ: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ لا يَنَامُ حتَّى يَقرَأَ: (الم تَنزِيل) وَ(تَبَارَكَ الذي بِيَدِهِ المُلكُ)"[٦] ، فكان النبي ﷺ يقرأها في كل ليلة قبل أن ينام.

---

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٥٩٨)، التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي (٢/ ١٤١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الجمعة، باب: ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة، ح(٨٩١)(٥/٢)، وأخرجه مسلم، كتاب: الجمعة، باب: ما يقرأ في يوم الجمعة، ح(٨٧٩)(٥٩٩/٢).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم (١/ ٣٦٤)

(٤) مصاعد النظر، للبقاعي(٣٦٥/٢).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: القراءة في الظهر والعصر، ح(٤٥٢)(٣٣٣/١).

(٦) سنن الترمذي، أبواب: فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك، ح(٢٨٩٢) (١٧/٥) وعقب الترمذي: هذا حديث صحيح.

المطلب الرابع

مقاصد سورة السجدة ومناسبتها

أولاً: مقاصد سورة السجدة:

سورة السجدة سورة مكية، ومن خصائص السورة المكية، أنها تعالج أصول العقيدة، وكل سورة من السور المكية لها طابع خاص في معالجة هذا الأمر تتميز به في طريقة عرضها كأنها مستقلة عن غيرها، بأسلوب خاص، ومؤثرات خاصة تلتقي كلها في أنها تخاطب القلب البشري خطاب العليم الخبير، المطلع على أسرار هذه القلوب وخفاياها[١].

وقد اشتملت سورة السجدة على عدة مقاصد أهمها:

١. بيان عظمة الخضوع لله تعالى، لأن السجود هو صفة للخضوع ، فعدم الخضوع لله في الدنيا إيماناً به وتعظيماً له ينتج عنه خضوع ذلٍ في الآخرة، قال تعالى: **(فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)** (السجدة:١٤)

٢. التأكيد على أنَّ القرآن الكريم كتاب منزلٌ من عند الله تعالى، والتصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم الموحى اليه بهذا القرآن الكريم[٢].

٣. ابطال مزاعم الكافرين والرد عليهم بإثبات وحدانية الله تعالى، وأنَّه خالق السموات والأرض وما بينهما، وفي نشأة الانسان وأطواره، وفي مشاهد الآخرة[٣].

٤. وصف حال المؤمنين وحال الفاسقين، وبيان مصير كل منهما يوم القيامة، واستبعاد التسوية بينهما.

٥. الإشارة إلى رسالة موسى عليه السلام، وإلى فضل الله على بني إسرائيل حينما صبروا على الدعوة فجعلهم أئمة، وفي هذه الإشارة الإيحاء بالصبر على ما يلقاه الدعاة إلى الإسلام من كيد ومن تكذيب [٤].

٦. التذكير بمصارع الظالمين المكذبين من القرون السابقة، وهم يمشون في مساكنهم غافلين[٥].

[٥].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٢٨٠٢)

(٢) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ١٨٣)

(٣) انظر: المرجع السابق(٢١/ ١٨٣)

(٤) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٢٨٠٢-٢٨٠٤)

(٥) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ١٨٣)

٧. توجيه الرسول ﷺ بالإعراض عن المشركين بالله وآياته تحقيراً لهم، وانتظار مصيرهم المحتوم، قال تعالى: (**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ**)(السجدة:٣٠).

٨. إثبات أصول الاعتقاد الثلاثة وهي: التوحيد والرسالة والبعث.

وعلى ضوء ما سبق يمكن حصر مقاصد السورة في أربعة مقاصد رئيسة:

١. مقصد الوحي وصدق الرسول ﷺ.

٢. مقصد الألوهية وصفتها.

٣. مقصد يوم القيامة يعرض فيه مشهد المؤمنين والكافرين.

٤. مقصد البعث والمصير.

ثانياً: مناسبة السورة:

١- مناسبة افتتاح السورة لمضمونها:

إنَّ فاتحة سورة السجدة جاءت لتؤكد على أنّ القرآن الكريم منزل من عند الله بالحق، فإذا انتفى الريب في ذلك، فإنَّه يجب التصديق والإيمان بما جاء به القرآن الكريم، ومن ذلك الإيمان بأصول الاعتقاد الثلاثة التي جاءت في سورة السجدة والمتمثلة بالرسالة والتوحيد والبعث.

٢- مناسبة السورة لما قبلها:

ووجه اتصالها بما قبلها من عدة وجوه:

- اشتمال كل منهما على دلائل الألوهية.
- "لما الله ذكر تعالى، فيما قبلها، دلائل التوحيد من بدء الخلق، وهو الأصل الأول، ثم ذكر المعاد والحشر، وهو الأصل الثاني، وختم به السورة، ذكر في بدء هذه السورة الأصل الثالث، وهو تبيين الرسالة"[(١)].
- أن سورة السجدة شرحت مفاتح الغيب التي ذكرت في خاتمة سورة لقمان، فقوله: **{ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ}**(السجدة:٥)، شرح لقوله في لقمان: **{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ}** (لقمان: ٣٤)؛ ولذلك عقب بقوله: **{عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ}** (السجدة:٦)، وقوله: **{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ}**(السجدة:٢٧)، شرح لقوله في لقمان: **{وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ}** (لقمان: ٣٤)، وقوله: وقوله: **{الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ}** (السجدة:٧)، شرح لقوله في لقمان: **{وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ}** [لقمان: ٣٤]، وقوله: **{يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ**

---

(١) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٨/ ٤٢٨).

إِلَى الْأَرْضِ} (السجدة:٥) إيضاح لقوله: **{وَما تَدْرِي نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَداً}** (لقمان: ٣٤)، وقوله: **{ءإِذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ..}** (السجدة:١٠-١١)، شرح لقوله: **{وَما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ}** (لقمان: ٣٤)[١].

٣. مناسبة السورة لما بعدها:

ووجه اتصال سورة السجدة بسورة الأحزاب: تشابه مطلع هذه ومقطع تلك؛ فإن تلك ختمت بأمر النبي ﷺ بالإعراض عن الكافرين، وانتظار عذابهم، ومطلع هذه الأمر بتقوى الله، وعدم طاعة الكافرين والمنافقين، فصارت كالتتمة لما ختمت به تلك، حتى كأنهما سورة واحدة[٢].

---

(١) انظر: أسرار ترتيب القرآن، للسيوطي (ص: ١٢٣).

(٢) انظر: المرجع السابق(ص: ١٢٤)

المبحث الثاني

التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف سورة السجدة

ويشتمل على سبعة مقاطع:

- **المقطع الأول:** القرآن حق منزل من عند الله وإثبات النبوة
- **المقطع الثاني:** دلائل التوحيد والقدرة الإلهية
- **المقطع الثالث:** إثبات البعث وحال المجرمين يوم القيامة
- **المقطع الرابع:** صفة المؤمنين في الدنيا وجزاؤهم عند ربهم في الآخرة
- **المقطع الخامس:** جزاء المؤمنين والفاسقين
- **المقطع السادس:** وحدة الرسالات وسنن الدعوة
- **المقطع السابع:** القدرة على إهلاك الأمم الماضية، وإثبات رسالة التوحيد

المقطع الأول

القرآن حق منزل من عند الله وإثبات النبوة

قال تعالى: {الم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَـابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} [السجدة: ١ – ٣]

أولاً: المناسبة:

لما ذكر الله تعالى في سورة لقمان التي قبلها، دلائل التوحيد من بدء الخلق، وهو الأصل الأول، ثم ذكر المعاد والحشر، وهو الأصل الثاني، وختم به السورة، ذكر في بدء هذه السورة الأصل الثالث، وهو تبيين الرسالة[١].

وقد ذكر الإمام الشعراوي رحمه الله لفتة أخرى فقال: "أنَّ **(الم)** [السجدة: ١] أتت بعد مفاتح الغيب الخمسة التي سبقتْ في آخر سورة لقمان، وكأنها مُلْحقة بها، فهي سِرٌّ استأثر الله تعالى بعلمه"[٢].

ثانياً: التحليل اللغوي:

١. **(تَنزِيلُ)**: مادة نزل وما يُشتق منها من إنزال وتنزيل، تفيد كلها أنه جاء من جهة العلو إلى جهة أسفل منه، كأنك تتلقّى من جهة أعلى منك وأرفع[٣].

٢. **(الكتاب)**: القرآن، وسمي بذلك؛ لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ كما قال تعالى: **(إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ)** (الواقعة:٧٧–٧٨)[٤].

ومن أسمائه أيضاً:

- **القرآن**: كما قال تعالى: **{إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ}** (الواقعة:٧٧).
- **الفرقان**: كما قال تعالى: **{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ليكون للعالمين نذيراً}**(الفرقان:١)
- **الذكـر**: كما قال تعالى: **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}** (الحجر:٩)
- **النـور**: في قوله تعالى: **{فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا}** (التغابن:٨)[١].

---

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٨/ ٤٢٨).

(٢) تفسير الشعراوي (١٩/ ١١٧٧٦).

(٣) انظر: المرجع السابق (١٩/ ١١٧٧٧).

(٤) انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٨/ ٤٢٨).

٣. **(لا ريب فيه):** لا شك فيه[٢] ، وحقيقة الريب: "قلق النفس واضطرابها"[٣] .

الفرق بين الريب والشك ؟

القرآن ينفي الريب دائماً عن القضايا الكبرى، كالكتاب، والساعة، كما أنه ينفيه عن المؤمنين في جميع أحوالهم، قال تعالى: **{ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}** [البقرة: ٢]، وقال: **{وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا}** [الحج: ٧]، أما إذا استعملت كلمة الشك فتكون مسندة إلى الكافرين، وإنها غالباً ما توصف بكلمة مريب، **{وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ}** [الشورى: ١٤]، أما إذا ذُكِرت كلمة الشك لوحدها فتكون مسندة للكافرين، فإن يضرب عنها، وينتقل إلى ما هو أكثر منها ضلالاً، وأشد منها سوءاً، قال تعالى: **{ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ}** [النمل: ٦٦]

ومن خلال هذه الآية الكريمة يتبين لنا بدون تردد أن الريب شيء أكثر من الشك، فالريب يدل على استقرار الريب في قلوبهم، وأما الشك يدل على التردد.[٤]

٤. **(رَبِّ):** الرب هو: المالك المتصرف المعبود المدبر لشؤون خلقه، ويطلق في اللغة على السيد [٥].

وتربيته تعالى لخلقه نوعان: تربية عامة وتربية خاصة:

فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا، وأما **الخاصة:** فهي تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويدفع عنهم العوائق، وحقيقتها: التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر [٦].

٥. **(الْعَالَمِين):** قيل: هو كل موجود سوى الله، وقيل: أهل كل زمان عالم، وقيل: الجن والإنس، وقيل: هو كل ما يعقل، وهم: الإنس، والجن، والملائكة، والشياطين، إلى غير ذلك من الأقوال، وقد حكى هذه الأقوال الإمام القرطبي في تفسيره وذكر أدلتها، وقال: إن القول

---

(١) انظر: دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي (ص: ٢٦).

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري (٢٠/ ١٦٤).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (١/ ٣٤).

(٤) انظر: روح المعاني ، للألوسي (١٠٦/١)

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١٣١).

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٣٩).

الأول هو أصح الأقوال؛ لأنه شامل لكل مخلوق وموجود [١].

٦. **(افتراه)**: "اخترعه من نفسه، ولم ينزله الله عليه" [٢].

٧. **(الحقُّ)**: هو الشيء الثابت الذي لا يطرأ عليه التغيير؛ لذلك فالحقائق ثابتة لا تتغير أبداً[٣]، والمقصود به القرآن الكريم[٤].

٨. **(قَوْماً)**: القوم الجماعة من الرجال والنساء جميعاً، وقيل: للرجال خاصة، وقوم كل رجل شيعته وعشيرته، ويدخل فيه النساء على سبيل التبع، لأن قوم كل نبي رجال ونساء [٥].

ثالثاً: البلاغـة:

١. **(لاَ رَيْبَ فِيهِ)**: جملة اعتراضية بين **{الكتاب}**، وبين **{مِن رَّبِّ العالمين}**، وما دام أنه من {مِن رَّبِّ العالمين}، فلا بُدَّ أنه حقٌّ لا ريب فيه[٦]، وقد عجل سبحانه وتعالى بنفي الريب، حيث جعله بين المبتدأ والخبر، وذلك لبيان أن هذه القضية ليست محلاً للشك أو الريب [٧].

٢. **(رب العالمين)**: "استحضار الجلالة بطريق الإضافة بوصف رب العالمين دون الاسم العلم؛ ذلك للإيماء إلى عموم الشريعة وكون كتابها منزلاً للناس كلهم بخلاف ما سبق من الكتب الإلهية" [٨].

٣. **(مِن رَّبّكَ)**: "إضافة اسم الربِّ إلى ضميره ﷺ بعد إضافته فيما سبق إلى العالمين تشريفاً له وتكريماً" [٩].

٤. **(قَوْمًا)**: جاءت نكره لتفيد العموم [١٠].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي(١/ ١٣٨)

(٢) التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٤/ ١٨٩)

(٣) انظر: تفسير الشعراوي (١٩/ ١١٧٨٦).

(٤) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣/ ٤٠٢).

(٥) انظر: وانظر: لسان العرب، لابن منظور، (٣٦١/١١)، المفردات، للراغب، (٤١٨).

(٦) انظر: تفسير الشعراوي (١٩/ ١١٧٨٠)

(٧) انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (١١/ ١٤٢).

(٨) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٠٦).

(٩) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٧/ ٧٩).

(١٠) انظر: التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٠٢).

٥. **(مِّن نَّذِيرٍ):** معلوم أنّ محمداً ﷺ جاء بشيراً ونذيراً، لكنه خُصَّ هنا بالنذير؛ وذلك لأنه جاء ليصلح معتقدات فاسدة، وإصلاح الفاسد لا بُدَّ أن يسبق ما يُبشر به، ولم يأْتِ ذكر البشارة هنا؛ لأنهم ما سمعوا للنذارة، وما استفادوا بها[١].

٦. **(أَمْ يَقُولُونَ افتراه):** "استفهام يتضمن التقريع والتوبيخ"[٢]، وجاءت كلمة (يقولون) بصيغة المضارع؛ للإيذان بتجدد مقالتهم هذه، وأنهم لا يقلعون عنها على الرغم مما جاءهم من البينات[٣].

رابعاً: المعنى الاجمالي:

افتتحت هذه السورة بهذه الأحرف كغالب السور المكية لبيان إعجاز القرآن وعظمته، والرد على المشركين المنكرين نزوله من عند الله، والمكذبين برسالة النبي ﷺ.

وسورة السجدة من السور التي ابتدأت بهذه الأحرف، وقد وردت هذه الفواتح في سور القرآن تارة مفردة بحرف واحد، وتارة مركبة من حرفين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة[٤].

وقد وقع خلاف بين العلماء في المراد من أحرف فواتح السور، ويرجع هذا الخلاف إلى أقوال منها:

القول الأول: أنَّ هذا علم مستور وسر محجوب استأثر الله به، فهو من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، ولهذا قال الصديق رضي الله عنه في كل كتاب سر وسره في القرآن أوائل السور[٥].

القول الثاني: أن المراد منها معلوم، وقال به جمع كثير من العلماء، وذكروا فيه ما يزيد على عشرين وجهاً منها البعيد ومنها القريب[٦].

وقال الشنقيطي بعد أن ذكر الخلاف في فواتح السور: أما القول الذي يدل استقراء القرآن على رجحانه فهو: أن الحروف المقطعة ذكرت في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته، وحكى هذا القول الرازي، وجمعٌ من المحققين، وحكاه القرطبي عن الفراء، وقطرب، ونصره الزمخشري في الكشاف، وقال ابن كثير: وإليه ذهب ابن

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي (١٩/ ١١٧٨٦).

(٢) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٢٨٥)

(٣) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٠٧).

(٤) انظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، بنت الشاطئ (ص: ١٥٨)، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، أبو شوفة (ص: ١١٨).

(٥) انظر: تفسير القرطبي (١/١٥٤)، البحر المحيط، لأبي حيان (١/٢٣٥).

(٦) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/ ١٧٣-١٧٧).

تيمية، ثم قال رحمه الله: ووجه استقراء القرآن لهذا القول: أن السور التي افتتحت بالحروف المقطعة يذكر فيها غالباً عقب الحروف المقطعة الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وأنه حق[1].

ويرى الباحث أنه لا يصح أبداً أن يجزم أحد بمعناها، لأنه لم يثبت تفسير شيء منها عن الرسول ﷺ، لذلك فلا يعلم مرادها إلا الله تعالى، وإنما جاءت هذه الحروف المقطعة لبيان إعجاز القرآن الكريم، قال ابن كثير: "إنما ذُكرت هذه الحروف في أوائل السور بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها"[2].

وإن المتأمل لهذه الآيات يجد أنها تدور حول:

١. القرآن حق منزل من عند الله

يخبرنا الله سبحانه وتعالى أن هذا الكتاب الكريم، منزل من عنده، وأنه أنزله على قلب محمد ﷺ، فليس بسحر ولا شعر ولا سجع كاهن، وإنما هو كلام رب العالمين، فالله جعل القرآن هدىً للناس وخص العرب أن شرفهم بجعلهم أول من يتلقى هذا الكتاب، وبأن أنزله بلغتهم.

وهذا التنزيل لم ينزل جملة واحدة على النبي ﷺ، كما قال تعالى: **(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)** (الفرقان:٣٢-٣٣) وإنما أنزله مفرقاً على قلب النبي ﷺ.

تنزلات القرآن الكريم:

التنزيل الأول: من الله إلى اللوح المحفوظ، ودليله قوله سبحانه: **{بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ}** (البروج: ٢١-٢٢)، وكان هذا الوجود في اللوح بطريقة وفي وقت لا يعلمهما إلا الله تعالى ومن أطلعه على غيبه، وكان جملة لا مفرقاً.

التنزيل الثاني: من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ودليله قوله تعالى: **{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}**(القدر:١)، وقد نزل جملة واحدة في ليلة القدر.

التنزيل الثالث: من بيت العزة إلى الأرض مفرقاً في نيف وعشرين سنة، وكان هذا النزول بواسطة أمين الوحي جبريل يهبط به على قلب النبي ﷺ، ودليله قوله: **{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ}** (الشعراء:١٩٣-١٩٥)[3] .

وقوله تعالى: **(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ)**: فيها إنكار لقولهم، وهم بذلك يرتكبون جنايتين:

أولاهما: اتهام النبي ﷺ بالكذب والافتراء، وهم على علم بأنهم كاذبون مفترون، إذ أنهم يعرفون

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٢/ ١٦٦) بتصرف يسير.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥١/١).

(٣) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني (١/ ٤٣-٤٧)

صدق هذا النبي ﷺ، الذي لم يعرف الكذب في حياته، ولم يجربوا عليه كذبة منذ عرفوه.
وثانيتهما: أنهم يفترون الكذب على هذا الكتاب، وهم يرون بأعينهم آيات الحق مشرقة في كل كلمة من كلماته [١].

وقد اختلف العلماء في المراد من القوم على ثلاثة أقوال:
القول الاول: قريش خاصة، وكانوا أمة أمية لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ [٢]، فأخبر الله تعالى أنه لم يبعث إليهم رسولاً بخصوصيتهم قبل محمد ﷺ، لا لهم ولا لآبائهم، لكنهم كانوا متعبدين بملة إبراهيم وإسماعيل وإن كانوا مقصرين، وما زالوا على ذلك إلى أن عبدوا الأصنام فأرسل إليهم محمد عليه السلام، فلم يبق منهم على الملة الحنيفية إلا القليل فهم داخلون في عموم قوله: **(وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إلا خَلَا فِيهَا نَذِير)** (فاطر:٢٤) [٣].
القول الثاني: المراد بهم العرب من قريش وغيرهم، ولم يأت المعاصرين منهم نذير من الأنبياء إلا رسول الله ﷺ، وكان فيهم من ينذر ويدعو إلى التوحيد وعبادة الله تعالى وحده وليس بنبي، والعرب غير المعاصرين لم يأتهم من عهد إسماعيل نبي منهم بل لم يرسل إليهم نبي مطلقاً [٤].
القول الثالث: المراد بالقوم أهل الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد عليهما السلام [٥].
والقول الأول: "أكثر وجاهة فيما يتبادر لنا، وتاريخ قريش لا يرتقي إلى أكثر من بضع مائة سنة فلا تناقض بين هذا القول ورسالات الأنبياء من عيسى وما قبله" [٦].

٢. إثبات الرسالة

قوله تعالى: (ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ): يعني: لم يأتهم في عصرك، ولكن أتاهم من قبل، لأن الأنبياء المتقدمين ما كانوا إلى جميع الناس، وقيل: أنهم لم يشاهدوا نذيراً قبلك، ولم يعرف التاريخ رسولاً بين إسماعيل عليه السّلام جد العرب الأول، وبين محمد ﷺ [٧] ، وإنما الإنذار قد كان سبق لأنه قال: **(وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا)** [الإسراء: ١٥]، وقد سبق الرسل، وقيل: مَّا أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ يعني: من قومهم من قريش[٨] .

---

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٠١).
(٢) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٢٨٥).
(٣) انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٨/ ٤٢٨)
(٤) انظر: روح المعاني، للألوسي (١٩٩/١١)، فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٢٨٥).
(٥) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان (٧ / ١٩٧)، فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٢٨٥).
(٦) انظر: التفسير الحديث، دروزة (٥/ ٣٤١).
(٧) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٥٧).
(٨) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٣٢).

وفي هذا إثبات لرسالة محمد ﷺ، وبرهان واضح على صدقه، وردّ لقول المشركين: **(إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ، وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ)** [الفرقان ٢٥] [١].

فإن قال قائل إذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم الحجة ؟ فإنّ قيام الحجة إما بالشرائع التي لا يدرك علمها إلا بالرسل، وأما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته، فعلى الثاني فقد قامت عليهم الحجة، لأن أدلة العقل الموصلة إلى ذلك معهم في كل زمان [٢].

خامساً: الهدايات المستنبطة من المقطع:

١. بيان إعجاز القرآن، حيث بدأ السور بحروف مقطعة، ومع ذلك يتحدى القرآن أن يأتوا بمثله.
٢. في السورة توكيد بصلة القرآن بالوحي الإلهي، وردّ على الكفار على نسبتهم افتراءه للنبي عليه السلام، وهذه هي القضية الأولى في السورة من قضايا العقيدة: قضية الوحي وصدق الرسول ﷺ في التبليغ عن رب العالمين [٣].
٣. بيان مصدر القرآن ، وأنه كلام إلهي لا افتراء بشري، والرد على من ادعى افتراءه.
٤. القرآن الكريم كلام الله الذي لا شك فيه أنه من عند الله، فليس بسحر ولا شعر ولا كهانة ولا أساطير الأولين، كما يزعم المشركون والكفار [٤] ، فأثبت الله تعالى كون القرآن كلام الله بكونه معجزاً لا يضارعه شيء، وليس كلام أحد من خلقه [٥]، ودليل ذلك قوله (تنزيل): أي أن القرآن منزل غير مخلوق.
٥. إبطال ما كان المشركون يقولون في القرآن بأنه شعر وسجع كهان وأساطير الأولين [٦] .
٦. إثبات اسم من أسماء القرآن، وهو الكتاب، والثناء على القرآن، ونفي الريب عنه [٧] .
٧. بيان الحكمة من إنزال القرآن على النبي ﷺ وهو الإنذار [٨] .
٨. تقرير أنه ما للبشرية من إله إلا الله، وأنه ليس لها من دونه من ولي ولا شفيع فما عليها إلا أن تؤمن بالله وتعبده فتكمل وتسعد على عبادته.

---

(١) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ١٨٦).
(٢) انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٨/ ٤٢٩).
(٣) انظر: التفسير الحديث، دروزة (٥/ ٣٤٠)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٢٨٠٣).
(٤) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ١٨٦) .
(٥) انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي (٣/ ٢٠٤١).
(٦) أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٢٣)
(٧) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٤٠).
(٨) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ١٨٦)، أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٢٣)

المقطع الثاني

دلائل التوحيــد والقــدرة الإلـهيــة

قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَـا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِـهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٤) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٥) ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيـْبِ وَالشَّهَـادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَــانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْـعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ}

[السجدة: ٤ – ٩]

أولاً: المناسبة:

لما ذكر الله تعالى أمر الرسالة، بيّن ما على الرسول من الدعاء إلى التوحيد وإقامة الأدلة على ذلك فقال تعالى: **(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ..)**[١] ، "وهذه هي القضية الثانية في السورة: قضية الألوهية وصفتها: صفة الخلق، وصفة التدبير، وصفة الإحسان، وصفة الإنعام، وصفة العلم، وصفة الرحمة، وكلها مذكورة في سياق آيات الخلق والتكوين" [٢].

ثانياً: التحليل اللغوي:

١. **(خَلَقَ)**: الخلق في كلام العرب: يطلق على ابتداع الشيء على مثالٍ لم يسبق إليه[٣]، بمعنى بمعنى أوجد وأبدع بعد العدم وبعد أن لم تكن شيئاً[٤].

٢. **(اسْتَوَى)**: الاستواء: هو العلو والارتفاع[٥]، بمعنى أنه علا وارتفع على عرشه بما يليق بجلاله، وأما كيفية ذلك فالله أعلم بكيفيته[٦].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٣٦)

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٢٨٠٣).

(٣) انظر: تهذيب اللغة، للهروي (٧/ ١٦).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١٤/ ٨٦).

(٥) انظر: جامع البيان، للطبري(١/ ٤٢٩).

(٦) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٢/ ٢٤٠).

٣. **(عَلَى الْعَرْشِ)**: العرش: يطلق على سرير الملك" [١]، وسمّي عرشاً؛ لارتفاعه وعلوه، وهو من المخلوقات العُلوية الغيبية التي أطلعنا الله على بعض أوصافها، ومنها: أنه سريرٌ عظيم ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو أعلى المخلوقات وأعظمها، وأوسعِها، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف هذه المخلوقات، وعليه استوى الرحمن؛ كما قال تعالى: **(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)** [طه: ٥] [٢].

٤. **(وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ)**: الولي: مشتق من الولاء، بمعنى: العهد والحلف، وأُريد بالولي: المشارك في الربوبية [٣]، والشفيع: "الوسيط في قضاء الحوائج من دفعِ ضرٍّ أو جلبِ نفعٍ" [٤].

وقوله تعالى: (ما لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ) لها معنيان:

الأول: أنكم إذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لأنفسكم ولياً، أي ناصراً ينصركم ولا شفيعاً يشفع لكم.

والثاني: أن الله وليكم الذي يتولى مصالحكم، وشفيعكم أي ناصركم على سبيل المجاز، لأن الشفيع ينصر المشفوع له [٥].

٥. **(أَفَلَا تَتَذكرُونَ)**: التذكر: مشتق من الذكر، وهو التفكر والنظر بالعقل[٦]، بمعنى أفلا تتعظون.

٦. **(يُدَبِّرُ الأَمْرَ)**: أصل التدبير في اللغة: النظر والتفكر في دابر الأمر وعواقبه، ودابر كل شيء آخره. [٧]، "ويدبر أمر الدنيا أربعة: جبريل للرياح والجنود، وميكائيل للقطر والماء، وملك الموت لقبض الأرواح، وإسرافيل لنزول الأمر عليهم" [٨].

أقوال المفسرين في قوله تعالى: (يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إلى الأرضِ): بأنه يقضى الأمر، وقيل: ينزل الوحي، وقيل: يدبر أمر الدنيا [٩].

---

(١) تهذيب اللغة، للهروي (١/ ٢٦٣).

(٢) انظر: تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار (ص: ٧١).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢١١).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢١١).

(٥) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥٠٧)

(٦) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢١٢)

(٧) انظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، بنت الشاطئ (١/ ١٢٧)

(٨) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٨/ ٤٣١).

(٩) انظر: المرجع السابق (٨/ ٤٣١).

٧. **(ثُمَّ يعرج إِلَيْـهِ)**: العروج: بمعنى الصعود [١]، وليلة المعراج سميت بذلك؛ لصعود الدعاء فيها [٢].

٨. **(فِي يَومٍ)**: اليوم في اللغة مطلق الوقت [٣]، وقد يُعبر به عن مدة من الزمان أي مدة كانت، وقيل إنَّ المقصود باليوم هنا: التنبيه على عظم القدرة وسعة ملكوت الله وتدبيره[٤].

٩. **(أَلْفَ سنة ممَّا تَعُدُّونَ)**: المراد بالألف الف سنة حقيقية مما تعدونها وتعرفونها في دنياكم، وقيل: ليس المقصود منه حقيقة العدد، إذ هو عند العرب منتهى المراتب العددية، وأقصى غاياتها، وهو كناية عن الكثرة الشديدة [٥]، ومعنى مما تعدون: أي "مما تحسبون من أيام الدنيا" [٦].

١٠. **(ذَلِكَ عَالِمِ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ)**: الغيب: كل ما غاب عن الخلق، والشهادة: كل ما شوهد من الأشياء، وقيل: الغيب الآخرة، والشهادة: الدنيا [٧]، ولعل القول الأول يتناسب مع مراد الآية.

١١. **(أَحْسَنَ)**: حسّن الشيء: جعله حسناً، وتحسّن: تجمل وتزين، والأحسن: الأفضل، والحُسن ضد القُبح ونقيضه [٨].

والإحسان: جعل الشيء حسناً، لا عيب فيه، وذلك بأن يكون وافياً بالمقصود منه، فإنك إذا تأملت الأشياء رأيتها مصنوعة على ما ينبغي، فصلابة الأرض مثلاً للسير عليها، وتوجه لهيب النار إلى فوق؛ لأنها لو كانت مثل الماء تلتهب يميناً وشمالاً لكثرت الحرائق فأما الهواء فلا يقبل الاحتراق، وهكذا [٩]، فالله سبحانه وتعالى أتقن كلّ شيء خلقه.

١٢. **(نَسْلَهُ)**: ذريته، وسميت بذلك لأنها تنسل وتنفصل منه [١٠].

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٢٠/٩).
(٢) انظر: الموسوعة القرآنية، الأبياري (٨/ ٣٧٠).
(٣) انظر: إعراب القرآن وبيانه، للزجاج (٧/ ٥٧٢).
(٤) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢١٣).
(٥) انظر: المرجع السابق (٢١/ ٢١٤)
(٦) تفسير العز بن عبد السلام (٢/ ٥٤٨).
(٧) انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٨/ ٤٣٢).
(٨) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٨٠/١).
(٩) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢١٥).
(١٠) انظر: أوضح التفاسير، للخطيب (١/ ٥٠٥).

١٣. **(من سُلاَلَةٍ)**: السلالة: ما انسل من الشيء؛ وتقال للمني: لأنه ينسل من سائر البدن، أو من النخاع[١]، والعرب تسمي النطفة سلالة[٢].

١٤. **(ماء مَّهِينٍ)**: ماء ضعيف حقير، وهو النطفة التي هي أول خلقه[٣]، والمهين: "الشيء الممتهن الذي لا يُعبأ به"[٤].

١٥. **(ثُمَّ سَوَّاهُ)**: سوى الشيء، قوّمه وعدّله وجعله سوياً[٥]، والمعنى: سوّي خلقه أو عدَّله بتكميلِ أعضائِه في الرَّحمِ وتصويرِها على ما ينبغِي، وأصل التسوية جعل الأجزاء متساوية[٦].

١٦. **(روحه)**: الروح: "خلق من مخلوقات الله عز وجل، أضيفت إلى الله إضافة ملكٍ وتشريف لا إضافة وصف؛ فهو سبحانه خالقها ومالكها، يقبضها متى شاء ويرسلها متى شاء" [٧].

١٧. **(الأَفْئِدَةَ)**: وهي القلوب التي بها نعقل[٨].

ثالثاً: البلاغـة:

١. **(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما)**: "جيء باسم الجلالة مبتدأ لإحضاره في الأذهان بالاسم المختص به قطعاً لدابر عقيدة الشريك في الإلهية"[٩]، ثم جيء بالاسم الموصول؛ "للإيماء إلى أنه منفرد بالربوبية لجميع الخلائق في السماوات والأرض وما بينهما، والخطاب موجه إلى المشركين على طريقة الالتفات" [١٠].

٢. **(أَفَلَا تَتَذكرُونَ)**: "استفهام إنكاري"[١١].

٣. **(يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ)**: تمثيل لإظهار عظمته، كما يصدر الملك أوامره، ثم يتلقى من أعوانه ما يدل على تنفيذها [١]، والمقصود من حرفي الابتداء والانتهاء: شمول تدبير الله تعالى للأمور كلها في العالمين العلوي والسفلي تدبيراً شاملاً لها [٢].

---

(١) انظر: أوضح التفاسير، للخطيب (١/ ٥٠٥).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٥/ ٤١١).

(٣) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث (١٠/ ١٧٣٠).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢١٦).

(٥) انظر: لسان العرب ، لابن منظور (٤٨٨/٦).

(٦) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لابي السعود (٧/ ٨١).

(٧) انظر: صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، للسقاف (ص: ١٨٤).

(٨) انظر: أوضح التفاسير، للخطيب (١/ ٥٠٥).

(٩) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢١١).

(١٠) انظر: المرجع السابق (٢١/ ٢١١) .

(١١) المرجع السابق (٢١/ ٢١٢).

٤. **(وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ)**: "إضافة الروح إليه سبحانه وتعالى للتشريف والتعظيم، وللإيذان بأنَّه خلقٌ عجيبٌ وصنعٌ بديعٌ وأنَّ له شأناً له"[٣].

٥. **(وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ)**: "التفاتٌ مِن الغيبة إلى الخطاب"[٤].

وأفرد سبحانه وتعالى السمع لكونه مصدراً، والمصدر لا يجمع ولا يثنى[٥]، "ولأن السمع قوة واحدة ولها محل واحد، وهو الأذن ولا اختيار لها فيه، فإن الصوت يصل إليها، ولا تقدر على رده، ولا على تخصيص السمع ببعض المسموعات دون بعض بخلاف الأبصار فمحلها العين وله فيه اختيار، فإنها تتحرك إلى جانب المرئي دون غيره، وتطبق أجفانها إذا لم ترد الرؤية لشيء، وكذلك الفؤاد له نوع اختيار في إدراكه"[٦].

وجاء الترتيب هكذا: "لما ثبت من أن الطفل بعد الولادة يسمع ولا يبصر مدى ثلاث أيام، ثم يبتدئ يبصر، ثم يبتدئ يدرك ويميز كما هو مشاهد"[٧].

رابعاً: القراءات:

١. **القراءة :**

- **(خَلَقَهُ)**: قرأها نافع، وَالكوفيونَ[٨] بفتح اللَّامِ.
- **(خَلْقَهُ)**: وقرأها الباقون بإسكان اللام[٩].

التوجيه: من قرأ بالنصب: اعتبر (خَلَقه) فعلاً ماضياً، على أن الجملة صفة لشيء، أي: كل شيء من الموجودات التي خلقها الله على إرادته[١٠].

ومن قرأ بالجزم فمعناه: الذي أحسن كل شيء[١١] وفيها عدة أوجه:

- أن يكون (خَلْقَهُ) بدلاً من: (كُلَّ شَيْءٍ) بدل اشتمال، والضمير عائد على (كُلَّ شَيْءٍ).

---

(١) انظر: تفسير المراغي (٢١/ ١٠٥).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢١٢).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لابي السعود (٧/ ٨١).

(٤) التفسير المظهري (٧/ ٢٦٩)

(٥) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢١٧)

(٦) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٢٨٨)

(٧) انظر: تفسير المراغي (٢١/ ١٠٥).

(٨) المقصود بالكوفيين: عاصم وحمزة والكسائي.

(٩) النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري (٣٤٧/٢)

(١٠) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢١٥)، وبحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٣٤).

(١١) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٣٤)

- أن يكون (خَلْقَهُ) مفعولاً به أولاً ل(أحْسَنَ)، ويضمن (أحْسَنَ) معنى أَلْهَمَ وعَرَّفَ، قال الفراء: ألهم كل شيء خلقه فيما يحتاجون إليه فيكون أعلمهم ذلك.
- أن يكون (خَلْقَهُ) منصوباً على المصدرية، وهو مذهب سيبويه أي خَلَقَهُ خَلْقاً.
- أن يكون بدل من كل، والضمير في (هذا) عائد على (الباري)، ومعنى (أحسن) حسن؛ لأنه ما من شيء خلقه إلا وهو مرتب على ما يقتضيه الحكمة، فالمخلوقات كلها حسنة.

ورُجِّحَ على بدل الاشتمال بأن فيه إضافة المَصْدَر إلى فاعله، وهو أكثر من إضافته إلى المفعول وبأنه أبلغ في الامتنان، لأنه إذا قال: **{أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ}** كان أبلغ من {أحسن خلق كل شيء}؛ لأنه قد يحسن الخلق، وهو المحاولة ولا يكون الشيء في نفسه «حسناً» وإذا قال: **{أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ}** اقتضى أن كل (شيء) خلقه حسن بمعنى أنه وضع كل شيء في موضعه[1].

خامساً: المعنى الاجمالي:

١. خلق السموات والأرض وما بينهما وتدبير شئونهما

لقد ذكر الله تعالى المدة التي خلق فيها السموات والأرض وما بينهما، في هذه الآيات بدون تفصيل، وقد فصل سبحانه وتعالى المدة في سورة فصلت حيث قال:**{ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ(١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ(١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}** [فصلت: ٩ – ١٢]

وقد تظاهرت الأحاديث الصحاح أن الخلق ابتدئ يوم الأحد، وخلق آدم يوم الجمعة وهو آخر الأشياء[2].

وأما المراد من مقدار هذه الأيام فقد اختلف المفسرون فيه؛ فمنهم من قال: هي أيامٌ كأيام الدُّنيا[3]، ومنهم من قال: هي أيامٍ كأيام الآخرة، ومقدار اليوم الواحد ألف سنة[4]، ومنهم من توقَّف توقَّف في مقدار هذه الأيام؛ لأنه لم يأتِ نصٌّ قاطع في تحديد مقدارها، وحجتهم: أنَّ الأيام في

---

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين النعماني (١٥/ ٤٧٦)

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٥٧)

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤٢٦/٣).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١٤/ ٨٦)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤٢٦/٣).

الدنيا مقدرةٌ بحركةِ الشمس والقمر، ولم تكن الشمسُ ولا القمرُ موجودين قبل خلْق السموات والأرض، حتى يُصار إلى التقدير بهما[١].

ولعل أقرب المعاني في ذلك: أنّ اليوم المذكور من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض، ليس كأيامنا هذه، إنما هو يوم من أيام الله تعالى التي ذكرها في كتابه كما في قوله تعالى: **{وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ }** [الحج: ٤٧]، فالزمن بالنسبة للخالق سبحانه تعالى يختلف عن المخلوق، فإنه إذا أراد أن يقول للشيء كن فإنه سيكون، وعلى هذا أكثر أهل التفسير[٢].

فإن قال قائل: أليس الله بقادر على أن يخلقها في لحظة واحدة؟

فالجواب: بلى، فالله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء، وقدرته ليس لها حدود، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، وإنما خلقها في ستة أيام لحكمة أرادها سبحانه، منها:[٣]

- أنه أراد أن يوقع في كل يوم أمراً تستعظمه الملائكة ومن يشاهده.
- أن التثبُّت في تمهيد ما خُلق لآدم وذرّيّته قبل وجوده، أبلغ في تعظيمه عند الملائكة.
- أن التعجيل أبلغ في القدرة، والتثبيت أبلغ في الحكمة، فأراد إظهار حكمته في ذلك، كما يظهر قدرته في قول: كُنْ فَيَكُونُ.
- أنه أراد أن يعلّم عباده التثبُّت والرفق في الأمور.
- أن ذلك الإمهال في خلق شيء بعد شيء، أبعد من أن يُظن أن ذلك وقع بالطبع أو بالاتفاق.
- أن لكل شيء عنده أجلاً، وبين بهذا ترك معاجلة العصاة بالعقاب؛ لأن لكل شيء عنده أجلاً.
- أن إنشاءها شيئاً بعد شيء، وحالاً بعد حال أبلغ في الحكمة وأدل على صحة التدبير ليتوالى مع الأوقات بما ينشؤه من المخلوقات تكرار المعلوم بأنه عالم قادر يصرف الأمور على اختياره ويجريها على مشيئته.

٢. الاستواء على العرش

لقد اختلف العلماء في قوله تعالى: **(ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)**، على قولين:

الأول: ترك التعرض إلى بيان المراد، **والثاني:** التعرض إليه، والأول أسلم؛ لأن صفة الاستواء

---

(١) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم (٢٢٣٤٤)

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (١٥٢/٣).

(٣) انظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٢/ ١٢٧).

مما لا يجب العلم بها، فمن لم يتعرض إليه لم يترك واجباً، ومن تعرض إليه فقد يعتقد خلاف ما هو عليه، فالأول غاية ما يلزمه أنه لا يعلم، والثاني يكاد يقع في أن يكون جاهلاً وعدم العلم والجهل المركب كالسكوت والكذب، ولا شك أن السكوتَ خير من الكذب وأقرب إلى الحكمة.[١]

قال ابن كثير: للناس في هذا المقام مقالات كثيرة، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح، مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، وغيرهم، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، فالله لا يشبهه شيء من خلقه **(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)** (الشورى:١١)، بل الأمر كما قال نعيم بن حماد[٢] شيخ البخاري: من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به النصوص الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله، ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى[٣].

فأعرض ابن كثير رحمه الله عن الخلاف الذي جرى ممن تكلموا في الاستواء وفسروه بمعنى الاستيلاء وغير ذلك، ومما هو معلوم أن مذهب أهل السنة نحو صفات الله قولهم: أننا نثبت ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه وسنة نبيه، ونقول آمنا بالله، وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنا برسول الله ﷺ، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ.

قوله تعالى: (ما لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ): "أي ليس لكم أيها الناس من يلى أموركم، وينصركم منه إن أراد بكم ضراً، وليس لكم شفيع يشفع لكم عنده إن هو عاقبكم على معصيتكم إياه"[٤].

(أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ): أي أفلا تعتبرون وتتفكرون أيها العابدون غيره، تعالى الله وتقدس أن يكون له نظير أو شريك، لا إله إلا هو، ولا رب سواه[٥].

---

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين النعماني (١٥/ ٤٧٣).

(٢) نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي، أبو عبد الله المروزي، نزيل مصر، صدوق يخطئ كثيرًا، فقيه عارف بالفرائض، من العاشرة، مات سنة (٢٢٨هـ) على الصحيح، أخرج له البخاري مقروناً، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة. انظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر (١٠/ ٤٥٨)

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/٢٨٠).

(٤) تفسير المراغي (٢١/ ١٠٤).

(٥) انظر: المرجع السابق (٢١/ ١٠٤).

٣. تدبير الأمر وعروجه إليه

اختلف المفسرون في المراد من قوله: (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ): إلى أقوال كثيرة، ومنها: [١]

- أن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض، ويصعد من الأرض إلى السماء في يوم واحد، وقُدِر ذلك بألف سنة مما تعدون من أيام الدنيا، لأن ما بين السماء إلى الأرض خمسمائة عام، وما بين الأرض إلى السماء مثل ذلك، فذلك ألف سنة [٢].
- وقيل: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه في يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيهن الخلق، وكان مقدار ذلك اليوم ألف سنة مما تعدون من أيامكم [٣].
- وقيل: إنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض بالملائكة، ثم تعرج إليه الملائكة في يوم كان مقداره ألف سنة من أيام الدنيا [٤].
- وقيل: "يدبِّرُ المأمور به من الطَّاعاتِ، والأعمال الصالحات منزلاً من السماء إلى الارض بالوحي، ثم لا يعرجُ إليه خالصاً إلا في مدة متطاولة لقلة المخلصين من العباد وأنت خبيرٌ بأنَّ قلَّةَ الأعمال الخالصةِ لا تقتضي بطءَ عروجِها إلى السَّماءِ" [٥].
- وقيل: العرش موضع التدبير، وما دونه موضع التفصيل، وما دون السموات موضع التعريف.
- وقيل "يدبر أمرَ الدُّنيا إلى أن تقوم السَّاعةِ ثم يعرج إليه الأمرُ كلُّه عند قيامها، ليحكم فيه في يوم مقداره ألف سنة مما كنا نعده في هذه الحياة" [٦] إلى غير ذلك من الأقوال.

"وأولى الأقوال بالقبول والصواب: قول من قال: معناه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم خمسمائة في النزول، وخمسمائة في الصعود، لأن ذلك أظهر معانيه وأشبهها بظاهر التنزيل" [٧].

ويمكن أن نجمع بين معظم الأقوال الواردة في معنى هذه الآية، بأن الله تعالى يدبر الأمر

---

(١) انظر: جامع البيان، للطبري (١٩٦/٢٠)

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري (٢١٩/٣

(٣) انظر: البحر المحيط، لابي حيان (١٩٥/٧)

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٨٧/١٤)

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لابي السعود (٧/ ٨٠)

(٦) تفسير المراغي (٢١/ ١٠٥)

(٧) جامع البيان، للطبري (١٩٦/٢٠).

من السماء إلى الأرض ويقوم بهذا الأمر ملائكة كرام وكلّهم الله تعالى في يوم واحد وقدره ألف سنة (خمسمائة في النزول وخمسمائة في الصعود)، وهذا اليوم كيوم من الأيام الستة التي خلق الله فيه الخلق، ومن ذكر مقدار العروج ألف سنة لعله أراد النزول معه واكتفى بذكر أحدهما، ومن تدبيره للأمور تدبير أمر الشمس من طلوعها وغروبها فهذا خاص يدخل في العموم السابق.

الجمع بين قوله تعالى: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)(السجدة: ٥)، وقوله تعالى: **(تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)**(المعارج:٤).

ذهب طائفة من العلماء إلى أن المراد باليومين في الآيتين يوم واحد، وإنما اختلف المدة في الآيتين، فكانت في إحداهما ألفاً، وفي الأخرى خمسين ألفاً، لاختلاف المسافة المقطوعة في كل منهما، فالألف سنة جعلت مدة لنزول الملائكة وصعودهم إلى السماء الدنيا، فإن المسافة بين الأرض والسماء الدنيا قُدرت في الأحاديث بخمسمائة عام، فإذا قدر نزولهم وصعودهم كان المجموع ألف سنة، وأما الخمسون ألفاً فهي المدة التي يعرجون فيها من فوق السبع الطباق من عند العرش إلى أسفل الأرض.

وذهب بعض العلماء إلى أن المراد باليومين المذكورين في الآيتين هما يومان مختلفان، وليس المراد بهما يوماً واحداً، فاليوم المذكور في سورة السجدة: هو في الدنيا، فالملائكة تعرج إلى السماء ثم تنزل في يوم من أيام الدنيا، وقدر ذلك اليوم ألف سنة مما يعد خلقه، وأما اليوم المذكور في سورة المعارج، فهو يوم القيامة، فالملائكة ومعهم الروح إليه تعرج في يوم يفرغ فيه من القضاء بين خلقه، كان قدر ذلك اليوم الذي فرغ فيه من القضاء بينهم قدر خمسين ألف سنة [١].

٤. إحسان الله في كل شيء خلقه

إن هذا الوجود جميل، وإن جماله لا ينفد، وإن الإنسان ليرتقي في إدراك هذا الجمال والاستمتاع به، وإن عنصر الجمال لمقصود قصداً في هذا الوجود، فإتقان الصنعة يجعل كمال الوظيفة في كل شيء، وكمال التكوين يتجلى في صورة جميلة في كل عضو، وفي كل خلق، إنها رحلة ممتعة في هذا الوجود الجميل الصنع البديع يلفتنا القرآن إليها لنستمتع بها وهو يقول: «**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**» فيوقظ القلب لتتبع مواضع الحسن والجمال في هذا الوجود الكبير [٢].

---

(١) انظر: أضواء البيان، للشنقيطي(٢٤٨/٤)، الاتقان، للسيوطي(٦٠/٢).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٢٨٠٩)

أقوال المفسرين في قوله تعالى: (أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ): [1]

الأول: أنها عامة، والمعنى أي جعل كل شيء خلقه حسناً حتى جعل الكلب في خلقه حسناً.

الثاني: أحكم كل شيء خلقه حتى أتقنه.

الثالث: ألهم خلقه ما يحتاجون إليه حتى علِمُوه من قولهم "فلان يحسن كذا" أي يعلمه.

الرابع: أعطى كل شيء خلقه ما يحتاج إليه، ثم هداه إليه

الخامس: أنه عرّف كل شيء خلقه، وأحسنه من غير تعلم، ولا سبق مثال حتى ظهرت فيه القدرة، وبانت فيه الحكمة [2]

ويمكن أن نجمع بين هذه الأقوال فنقول، بأنه سبحانه وتعالى أتقن خلق كل شيء، وأحكمه، وأحسن خلق كل شيء فجعل صورته مناسبة له، فلم يجعل خلق البهائم في خلق الإنسان، ولا خلق الإنسان في خلق البهائم، ومع أن الله عز وجل أتقن خلق كل شيء وحسنه ألهم خلقه ما يحتاجون إليه.

٥. خلق الإنسان من طين

ومن إحسانه في الخلق بدء خلق هذا الإنسان من طين، ويعد هذا الخلق آية من آيات الله العظيمة، قال تعالى: **(وبدأ خلق الإنسان من طين)**: فقد ذكر الله تعالى أنه بدأ خلق الإنسان من طين، وأصل الطين تراب، كما في قوله تعالى: **(ومن آياته أن خلقكم من تراب)** (الروم:٢٠)، وقال تعالى: **(إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب)** (ال عمران:٥٩).

وقد اختلف المفسرون في المراد بالإنسان في قوله "**وبدأ خلق الإنسان من طين**": فقيل: هو آدم عليه السلام، وقيل: المراد جنس الانسان [3].

قال تعالى: **(ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ)**: أي ثم جعل ذريته يتناسلون من نطفة تخرج من بين الصلب والترائب في كل من الرجل والمرأة [4].

وهذه الآية أجملت خلق الإنسان في بطن أمه، وقد ورد تفصيل خلق الانسان في قوله تعالى: **{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ** (١٢) **ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ** (١٣) **ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}** [المؤمنون: ١٢ – ١٤]، وقوله تعالى: **{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ**

---

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني(٢٤٩/٤)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي(٩٠/١٤)

(٢) انظر: النكت والعيون، للماوردي(٣٥٥/٥)، وتفسير القرطبي(٩٠/١٤)

(٣) انظر: روح المعاني، للألوسي(١٢٣/١١).

(٤) انظر: تفسير المراغي (٢١/ ١٠٥).

مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ } [الحج: ٥]، وغير ذلك من الآيات التي فصلت مراحل خلق الإنسان في بطن أمه من بداية استقرار النطفة في الرحم إلى تمام استواء خلقه حتى صار بشراً مستقيم الخلقة [١].

٦. نفخ الروح

ثم أشار الله تعالى إلى عظمة ما بعد ذلك من خلقه وتطويره، فقوّم أعضاءه، وعدّلها، وأتمها، ونفخ فيه الروح التي هي من أمر الله والتي لا يعرف حقيقتها إنسان، فبدأ يتحرك وينمو، قال تعالى: **(ثُمَّ سَوَّاهُ ونفخ فيه من روحه).**

والرُّوح: "خلقٌ من مخلوقات الله عزَّ وجلَّ، أضيفت إلى الله إضافة ملكٍ وتشريفٍ لا إضافة وصف؛ فهو خالقها ومالكها، يقبضها متى شاء ويرسلها متى شاء سبحانه" [٢].

وقد وردت في الكتاب والسنة مضافة إلى الله عزَّ وجلَّ في عدة مواضع، منها قوله تعالى:**(وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ)** (النساء:١٧١)، وقوله تعالى:**(فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي)** (الحجر:٢٩).

"وليس في مجرد الإضافة ما يستلزم أن يكون المضاف إلى الله صفة له، بل قد يضاف إليه من الأعيان المخلوقة وصفاتها القائمة بها ما ليس بصفة له باتفاق الخلق؛ كقوله تعالى: {بيت الله}، و{ناقة الله}، و{عباد الله}، بل وكذلك {روح الله} عند سلف المسلمين وأئمتهم وجمهورهم، ولكن؛ إذا أضيف إليه ما هو صفة له وليس بصفة لغيره؛ مثل كلام الله، وعلم الله، ويد الله ... ونحو ذلك؛ كان صفة له" [٣].

ومن الأحاديث التي وردت فيها إضافة الروح إليه سبحانه: حديث أبي هريرة رضي الله عنه في استفتاح الجنة، وفيه : **(.. فيأتون آدم .. ثم موسى عليهما السلام، فيقول: اذهبوا إلى عيسى كلمة الله ورُوحُه...)** [٤].

---

(١) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٥٢٢/٣).

(٢) انظر: صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، للسقاف (ص: ١٨٤)

(٣) الجواب الصحيح، لابن تيمية (١٤٥/٣)

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان ، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ح(١٩٥)(١٨٦/١).

٧. تكوين السمع والبصر والأفئدة

قال تعالى: (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ) أي وأنعم عليكم، فأعطاكم السمع تسمعون به الأصوات، والأبصار تبصرون بها المرئيات، والأفئدة تميزون بها بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، ثم بين سبحانه وتعالى أن الإنسان قابل هذه النعم بالكفران إلا من رحم الله.

وبدأ بالسمع؛ لأنه أشمل وأعم لأنك تسمع ما لا تراه، وقيل بأن الإنسان يسمع أولا كلاماً فينظر إلى قائله ليعرفه ثم يتفكر بقلبه في ذلك الكلام ليفهم معناه[١]، وقيل: لكثرة فوائد السمع؛ فإن أكثر أمور الدين تعلم من جهته، وقيل: فيه إلماح إلى سَبْقِ تكون حاسة السمع قبل البصر والفؤاد في مراحل تكوين الجنين [٢].

وهكذا يلاحظ التدرج في الخلقة وأطوار الإنسان، فهو ينشأ أولاً من مادة هي الطين اللازب، ثم تصبح هذه المادة ذات إفرازات حية، يتم بها تكوين الجنين، ثم تتحرك المادة بالروح التي هي من الحق تعالى، فيصبح خلقاً جديداً سوياً في أحسن تقويم، فتبارك الله أحسن الخالقين [٣].

سادساً: الهدايات المستنبطة من المقطع:

١. إثبات أن الخالق للأشياء هو الله تعالى، وبيان عظم خلقه في السموات والأرض وما بينهما.
٢. بيان الزمان الذي خلق الله فيه السموات والأرض وما بينهما.
٣. إثبات صفة الاستواء على العرش لله تعالى استواء يليق بجلاله تعالى.
٤. "أن الله عز وجل ولي المؤمنين الذي يتولى مصالحهم وناصرهم وشفيعهم، فإذا تجاوز الناس رضاه لم يجدوا لأنفسهم ولياً، أي ناصراً ينصرهم ولا شفيعاً يشفع لهم، وعليه، ليس للكافرين من ولي يمنع عنهم العذاب، ولا شفيع يتوسط لهم فيرفع عنهم العقاب"[٤] .
٥. بيان جلال الله وعظمته في تدبيره أمر الخلائق.
٦. "بيان صفات الله تعالى من العلم والعزة والرحمة"[٥] .
٧. تفنِيدُ نظرية داروين الفاسدة التي تقول: إن الخلق نشأ بالتطور، وأن أصل الإنسان قرد ثم صار على طول الزمن إنسانًا.

---

(١) انظر: السراج المنير، للخطيب (٣/٣٠٥)

(٢) انظر: تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، د. زغلول النجار (٣/٥٥).

(٣) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ١٩١-١٩٢)

(٤) المرجع السابق (٢١/ ١٩٣)

(٥) أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٢٥)

٨. "لله القدرة البالغة التي لا توصف عظمتها وحدودها، فقد خلق أصل الإنسان من طين، ثم جعل ذريته يتناسلون كذلك من ماء ممتهن ضعيف، ثم أكمله وأتمه وعدّله ونفخ فيه الروح، وخلق فيه حواس السمع والبصر والعقل أدوات المعرفة ووسائل إدراك الحق والهدى، وتلك نعم عظمى تستحق الشكر والوفاء بالمعروف، لكن أكثر الناس كافرون لا يشكرون، وقليل من عباده الشكور"[١].

٩. كل مخلوق خُلق على ما يناسب حاله.

١٠. بيان بعض النعم التي أنعمها الله على الإنسان من السمع والبصر والفؤاد.

١١. "وجوب شكر النعم بالاعتراف بها وذكرها، وحمد الله تعالى عليها وصرفها في مرضاته"[٢].

---

(١) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ١٩٤)

(٢) أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٢٥)

المقطع الثالث

إثبات البعث وبيان حال المجرمين يوم القيامة

قال تعالى: {وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠) قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١) وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢) وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [السجدة: ١٠ – ١٤]

أولاً: المناسبة:

بعد إثبات وحدانية الله تعالى، وبيان الأدلة على ذلك في قوله تعالى: **(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمواتِ وَالْأَرْضَ...)**، وبيان الرسالة وبرهانها في قوله: **(لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لعلهم يهتدون)**، أخبر سبحانه عن البعث وطريق إثباته للرد على المشركين المنكرين له، وهذا على عادة القرآن الكريم كلما ذكر أصلين من أصول الاعتقاد الثلاثة ذكر الأصل الثالث، وهو هنا ذكر الأصل الثالث، وهو الحشر في قوله تعالى: **(وَقالُوا أءذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ)** [١].

ثانياً: التحليل اللغوي:

١. **(ضَلَلْنا)**: "صارت لحومنا وعظامنا تراباً في الأرض"[٢]، وقيل: "هلكنا وضعنا في الأرض وصرنا تراباً"،[٣] وقيل: "غبنا فِيها بالموت وصرنا تراباً" [٤] .

٢. **(يَتَوَفَّاكُمْ)**: "يقبض أرواحكم حتى لا يبقى أحد ممن كتب عليه الموت".[٥]

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٤٢)

(٢) جامع البيان، للطبري (٢٠/ ١٧٣)

(٣) صفوة التفاسير، للصابوني (٢/ ٤٦٠).

(٤) التفسير الوسيط، للواحدي (١/ ٧٠)

(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣/ ٤٠٣)

٣. **(نَاكِسُوا)**: من النكْس: "وهو قلب الشيء على رأسه" [١]، أي مطرقوها أو مطأطئوها حياءً وخوفاً وخزياً وذلاً من ربهم يوم العرض [٢]، "ونكس الرؤوس علامة الذل والندامة، وذلك مما يلاقون من التقريع والإهانة" [٣].

٤. **(إِنَّا مُوقِنُونَ)**: اليقين: "هو العلم وزوال الشك" [٤]، أي "زالت عنا الشكوك الآن، وآمنا بالبعث الذي كنا ننكره" [٥].

٥. **(عذاب الخُلْد)**: أي "العذاب الدائم الذى لا ينقطع" [٦].

ثالثاً: البلاغـة:

١. **(أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ)**: "الاستفهام للتعجب والاستنكار، وغرضه الاستهزاء، أي أظهَروا في كلامهم استبعاد البعث بعد فناء الأجساد واختلاطها بالتراب" [٧].

٢. **(بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ)**: تقديم المجرور على كافرون " للاختصاص ولرعاية الفاصلة، والإتيان بالجملة الاسمية لإفادة الدوام على كفرهم والثبات عليه" [٨].

٣. **(ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ)**: "تقديم الجار والمجرور؛ "للاختصاص، أي إليه لا إلى غيره مرجعكم يوم القيامة" [٩].

٤. **(وَلَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمُونَ)**: "حذف جواب «لو» للتهويل، أي لرأيت أمراً مهولاً" [١٠].

٥. **(بما نسيتم لقاء يومكم هذا)**: الباء للسببية، وفيه إشعار بأن تعذيبهم ليس لمجرد سبق القول ، بل بسبب نسيانهم لقاء هذا اليوم الهائل، وتركهم التفكر فيه والاستعداد له بالكلية [١١].

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٢٠).

(٢) انظر: البحر المحيط في التفسير، لابي حيان (٨/ ٤٣٥)

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٢١).

(٤) مختار الصحاح، للرازي (ص: ٣٤٩).

(٥) التيسير في أحاديث التفسير، للناصري (٥/ ٨٤).

(٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٣/ ٩).

(٧) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٢٨٩).

(٨) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢١٩).

(٩) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ١٩٦)

(١٠) المرجع السابق، (٢١/ ١٩٦)

(١١) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٧/ ٨٤)

٦. **(يَوْمِكُمْ هَذَا)**: إضافة (يوم) إلى ضمير المخاطبين تهكم بهم، لأنهم كانوا ينكرونه فلما تحققوه جعل كأنه أشد اختصاصاً بهم على طريقة الاستعارة التهكمية[١].

٧. **(وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون)**: التكرار في ذوقوا للتأكيد والتشديد، وللإشعار بأن سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان، بل له أسباب أخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا [٢].

رابعاً: القراءات:

١. **القراءة:**

- **(إذَا–أءنا)**: قرأها ابن عامر وأبو جعفر، بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني.
- **(أَئِذَا–إنا)**: وقرأها الباقون بالاستفهام في الاول والإخبار في الثاني[٣].

توجيه القراءة:

فأما علة الاستفهام والخبر، فحجة من استفهم في الأول والثاني؛ أنه أتى الكلام على أصله، في التقرير والإنكار، أو التوبيخ بلفظ الاستفهام، ففيه معنى المبالغة والتوكيد، فأكد بالاستفهام هذه المعاني، وزاده توكيداً بإعادة لفظ الاستفهام في الثاني، فأجراهما مجرى واحداً، وحجة من أخبر في أحداهما واستفهم في الآخر؛ أنه استغنى بلفظ الاستفهام في أحدهما عن الآخر، إذ دلالة الأول على الثاني كدلالة الثاني على الأول، وأيضاً فإن ما بعد الاستفهام في أكثر هذه المواضع تفسير للعامل الأول في (إذ) التي دخل عليها حرف الاستفهام، فاستغنى عن الاستفهام في الثاني بالأول[٤].

والقراءات بمجموعها تبين مدى إنكارهم للبعث.

خامساً: المعنى الاجمالي:

١. **إنكار المشركين للبعث**

يخبر الله سبحانه وتعالى عن حال المشركين في استبعادهم المعاد، حيث قالوا: **(أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ)**، أي: إذا تمزقت أجسامنا وتفرقت في أجزاء الأرض وذهبت، **{أئنا لفي خلق جديد}**، أي: أئنا لنعود بعد تلك الحال، يستبعدون ذلك،

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٢٥).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٧/ ٨٤).

(٣) انظر: النشر، لابن الجزري (٣٤٧/٢) .

(٤) انظر: شرح طيبة النشر، لابن الجزري (٢٣٦/٢–٢٤٠)، الكشف عن وجوه القراءات، مكي بن أبي طالب طالب (٢٢/٢)

وهذا إنما هو بعيد بالنسبة إلى قدرتهم العاجزة، لا بالنسبة إلى قدرة الذي بدأهم وخلقهم من العدم، الذي إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون؛ ولهذا قال: **{بل هم بلقاء ربهم كافرون}**[1].

وقوله: **(بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ)**: إشارة إلى أن هؤلاء المشركين على ضلال في حياتهم الدنيا التي فتنتهم، وهذا ما أوقع في تفكيرهم أن لا حياة بعد الموت، وأن لا حساب ولا جزاء [2].

وقوله: **(قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ)**: هذه الآية الكريمة ظاهرها أن الذي يقبض أرواح الناس مَلَكٌ واحد معين، وقد جاء في بعض الآثار أن اسمه عزرائيل [3]، وقد بين الله تعالى في آيات أخرى، أن الناس تتوفاهم ملائكة لا ملك واحد، من ذلك قوله تعالى: **(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم..)** (النساء:٩٧)، وقوله تعالى: **(فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم)**(محمد:٢٧)، وقوله تعالى: **(ولو ترى إذ الظالمون في غمران الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم..)**(الأنعام:٩٣)، وقوله تعالى: **(حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون)**(الانعام:٦١) ، وغير ذلك من الآيات.

وإيضاح هذا عند أهل العلم: أن الموكل بقبض الأرواح مَلَكٌ واحد، وهو المذكور في الآية التي معنا، وله أعوان يعينونه، وقد جاء في حديث البراء بن عازب الطويل المشهور أن النبي ﷺ ذكر فيه "**أن ملك الموت إذا أخذ روح الميت أخذها من يده بسرعة ملائكة فصعدوا بها إلى السماء**"[4]، فحديث البراء دل على أن مع ملك الموت ملائكة آخرين يأخذون من يده الروح حين يأخذها من بدن الميت، وهم المقصودون بالآيات السابقة، وأما قوله تعالى: **(الله يتوفى الأنفس حين موتها)**(الزمر:٤٢)، فلا إشكال فيه؛ لأن الملائكة لا يقدرون أن يتوفوا أحداً إلا بمشيئة الله تعالى، كما قال سبحانه: **(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلاً)** (ال عمران:٤٥) [5]، فخلق الله ملك الموت وأمره بقبض الأرواح، وجعل له جنوداً يكونون معه، يعملون بأمره فيجذبون الروح من البدن إلى الحلقوم، وملك الموت يتناولها من الحلقوم [6].

قال الإمام الألوسي: والذي ذهب إليه الجمهور: "أن ملك الموت لمن يعقل ومالا يعقل من الحيوان" [7].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٦٠).

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦١٣)

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤٧٤/٣).

(٤) مسند أحمد، مُسْنَدِ الْكُوفِيِّينَ، حَدِيثُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، ح(١٨٥٣٤)(٣٠/ ٤٩٩)

(٥) انظر: أضواء البيان، للشنقيطي (٢٤٨/٤)، وتفسير الطبري (٢١٤/٥).

(٦) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي (٥٣٤/٣).

(٧) روح المعاني، للألوسي(١٢٦/١١).

٢. حال المجرمين يوم القيامة

يخبرنا الله تعالى عن حال المجرمين يوم القيامة، ويبين لنا حالهم حين يعاينون البعث، حيث قال: **(وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ)**، فيقومون ناكسوا رؤوسهم من الحياء والخجل، يقولون: **(ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون)**، أي: قد أيقنا وتحققنا لنا وعدك الحق، وقد علم الله تعالى منهم أنه لو أعادهم إلى الدار الدنيا لكانوا كما كانوا فيها كفاراً يكذبون بآيات الله ويخالفون رسله[١] .

إنه مشهد الخزي والاعتراف بالخطيئة، والإقرار بالحق الذي جحدوه، وإعلان اليقين بما شكوا فيه، وطلب العودة إلى الأرض لإصلاح ما فات في الحياة الأولى، ولكن هذا كله يجيء بعد فوات الأوان حيث لا يجدي اعتراف ولا إعلان[٢] .

ثم يقرر الله الحقيقة التي تتحكم في الموقف كله وتتحكم قبل ذلك في حياة الناس ومصائرهم:**(وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)** "أي ولو أردنا أن نُوفق كل نفس ونلهمها الهداية إلى الإيمان والعمل الصالح لفعلنا، كما قال تعالى في آية أخرى:**(وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً)** [يونس ٩٩]"[٣].

واختلف المفسرون في المراد من قوله تعالى: (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا)، إلى ثلاثة أقوال:

الأول: هدايتها للإيمان.

الثاني: هدايتها للجنة.

الثالث: هدايتها في الرجوع إلى الدنيا، لأنهم سألوا الرجعة ليؤمنوا [٤].

ورد الألوسي الأخيرين، وقال: "وأما تفسيرها بما سأله الكفرة من الرجوع إلى الدنيا أو بالهداية إلى الجنة فليس بشيء"[٥]، والقول الأول هو الذي يرجحه، ويكون المعنى لآتينا كل نفس ما تهتدي به إلى الإيمان والعمل الصالح .

وفي معنى قوله تعالى: (وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي): وجهان:

أحدهما: معناه سبق القول مني.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٦٢).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٨١١).

(٣) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ١٩٩).

(٤) انظر: تفسير القرطبي(١٤/٩٩)، النكت والعيون، للماوردي(٤/٣٥٩)

(٥) روح المعاني، للألوسي (١١/١٢٨).

الثاني: وجب القول مني[١]، ولا تناقض بينهما فإذا كان القول قد سبق من الله، فقد وجب وحق عليهم.

ثم بين سبحانه ما يقال لهؤلاء المجرمين عندما يُلقى بهم في جهنم، فقال تعالى: **(فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)**، فيقال لأهل النار على سبيل التقريع والتوبيخ: ذوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم بيوم القيامة، واستبعادكم وقوعه، وتناسيكم له، لذا فإنا سنعاملكم معاملة الناسي؛ لأنه تعالى لا ينسى شيئاً، ويقال لهم على سبيل التأكيد: وذوقوا عذاب النار الدائم الذي تخلدون فيه بسبب كفركم وتكذيبكم وسوء أعمالكم [٢].

سادساً: الهدايات المستنبطة من المقطع:

١. تقرير عقيدة البعث والجزاء، وأنَّ هؤلاء المنكرين بالبعث ليس عندهم حُجَّة إلا مجرد الكفر لقوله: **(بل هم بلقاء ربهم كافرون)**، وإثبات الرجوع إليه **(ثم إلى ربكم ترجعون)** [٣]، وهذا يدل على تمام قدرة الله عز وجل بإعادة إحياء الأموات بعد أن غابوا في الأرض واضمَحَلُّوا فيها، فينشئهم الله تعالى خلقاً جديداً.

٢. "الذنب الذي هو سبب كل ذنب هو الكفر بلقاء الله تعالى" [٤].

٣. إثبات ملاقاة الله عز وجل يوم القيامة.

٤. "الحقيقة أن المشركين لا يجحدون قدرة الله تعالى بالإعادة، لأنهم يعترفون بقدرته، ولكنهم اعتقدوا ألا حساب عليهم، وأنهم لا يلقون الله تعالى" [٥].

٥. إثبات الملائكة؛ لقوله: **(ملك الموت)**، وأن الذي يتولى قبض الأرواح ملك الموت؛ لقوله: **(قل يتوفاكم ملك الموت)**، وأنّ لهذا الملك أعوان من الملائكة، وأن الأرض جعلت لملك الموت كالطست بين يديه يتناول منها ما يشاء [٦].

٦. "استدل بعض العلماء بقوله تعالى: **(الذي وُكِّلَ بِكُمْ)**، على جواز الوكالة" [١].

---

(١) انظر: النكت والعيون، للماوردي(٤/٣٥٩).

(٢) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ١٩٩)

(٣) انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٢٦).

(٤) أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٢٧).

(٥) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٠٠).

(٦) انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٢٧).

٧. كمال تنظيم الله عز وجل للأمور وإحكامه لها؛ لقوله: **(الذي وُكل بكم)**، فإن كل ملك موكل بشيء من الأشياء وفق قدرة الله وحكمته.

٨. "بيان عدم نفع ايمان الكفار عند معاينة العذاب يوم القيامة، لأنها دار جزاء لا دار عمل"[٢].

٩. التنديد بالإجرام والمجرمين، وبيان أنّ حالهم يوم القيامة يدعو للعجب، فعند الحساب والجزاء يخفضون رؤوسهم من الحياء والندم، والخزي، والذل والغم والحزن، ويقولون: ربّنا أبصرنا ما كنا نكذب، وسمعنا ما كنا ننكر، فارجعنا إلى الدنيا نعمل العمل الصالح الذي يرضيك، إنا مصدّقون بالبعث وبالذي جاء به محمد ﷺ[٣].

١٠. إقرار المجرمين على أنفسهم بأن عملهم السابق ليس بصواب، لقوله: **(نعمل صالحاً)**.

---

(١) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٠٠).

(٢) أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٢٩).

(٣) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٠١-٢٠٢)، وأيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٢٩).

المقطع الرابع

صفة المؤمنين في الدنيا وجزاؤهم عند ربهم في الآخرة

قال تعالى: { إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [السجدة: ١٥ – ١٧]

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر الله تعالى جزاء الكافرين في موقف الحساب يوم القيامة من ذلة وخزي وخجل، وما يتعرضون له من عذاب شديد، أعقبه بذكر جزاء المؤمنين، وهم الذين آمنوا بآيات الله ولقائه، فذكر أجمل صفاتهم فقال تعالى: **{إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ}**[السجدة: ١٥] [(١)]، فأراد بذلك "تسلية النبي صلى الله عليه وسلم" [(٢)].

ويمكن أن يقال أيضاً: أنه سبحانه وتعالى ذكر أقسام الناس في الدارين، فقسمهم إلى قسمين، فتشوقت النفس إلى ذكر علامة أهل الإيمان، كما ذكرت علامة أهل الكفران، وأن المجرمين لا سبيل إلى إيمانهم **{ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه}** [الأنعام: ٢٨]، فعقب بعد ذلك بصفة المؤمنين الذين استحقوا الهداية إلى الإيمان [(٣)].

ثانياً: سبب النزول:

- **قوله تعالى: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ}**[السجدة: ١٥]:

جاء في سبب نزولها ما روي عن ابن عباس، أنه قال: نزلت هذه الآية في شأن الصلوات الخمس [(٤)].

---

(١) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٠٥)

(٢) التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (٨/ ١٢٣).

(٣) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١٥/ ٢٥٣-٢٥٤).

(٤) شعب الإيمان، للبيهقي، كتاب: الصلاة، باب: فضل المشي إلى المساجد، ح(٢٦٥٤) (٤/ ٣٦٦).

- **قوله تعالى: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)** [السجدة: ١٦]:

جاء في سبب نزولها ما روي عن أنس بن مالك قال: (نزلت في انتظار هذه الصلاة التي تدعى العتمة)[١].

ثالثاً: التحليل اللغوي:

١. **(إِنَّما يُؤْمِنُ بِآياتِنَا)**: أي: "يصدق بها"[٢].

٢. **(إذا ذُكِّرُوا بِها)**: أي: "وُعِظوا بها"[٣].

٣. **(خَرُّوا سُجَّداً)**: الخرور: "هُوَ السُّقُوط من أعلى إلى أسفل، واستعمل في الآية؛ للتنبيه على اجتماع أمرين: السقوط، وحصول الصوت منهم بالتسبيح"[٤].

والسجود: "هو وضع الجبهة على الأرض إرادة التعظيم والخضوع"[٥].

وفي معناها قولان: **الأول**: أنهم صلوا حمداً لربهم، **والثاني**: أنهم سبحوا بمعرفة الله وطاعته[٦]، والمعنى الأول أقرب للمراد، "وهو الذي عليه أكثر المفسرين"[٧].

٤. **(وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ)**: التسبيح: هو "التنزيه والتقديس عما لا يليق به"[٨]، فيكون المراد أنهم نزهوه بقلوبهم عما لا يليق به، وحمدوه بألسنتهم كما يريد، وقيل أنهم جمعوا بين التسبيح والحمد في سجودهم، فقالوا: سبحان الله وبحمده وسبحان ربي الأعلى[٩].

---

(١) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب: زمن سورة السجدة، ح(٣١٩٦) (٥/ ٣٤٦)، صححه الألباني، انظر: الاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عيد الهلالي ومحمد بن موسى آل نصر (٣/ ٧٠)، الصحيح المسند من أسباب النزول، للوادعي (ص: ١٦١)

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٦٣).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥١١).

(٤) انظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهروي (٢٢/ ٣٦٨)

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٢٧).

(٦) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٦١).

(٧) التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (٨/ ١٢٣).

(٨) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٤/ ٢٢١).

(٩) انظر: التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (٨/ ١٢٣)

٥. **(وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ)**: أي لا يستكبرون عن عبادته، وقيل: لا يستكبرون عن السجود له كما استكبر أهل مكة عن السجود [١]، ولا منافاة بين القولين؛ فهم لا يستكبرون عن عبادته وطاعته ومنها السجود له سبحانه وتعالى، فإنّ السجود أخص العبادات، وهو دليل واضح على التذلل والخضوع لرب العالمين.

٦. **(تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ)**: أي: ترتفع وتتنحى وتتجنبُ جنوبهم الفُرُش ومواضع النوم، إلى ما هو ألذ عندهم منه وأحب إليهم، وهو القيام للصلاة في الليل [٢]، "قاله جمهور المفسرين؛ لأن أفضل أفضل النفل ما كان في الأسحار" [٣].

٧. **(الْمَضاجِعِ)**: جمع مضجع، وهو مكان الضجع، يعني الفرش ومواضع النَّوم [٤].

٨. **(يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا)**: أي: "خائفين من غضبه وعذابه وعدم قبول عبادتهم، وطامعين في ثوابه وحسن جزائه" [٥].

٩. **(وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)** أي: ومن المال الذي أعطيناهم إياه ينفقون في وجوه الخير، وذلك في الصدقة الواجبة، وقيل: في صدقة النفل، والأولى: حملها على العموم [٦].

١٠. **(مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ)**: أي "مما تسر به قلوبهم" [٧].

رابعاً: البلاغـة:

١. **(إنما يؤمن)**: جاء لفظ (يؤمن) بصيغة المضارع؛ وذلك "للإشعار بأنهم يتجددون في الإيمان ويزدادون يقيناً، وإلا فإن المؤمنين قد حصل إيمانهم فيما مضى" [٨].

٢. **(وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ)**: "تعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات مع إضافته إلى ضميرهم، للإشعار بعلة التسبيح والتحميد" [٩].

---

(١) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٢٤).

(٢) انظر: التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (٨/ ١٢٤)

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٥٩٨)

(٤) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣/ ٤٠٤)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٢٩).

(٥) التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (٨/ ١٢٥).

(٦) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٢٩٢-٢٩٣)، فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٢٦).

(٧) التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (٨/ ١٢٣).

(٨) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٢٧).

(٩) التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (٨/ ١٢٤).

٣. **(تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ)**: "كناية عن كثرة العبادة والتبتل ليلاً" [١]، وجاء لفظ (تتجافى) بصيغة بالمضارع؛ "وذلك لإفادة تكرر ذلك وتجدده منهم في أوقات الإضجاع، وهي الأوقات التي الشأن فيها النوم" [٢].

٤. **(خَوْفاً وَطَمَعاً)**: "بينهما طباق" [٣].

٥. **(فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ)**: "النكرة جاءت في سياق النفي لتفيد العموم، أي: لا تعلم نفس من النفوس ما أخفاه الله سبحانه لأولئك الذين تقدم ذكرهم بما تقر به أعينهم" [٤].

٦. **(قُرَّةِ أَعْيُنٍ)**: "كناية عن المسرة"[٥]، "والإبهام في لفظ "أعين" للتعظيم وإعلاء الشأن" [٦]، "وفي "وفي إضافة القرة إلى الأعين على الإطلاق لا إلى أعينهم؛ تنبيهٌ على أن ما أخفي لهم في غاية الحسن والكمال" [٧].

رابعاً: القراءات:

١. **القراءة:**

- **(أُخْفِيْ)**: قرأها حمزة ويعقوب بإسكان الياء.
- **(أُخْفِيَ)**: وقرأها الباقون بفتح الياء. [٨]

التوجيه:

على قراءة حمزة ويعقوب يكون معنى الآية فلا تعلم نفس ما أُخفيْ أنا لهم من قرة أعين، وبذلك تعطي صورة الحاضر لمعرفة عظمة الله في اعطائه، وقراءة الباقين على أنه فعل ماضي لما لم يسم فاعله، ولا شك أن فاعله هو الله[٩]، بمعنى أن الله يعلم بعلمه الأزلي ما أخفى لعباده المؤمنين وهذا مما لا شك فيه.

---

(١) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٠٣)

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٢٨)

(٣) التفسير المنير للزحيلي (٢١/ ٢٠٣).

(٤) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٢٩٣).

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٣٠).

(٦) التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (٨/ ١٢٦).

(٧) روح المعاني، للألوسي (١١/ ١٣٠).

(٨) انظر: النشر ، لابن الجزري (٣٤٧/٢)

(٩) جامع البيان، للطبري(٢٤٤/١٠).

خامساً: المعنى الاجمالي:

١. جزاء المؤمنين والفاسقين

بعدما أخبر الله تعالى عن الفئة الغافلة المستكبرة، المصرة على التمسك بضلالها، أخذ يتحدث عن الفئة المؤمنة، الخاشعة لله، فوصفها بأن سماعها لكلام الله يزيدها هدى وإيماناً، فلا تلبث أن تخر ساجدة لجلاله وجماله، وتسبح في تهجدها بحمده وكماله [١]، حيث قال:**(إِنَّما يُؤْمِنُ بِآياتِنَا الَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِها خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ)**(السجدة:١٥)، وفي هذه الآية مشهد له عطر تستروح له الأرواح وتخفق له القلوب، إنّه مشهد المؤمنين، مشهدهم خاشعين مخبتين عابدين، داعين إلى ربهم وقلوبهم راجفة من خشية الله، وهي صورة وضيئة للأرواح المؤمنة بآيات الله، فإذا ذُكر الله خَرُّوا سُجَّداً لله، وشعوراً بجلاله الذي يقابل بالسجود أول ما يقابل، تعبيراً عن الإحساس الذي لا يعبر عنه إلا تمريغ الجباه بالتراب «**وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ**»، مع حركة الجسد بالسجود وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُون، فهي استجابة الطائع الخاشع المنيب الشاعر بجلال الله الكبير المتعال [٢].

- **حكم سجود التلاوة:** قال الإمام النووي: سجود التلاوة مما يتأكد الاعتناء به، فقد أجمع العلماء على الأمر بسجود التلاوة، واختلفوا في أنه أمر استحباب أم إيجاب، والراجح أنه ليس بواجب بل مستحب، وهو رأي أكثر العلماء [٣].
- **ما يشترط لسجود التلاوة:** حكم سجود التلاوة حكم صلاة النافلة في اشتراط الطهارة عن الحدث، وعن النجاسة واستقبال القبلة، وستر العورة فيحرم على من ببدنه أو ثوبه نجاسة غير معفو عنها، وعلى المحدث إلا إذا تيمم في موضع يجوز فيه التيمم ويحرم إلى غير القبلة وهذا كله متفق عليه[٤]، ويسن السجود للقارئ إذا كان طاهراً من الحدثين سواء كان في الصلاة أو خارجاً منها [٥].
- **كيفية سجود التلاوة:** قال الإمام النووي: له حالان: حال في غير الصلاة، وحال في الصلاة.

---

(١) انظر: التيسير في أحاديث التفسير، للناصري (٥/ ٨٦).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٢٨١٢/٥).

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي (ص: ١٣٢).

(٤) انظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين ، للنووي (٤٢٣/١).

(٥) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي (ص١٠٨).

فالأول: ينوي ويكبر للافتتاح، ويرفع يديه في هذه التكبيرة حذو منكبيه كما يفعل في تكبيرة الافتتاح، ثم يكبر أخرى للهوي من غير رفع اليد، ثم تكبيرة الهوي مستحب ليس بشرط وفي تكبيرة الافتتاح أوجه أصحها أنها شرط.

الثاني: أن يسجد للتلاوة في الصلاة، فلا يكبر للافتتاح، لكن يستحب التكبير للهوى إلى السجود من غير رفع اليدين، وكذا يكبر عند رفع الرأس كما يفعل في سجدات الصلاة، وينبغي أن يسجد عقب قراءة أية السجدة، أو استماعها، فإن أخر وقصر الفصل سجد، وإن طال فاتت وهل تقضي قولان: أظهرهما لا تقضى [1].

٢. **تجافي جنوب المؤمنون عن المضاجع**

ثم صور سبحانه وتعالى أحوالهم في عبادتهم وتقربهم إلى الله، تصويراً بديعاً فقال: **(تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)**، فهؤلاء هم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع، ويبتعدون عن الفراش الوثير، ويهرعون إلى الصلاة يدعون ربهم خوفاً من عذابه وعقابه، وطمعاً في ثوابه ورحمته، ومما رزقناهم من المال ينفقون في وجوه البر، ويؤدون حقوقه التي أوجبها عليهم فيه.

أقوال المفسرين في الصلاة المرادة في الآية:

الأول: التنفل بين المغرب والعشاء، ونزلت هذه الآية في قوم من أصحاب رسول الله ﷺ كان يصلّون ما بين المغرب والعشاء.

الثاني: صلاة العشاء التي يقال لها صلاة العتمة، فكان أصحاب رسول الله ﷺ لا ينامون حتى يصلُّوها.

الثالث: صلاة الصبح والعشاء في جماعة.

الرابع: قيام الليل، فنزلت في المتهجّدين بالليل الذين يقومون للصلاة عن الفراش، وهو الذي عليه الجمهور [2]، ومما يقوي هذا القول حديث معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال له ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جُنَة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ النار الماء، وصلاة الرجل من جوف الليل، ثم قرأ: **(تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون)**[3].

---

(١) انظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين، للنووي (١/ ٣٢١-٣٢٢).

(٢) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٢٩٢-٢٩٣)، النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٦٣)

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب: الفتن، باب: كف اللسان في الفتنة ح(٣٩٧٣)(٢/ ١٣١٤)، صححه الألباني.

٣. **حكم قيام الليل**

أرجح الأقوال في ذلك أنه كان فرضًا على النبي ﷺ وعلى أُمته، فقد ورد في صحيح مسلم عن زرارة بن أَوفى: أَن سعد بن هشام بن عامر أَراد أَن يغزو في سبيل الله، .. وفي هذا الحديث فقلت (أَي: سعد بن هشام) لعائشة: أَنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ فقالت: أَلست تقرأُ **(يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ)** قلت: بلى، فقالت: فإِن الله عز وجل افترض قيام الليل في أَول هذه السورة، فقام صلى الله عليه وسلم وأَصحابه حولاً، وأَمسك خاتمتها اثنى عشر شهرًا في السماءِ حتى أَنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف **(عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ)** فصار قيام الليل تطوعًا بعد الفريضة[١].

والظاهر أَن النسخ والتخفيف كان في حق الأُمة، وبقيت فريضة قيام الليل على النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى: **(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا)** (الأسراء:٧٩) وهذا رأَي كثير من المفسرين والفقهاءِ[٢].

٤. **فضل قيام الليل والحث عليه**

القيام بالليل والتهجد فيه لون من العبادة عال، وتوفيق من الله كبير، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وقد ورد فيه مع هذه الآيات آيات وأحاديث كثيرة كلها تهدف إلى بيان فضله، وجزيل مثوبته وسأكتفي بذكر حديثين:[٣]

الأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سئل النبي ﷺ: أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ فقال: **(أفضل الصلاة، بعد الصلاة المكتوبة، الصلاة في جوف الليل)**[٤].

الثاني: عن أبي أمامة الباهلي، عن رسول الله ﷺ قال: **(عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة لكم إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم)**.[٥].

٥. **جزاء المؤمنين عند ربهم**

ثم يخبرنا سبحانه وتعالى أنه أعد لهؤلاء الذين ذكرت محاسنهم ثوابًا عظيمًا من النعيم المقيم الذي أُخفي لهم، حيث قال: **(فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** ، فلا تعلم كنهه نفس من النفوس، لا ملك مقرّب، ولا نبي مرسل، فضلاً عمن عداهم بهذا النعيم

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، ح (٧٤٦)(١/ ٥١٣)

(٢) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث (١٠/ ١٦٣٣)

(٣) انظر: التفسير الواضح، محمود حجازي (٣/ ٦٦).

(٤) صحيح مسلم، كتاب: الصوم، باب: فضل صوم المحرم، ح(١١٦٣)(٢/ ٨٢١).

(٥) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب: جماع أبواب صلاة التطوع، وقيام شهر رمضان، باب: الترغيب في قيام الليل، ح(٤٣١٧) (٢/ ٧٠٧).

الذي تبرُدُ أعينهم سرورًا به وتبتهج قلوبهم له: جزاء وفاقًا لما أخفوه من أعمالهم الصالحة في الدنيا، فإن الجزاء من جنس العمل[١].

وقد ذكر الله فيها نعيم الجنة مجملاً، والعلم الذي نفاه الله عن جميع النفوس هو العلم التفصيلي المحيط بجميع أنواع النعيم في الجنة، والمراد: لا تعلم نفس ما أخفي لهم علمًا تفصيليًا، وإلا فنحن نعلم ما أعد للمؤمنين من النعيم إجمالًا، من حيث إنه غرفٌ في الجنة وقصور وأشجار وأنهار وملابس ومآكل وغير ذلك [٢]، وهكذا نرى في هذه الآيات الكريمة صورة مشرقة لعباد الله الصالحين، وللثواب الذي لا تحيط به عبارة، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، **(قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنِي أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَينٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ اقْرَأُواْ إِنْ شِئْتُم: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ}** [٣].

سادساً: الهدايات المستنبطة من المقطع:

١. "من صفات المؤمنين الخضوع والاستسلام لآيات الله تعالى"[٤].
٢. بيان فضيلة التسبيح في الصلاة، وهو سبحان ربي العظيم في الركوع، وسبحان ربي الأعلى في السجود [٥].
٣. "ذم الاستكبار وأهله ومدح التواضع لله وأهله"[٦].
٤. من صفات المؤمنين أنهم يخرون سجداً لله تعالى، تعظيماً لآياته، وخوفاً من سطوته وعذابه، وأنهم يقرنون التسبيح بالتحميد [٧].
٥. ومن صفات المؤمنين أيضاً: ملازمة قيام الليل، أي صلاة التهجد في الثلث الأخير من الليل، ومع تجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم في ليلهم ونهارهم، خوفاً من العذاب، وطمعاً في الثواب، ويتصدقون بأموالهم وتلك هي النوافل بعد أداء الزكاة المفروضة [٨]، وفي ذلك بيان فضيلة قيام الليل وهو المعروف بالتهجد.
٦. بيان فضيلة الدعاء، وأنه ينبغي للمسلم أن يكون دعائُه وعبادتُه بين الخوف والرجاء.

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٢٥)
(٢) انظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهروي (٢٢/ ٣٥٦)
(٣) صحيح مسلم، كتاب: الجنة، باب: باب ما أعده الله لعباده الصالحين، ح (٧٢٣٤)(٨/ ١٤٣).
(٤) المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، لأبي شوفة (ص: ٣٠٦).
(٥) انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٣١).
(٦) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن (٥٧/٦)
(٧) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٠٨)
(٨) المرجع السابق، (٢١/ ٢٠٨)

٧. "بشارة المؤمنين بعظيم النعيم والتكريم"[١]، وأن جزاءهم "مفتوح وعظيم جداً، لا يعلم حقيقته إلا الله ، فلا يدري أحد ما لهم من النعيم الذي لم تعلمه نفس ولا بشر ولا ملك، وهذه الكرامة إنما هي لأعلى أهل الجنة منزلاً"[٢].

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٢٨١٢/٥)

(٢) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٠٨)

المقطع الخامس

عدم استواء المؤمنين والفاسقين في الجزاء

قال تعالى: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠) وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ} [السجدة: ١٨- ٢٢]

أولاً: المناسبة:

لما بين سبحانه وتعالى حال المجرمين والمؤمنين، عطف على ذلك سؤالاً للعقلاء : هل يستوي الفريقان؛ وبين أنهما لا يستويان، ثم فصَّل ذلك ببيان مآل كل منهما يوم القيامة[١].

ثانياً: سبب النزول:

قيل أنها نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنا أحد منك سناناً، وأبسط منك لساناً، وأملاء للكتيبة منك، فقال له علي: اسكت؛ فإنما أنت فاسق؛ فنزل:**{أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ}**؛ قال: يعني بالمؤمن: علياً، وبالفاسق: الوليد بن عقبة[٢].

وقد عقب ابن عاشور على سبب نزولها فقال: "ليست الآية نازلة في معين كما قيل، لأن (مَنْ) الموصولة في الموضعين عامة بقرينة التفصيل"[٣]، فضلاً على أنّ هذه الرواية "لم ترد في كتب الأحاديث الصحيحة، بل هي رواية ضعيفة، والمفروض أن الوليد كان مسلماً، والآية تقرر مأوى الفاسقين في النار خالدين فيها، وتنزه علياً عن القذف بمسلم بصفة الفاسق الكافر، والإمعان في السياق يسوغ القول إن الآيات منسجمة مع الآيات السابقة، بل والآيتين اللاحقتين سبكاً وموضوعاً كل الانسجام"[٤].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي(٢٥/ ١٤٧)

(٢) انظر: أسباب النزول، للواحدي ص(٣٦٣)، والاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عيد الهلالي ومحمد بن موسى آل نصر (٣/ ٧٣)، وتسهيل الوصول في معرفة أسباب النزول، خالد العك، ص(٢٦٧)

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٣١)

(٤) انظر: التفسير الحديث، دروزة (٥/ ٣٥٢)

ثالثاً: التحليل اللغوي:

١. **(فَاسِقًا)**: أصل الفسق: الخروج مطلقاً، من فسقت الثمرة إذا خرجت من قشرها، ثم استعمل في الخروج من الطاعة وأحكام الشرع مطلقاً [١]، والمراد بالفسق هنا: الفسق الأكبر، وهو المخرج عن الملة، فقد يطلق الفسق، ويراد به الكفر، كقوله تعالى: **(وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ)**، وقوله: **(ومَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ)** [٢].

٢. **(لا يَسْتَوُونَ)**: "أي في المآل، والمستقر، أو في الشرف والمثوبة" [٣].

٣. **(جنات الْمَأْوَى)**: **المأوى**: "هو المكان الذي يؤوى إليه، أي يرجع إليه" [٤]، وقيل: هي نوع من الجنان تأوي إليها أرواح الشهداء، وقيل: هي علم لمكان مخصوص من الجنان كعدن [٥].

٤. **(نُزُلًا)**: أي "عطاء وضيافة لهم" [٦]، والنزل في الأصل: "ما يعد للنازل من الطعام والشراب والمبيت، ثم أطلق على كل عطاء يعد للضيف" [٧].

٥. **(الْعَذَابِ الْأَدْنَى)**: اختلف المفسرون في معناه على أقوال كثيرة: فقيل: هو مصائب الدنيا في الأنفس والأموال، وقيل: هو القتل بالسيف يوم بدر، وقيل: هو الحدود، وقيل: هو القحط والجدب بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب سبع سنين، وقيل: هو عذاب القبر، وقيل: هو عذاب الدنيا كلها، إلى غير ذلك من الأقوال [٨]، و"أولى الأقوال في ذلك حملها على الجميع" [٩]، فيقال: "إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكذّبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنى، وهو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم، إما شدّة من مجاعة، أو قتل، أو مصائب يصابون بها، فكل ذلك من العذاب الأدنى، ولم يخصص الله تعالى ذكره" [١٠].

٦. **(دون الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ)**: أي: قبل العذاب الأكبر، وقيل هو: عذاب يوم القيامة، وقيل: القتل

---

(١) انظر: تفسير المراغي (٢١/ ١١٤)

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ص: ٦٣٦)

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٢٨)

(٤) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٣١)

(٥) انظر: روح المعاني، للألوسي (١١/ ١٣١)، البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٨/ ٤٣٨)

(٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥١٣)

(٧) روح المعاني، للألوسي (١١/ ١٣١)

(٨) انظر: جامع البيان، للطبري (٢٠/ ١٩١)، النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٦٥)

(٩) فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٣٠)

(١٠) جامع البيان، للطبري (٢٠/ ١٩١)

ببدر[١] والقول الأول أقرب لمعنى الآية، وهو الذي عليه جمهور المفسرين[٢].

٧. **(بِآياتِ رَبِّهِ)**: أي "بدلائل وحدانيته وإنعامه عليه"[٣].

٨. **(ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا)**: أي: "تولَّى بترك التدبر والقبول"[٤].

٩. **(مُنْتَقِمُونَ)**: أي: "منتصرون"[٥].

رابعاً: البلاغـة:

١. **(أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا)**: الاستفهام للإنكار والنفي، وفيه معنى التعجب[٦]، أي: " " ليس المؤمن كالفاسق فقد ظهر ما بينهما من التفاوت"[٧]، و"الكاف للتشبيه في الجزاء"[٨].

٢. **(لَا يَسْتَوُونَ)**: "التعبير بواو الجمع مع أن الضمير عائد على اثنين وهما المؤمن والكافر"[٩]، والكافر"[٩]، وذلك لأنه؛ "أراد الجنس منهما، ولم يرد مؤمناً واحداً، ولا فاسقاً واحداً، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"[١٠]، ويجوز أن تكون لما نزلت في اثنين بأعيانهما على اعتبار صحة الرواية، ثم هي عامة في جميع الكفار والمؤمنين، فيحمل الكلام على معنى العموم.

٣. **(فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى)**: إضافة الجنات إلى المأوى: "إشارة إلى أنها هي المأوى والمسكن الحقيقي، والدنيا منزل مرتحلٌ عنه لا محالة"[١١]، وقوله في حق المؤمنين **(فلهم)** "بلام التمليك زيادة إكرام، وإيذان بأنهم لا يخرجون منها"[١٢].

٤. **(بِما كانُوا يَعْمَلُونَ)**: "الباء هنا للسببية"، أي: بسبب الذي كانوا يعملونه في الدنيا من

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٣/ ٤٤٢)

(٢) انظر: تفسير مجاهد (ص: ٥٤٥)، تفسير يحيى بن سلام (١/ ٢٤٠)، جامع البيان، للطبري (٢٠/ ١٩٢)، تفسير البغوي (٣/ ٦٠٢)

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣/ ٤٠٦)

(٤) التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٢٧)

(٥) بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٣٩)

(٦) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٢٧)، وأيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٣٢)

(٧) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٢٩٣)

(٨) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٣١)

(٩) التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٢٨)

(١٠) فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٢٨).

(١١) انظر: روح المعاني، للألوسي (١١/ ١٣١)، التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٢٨)

(١٢) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢١١)

الأعمال الصالحة[١].

٥. **(أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى)،(وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ):** "بينهما مقابلة، وذلك بين الوصفين والجزاءين، فهما جماعتان متقابلتان لكل منهما جزاؤه الذي يناسبه"[٢].

٦. **(وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ):** واظهار اسم النار في قوله **(ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ)** مع أن اسم النار تقدم في قوله **(فَمَأْواهُمُ النَّارُ)** فكان مقتضى الظاهر الإضمار بأن يقال: وقيل لهم ذوقوا عذابها، والإجابة بوجهين: **الأول:** أن سياق الآية التهديد، وفي إظهار لفظ النار من التخويف ما ليس في الإضمار، **والثاني:** أن الجملة حكاية لما يقال لهم يومئذ، فناسب أن يحكى كما قيل لهم وليس فيما يقال لهم تقدم ذكر النار[٣].

٧. **(العَذَابِ الأَدْنَى دُونَ العَذَابِ الأَكْبَر):** بين الأدنى والأكبر:"طباق لأن الأكبر هو الأقصى"[٤] [٤] ولم يقل: الأصغر في مقابلة الأكبر، أو الأبعد في مقابلة الأدنى، لأن المقصود هنا: التخويف والتهديد، وذلك إنما يحصل بالقرب لا بالصغر، وبالكبر لا بالبعد[٥].

٨. **(لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ):** "إسناد الرجوع إلى ضمير جميعهم، باعتبار القبيلة والجماعة، أي لعل جماعتهم ترجع" [٦].

٩. **(ومنْ أظْلَم ممن ذُكِرَ بآيات ربه ثمّ أعرض عنْها):** استفهام انكاري، والمراد منه النفي، أي أنه لا أحد أكثر ظلماً من ذلك الذي تعرض عليه آيات الله ليهتدي بها، ثم يعرض عنها[٧].

١٠. **(ثم أعرض عنها):** المجيء **ب(ثم)** للدلالة على استبعاد ذلك، والمعنى: أن الإعراض عن آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعادة[٨].

١١. **(إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ):** "جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً ناشئاً عن تفظيع ظلم الذي ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها؛ لأن السامع يترقب جزاء ذلك الظالم، والمراد بالمجرمين هؤلاء

---

(١) انظر: روح المعاني، للألوسي (١١/ ١٣١)، فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٢٩٣)

(٢) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٠٩)

(٣) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٣٢)

(٤) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٠٩)

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٤٨)، التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٢٩)

(٦) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٣٣)

(٧) انظر: التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٢٥)

(٨) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٧/ ٨٦)

الظالمون"[1].

خامساً: المعنى الاجمالي:

١. عدم المساوة بين المؤمنين والفاسقين

وأمام مشهد المجرمين البائس الذليل، ومشهد المؤمنين الناعم الكريم، يعقب بتلخيص مبدأ الجزاء العادل، الذي يفرق بين المسيئين والمحسنين في الدنيا أو الآخرة، والذي يعلق الجزاء بالعمل، على أساس العدل الدقيق [2]، فقال تعالى: **(أَفَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً)**، فلا يساوي في حكمه يوم القيامة بين من كان مؤمناً بآياته متبعاً لرسله، بمن كان فاسقاً خارجاً عن طاعته، مكذباً لرسله، كما قال تعالى: **{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}** [الْجَاثِيَةِ: ٢١]، وقال تعالى: **{أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ}** [ص: ٢٨]، وقال تعالى: **{لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ}** [الْحَشْرِ: ٢٠]، ولهذا قال تعالى هاهنا: **{أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ}** أي: عند الله يوم القيامة [3].

ولما قسّم الله تعالى المؤمنين والفاسقين، اقتضى ذلك نفي المساواة بين المؤمن والكافر، ولهذا منع القصاص بينهما، إذ من شرط وجوب القصاص المساواة بين القاتل والمقتول، وبذلك احتج بعض العلماء على الحنفية في قتل المسلم بالذمي، وقالوا: أراد نفي المساواة ها هنا في الآخرة في الثواب وفي الدنيا في العدالة [4].

٢. بيان جزاء المؤمنين

ثم أخبر سبحانه وتعالى عن منازل الفريقين في الدار الآخرة، بعد ذكر أحوالهما في الدنيا، فقال: **{أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى}** أي: إنّ الذين صدقت قلوبهم بآيات الله ورسله، وعملوا صالح الأعمال، فلهم جنات المأوى التي فيها المساكن والدور والغرف العالية، ثواباً وجزاء وتكريماً على جليل أعمالهم، وطيب أفعالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا [5].

٣. بيان جزاء الفاسقين

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٣٤).

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٢٨١٣)

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٢٩).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١٤/ ١٠٦)

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٢٩)، التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢١١)

ثم بين مصير الكافرين فقال: **(وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ)**، فالذين خرجوا من الإيمان إلى الكفر مسكنهم ومقامهم النار، في مقابل جنات المأوى التي أعدت للمؤمنين، هؤلاء الكافرون كلما دفعهم لهيب النار إلى أعلاها فشارفوا على الخروج منها وقربوا منه رُدوا إلى موضعهم فيها ودفعوا إلى قعرها، وهذا المشهد فيه حركة المحاولة للفرار والدفع للنار، قال الفضيل: والله إن الأيدي لموثقة وإن الأرجل لمقيدة، وإن اللهيب ليرفعهم والملائكة تقمعهم[١].

٤. العذاب الأدنى والعذاب الأكبر

ثم عرّفنا سبحانه وتعالى بأن عذابه الذي يسلطه على الكفار والعصاة من خلقه، لتأديبهم وعقابهم، حيث قال: **(وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)**، وهو نوعان:

الأول: العذاب الأدنى: فهو عذاب الدنيا، ويصدق بالمصائب والأسقام التي يبتلى بها الخلق، تأديباً لهم، حتى يتوبوا إلى الله ويرجعوا إلى صراطه المستقيم، ومما يندرج في هذا النوع من العذاب حدود الجرائم والقتل، والأسر في الحرب، والقحط والغلاء[٢].

الثاني: العذاب الأكبر: وهو عذاب الآخرة بشدائده وأهواله، على اختلاف أصنافه وأحواله[٣].

٥. الإعراض عن آيات الله بعد التذكير بها

ثم ذكر حال من قابل آيات الله بالإعراض، بعد بيان حال من قابلها بالسجود والتسبيح والتحميد، فقال: **(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا)** أي: لا أحد أظلم، ممن ذكر بآيات ربه، الذي يريد تربيته، وتكميل نعمته على أيدي رسله، تأمره، وتذكره مصالحه الدينية والدنيوية، وتنهاه عن مضاره الدينية والدنيوية، التي تقتضي أن يقابلها بالإيمان والتسليم، والانقياد والشكر، فقابلها هذا الظالم بضد ما ينبغي، فلم يؤمن بها، ولا اتبعها، بل أعرض عنها وتركها وراء ظهره، فهذا من أكبر المجرمين، الذين يستحقون شديد النقمة، ولهذا قال: **{إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ}**[٤].

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٢٨)، في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٨١٣)

(٢) انظر: التيسير في أحاديث التفسير، للناصري (٥/ ٨٧-٨٨)

(٣) انظر: المرجع السابق (٥/ ٨٧-٨٨)

(٤) انظر: تفسير المراغي (٢١/ ١١٦)

سادساً: الهدايات المستنبطة من المقطع:

٦. "تقرير أنه لا مساواة بين المؤمن والكافر أبداً عند الله، فليس في حكم الله وعدله ولا في ميزان العقل السليم أن يسوى في الجزاء بين المؤمن المستقيم البار الذي يعمل الصالحات والفاسق المنحرف الذي يعمل السيئات"[١].

٧. يترتب على نفي المساواة بين المؤمن والكافر منع القصاص- في رأي الجمهور غير الحنفية- بينهما، إذ من شرط وجوب القصاص المساواة بين القاتل والمقتول، ورأى أبو حنيفة قتل المسلم بالذمي، وقال: أراد نفي المساواة هاهنا في الآخرة في الثواب، وفي الدنيا في العدالة، وحمله الجمهور على عمومه، إذ لا دليل يخصه[٢].

٨. "اختلاف الجزاء باختلاف العمل، وبيان جزاء كل من المؤمنين والفاسقين"[٣].

٩. "مقر المؤمنين في الآخرة جنات المأوى، ومقر الفاسقين النار"[٤].

١٠. بيان عظم منزلة المؤمن عند الله فهو خيرٌ من الفاسق، ولو كان الفاسقُ أعظم جاهاً في الدنيا.

١١. من أسباب دخول الجنة الإيمان والعمل الصالح، وأن الإيمان لا يتم إلا بالعمل الصالح؛ لقوله:(**فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات)**، فلا يكفي مُجرد الإيمان بل لا بد من عمل صالح.

١٢. إثبات العذاب في الآخرة؛ لقوله: **(دون العذاب الأكبر)**، فإن المراد به عذاب الآخرة.

١٣. الاعراض عن آيات الله الكونية والقرآنية ظلم للنفس البشرية، ولا بد من الاستسلام والانقياد للحق[٥].

١٤. أن الله تعالى سينتقم من المجرمين.

---

(١) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢١٣)

(٢) انظر: المرجع السابق (٢١/ ٢١٣)

(٣) أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٣٣)

(٤) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢١٣)

(٥) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٢٨١٣/٥)

المقطع السادس

وحدة الرسالات وسنن الدعـوة

قال تعالى: { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣)وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [السجدة: ٢٣ – ٢٥]

أولاً: المناسبـة:

لما ذكر الله تعالى في أول السورة الأصول الثلاثة: الرسالة، وبدء الخلق، والمعاد، عاد في آخرها إلى الأصل الذي بدأ به، وهو الرسالة فقال: **(وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقائِهِ)**، وخص موسى عليه السلام بالذكر، لقرب عهده من النبي ﷺ، وليلزم من كان على دينه، ولم يذكر عيسى عليه السلام، لأن اليهود ما كانوا يعترفون بنبوته، وأما النصارى فكانوا يعترفون بنبوة موسى عليه السلام، فذكر المجمع عليه[١].

وقيل أنها جاءت "تسلية لرسوله ﷺ وتخفيف عليه مما يجد في نفسه من خلاف قومه له، فإنه لما أتى بكل آية وذكّرهم بها، وأعرض قومه عنها حزن حزناً شديداً، فقيل له: تذكّر حال موسى ولا تحزن، فإنه قد لقى مثل ما لقيت، وأوذى كما أوذيت، فإنّ من لم يؤمن به آذاه، كفرعون وقومه، ومن آمنوا به من بنى إسرائيل آذوه أيضاً بالمخالفة له"[٢].

ثانياً: التحليل اللغوي:

١. **(الْكِتابَ):** "التوراة"[٣].

٢. **(مِرْيَةٍ):** المرية: "التردد في الأمر، وهي أخص من الشك"[٤]، أي: لا تكن في شك وريبة[٥].

٣. **(أَئِمَّةً):** جمع إمام، والإمام الذي يُؤتم به في خير أو شرّ، والمراد هنا أنه جعل منهم قادة يقتدى بهم في الخير، وقيل: هم أتباع الأنبياء، وقيل: العلماء[٦].

٤. **(يَهْدُونَ):** "يدعون"[١]، أي يدعون الناس إلى طريق الهداية والرشاد.

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٥٠)

(٢) أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٣٥).

(٣) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٣/ ١١)، فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٢٩٦).

(٤) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (٧٦٦)

(٥) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٦٤)

(٦) انظر: جامع البيان، للطبري (٢٠/ ١٩٤)، فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٣٣).

٥. **(يُوقِنُونَ):** أي: "يعلمون التوراة علمًا لا يداخله أي شكّ، واليقين: العلم الحاصل عن نظر واستدلال"[٢].

٦. **(يَفْصلُ بَينهمْ):** "يقضي ويحكم"[٣].

ثالثاً: البلاغـة:

١. **(ولقدْ ءَاتينا مُوسى الْكِتابَ):** كناية عن إرسال الكتاب الى موسى[٤]، وفي ذلك "إيماء إلى أن الكتاب الذي آتيناك إياه سيكون هداية للناس، وسيكون من أتباعه أئمة يهدون مثل تلك الهداية"[٥].

٢. **(وَجَعَلْنَاهُ هدى لبني إسرائيل):** الضمير يحتمل أن يعود على موسى، أي: جعلنا موسى هدى لبني إسرائيل، ويحتمل أن يعود على الْكِتابَ، أي جعلنا التوراة هدى لبني إسرائيل[٦]، وفيه تحريض للمشركين على أن يُقبلوا على الكتاب الذي جاءهم من عند الله، فهذا الكتاب هو كتابهم، وهو الهدى الذي يهتدون به، كما كان كتاب موسى كتاباً لبنى إسرائيل، ومعلم الهدى الذي يهتدون به.[٧]

٣. **(لمّا صَبَروا):** الضمير يحتمل أن يكون راجعاً إلى بني إسرائيل، ويحتمل أن يكون راجعاً إلى الأئمة، ورجوعه إلى الأئمة أوجه؛ لأنهم الأقرب إلى الجملة[٨].

٤. **(وَكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ):** تقديم الآيات على يوقنون للاهتمام[٩]، وهي "زيادة في مدحهم، وفي تقرير أنهم أهل للإمامة في الخير، أي: وكانوا بسبب إدراكهم السليم لمعاني آياتنا: يوقنون إيقاناً جازماً بأنهم على الحق الذي لا يحوم حوله باطل، وبأنهم متبعون لشريعة الله التي لا يضل من اتبعها وسار على نهجها"[١٠].

---

(١) بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٣٩)

(٢) التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٣٠)

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٣/ ١١)

(٤) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٣٥)

(٥) تفسير المراغي (٢١/ ١١٧)

(٦) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٦٧)

(٧) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٢٦)

(٨) انظر: التفسير الحديث، دروزة (٥/ ٣٥٥)

(٩) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/٢٣٧)

(١٠) التفسير الوسيط، لطنطاوي (١١/ ١٥٥)

٥. **(إنّ ربك يفصل بينهم):** "الخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته تحذيراً من ذلك، وفي ذلك إيماء إلى وجوب تجنب الاختلاف الذي لا يدعو إليه داع في مصلحة الأمة وفهم الدين"[١]، وهو "تقرير "تقرير تطميني للنبي ﷺ والمؤمنين وإنذاري للكفار بأن الله سيفصل بين الناس يوم القيامة في ما اختاروه من الطرق المختلفة حيث يحق الحق ويؤيد أهله ويزهق الباطل ويخذل أصحابه"[٢].

رابعاً: القراءات:

- **(لِمَا صَبَرُوا):** قرأها حمزة والكسائي ورويس بكسر اللام وتخفيف الميم.
- **(لَمَّا صَبَرُوا):** وقرأها الباقون بفتح اللام وتشديد الميم[٣].

توجيه القراءات:

القراءة الأولى: على أن (ما) مصدرية سبقت بلام الجر، والتقدير بسبب صبرهم جعلناهم أئمة، فيكون معنى القراءة: لصبرهم على الدنيا وشهواتها، واجتهادهم في طاعتنا، والعمل بأمرنا اخترناهم قادة وأئمة لغيرهم لما يمتلكون من الحكمة والصبر[٤].

القراءة الثانية: على أن (ما) ظرفية شرطية بمعنى عندما، والتقدير عندما صبروا جعلناهم أئمة، فيكون معنى القراءة: حين صبروا على دينهم وعلى البلاء من عدوهم، وكانوا بآياتنا يوقنون[٥].

خامساً: المعنى الاجمالي:

١. الربط بين الرسالة المحمدية والرسالة اليهودية

"ثم يأخذنا سياق السورة في جولة جديدة مع موسى وقومه ورسالته، جولة مختصرة لا تزيد على إشارة إلى كتاب موسى عليه السلام الذي جعله الله هدى لبني إسرائيل كما جعل القرآن كتاب محمد ﷺ هدى للمؤمنين، وإلى التقاء صاحب القرآن مع صاحب التوراة على الأصل الواحد والعقيدة الثابتة، وإلى اصطفاء الصابرين الموقنين من قوم موسى ليكونوا أئمة لقومهم إيحاء للمسلمين في ذلك الحين بالصبر واليقين، وبياناً للصفة التي تستحق بها الإمامة في الأرض

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٣٨)

(٢) التفسير الحديث، دروزة (٥/ ٣٥٦)

(٣) انظر: النشر، لابن الجزري (٣٤٧/٢)

(٤) انظر: جامع البيان، للطبري (٢٠/ ١٩٤)، تفسير البغوي (٣/ ٦٠٤).

(٥) انظر: جامع البيان، للطبري (٢٠/ ١٩٤)، تفسير البغوي (٣/ ٦٠٤)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعالبي (٧/ ٣٣٤)

والتمكين"[1]، فقال تعالى: **{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ}**، والمقصود من الآية حمل اليهود والكفار على الإيمان برسالة محمد ﷺ، وتحريضهم على التصديق بتلك الرسالة، للتشابه القائم بين الرسالتين والمهمتين، وكذلك تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم عن حزنه الشديد بسبب إعراض قومه عن رسالته[2].

قال المفسرون: وعد رسول الله ﷺ أنه سيلقى موسى قبل أن يموت، ثم لقيه في السماء أو في بيت المقدس حين أسري به، وقيل: فلا تكن في شك من لقاء موسى في القيامة وستلقاه فيها، وقيل: فلا تكن في شك من لقاء موسى للكتاب بالرضى والقبول، وقيل: فلا تكن في شك من لقاء الأذى كما لقيه موسى وكأن الآية تسلية للنبي ﷺ[3].

ومن أكثر الأقوال وجاهة وانسجاماً مع روح الآيتين، أن الضمير في لقائه يعود إلى الكتاب؛ لأنه الأقرب، ولأنه اللقاء على الحق الثابت، والعقيدة الواحدة، وهو الذي ينسلك في سياق التثبيت على ما يلقاه النبي ﷺ من التكذيب والإعراض، وكذلك هو الذي يتسق مع ما جاء بعده في الآية: «**وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ**».

٢. نيل الإمامة في الدين بالصبر واليقين

وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع، والهوى على العقل، فالأول: أصل فتنة الشبهة، والثاني: أصل فتنة الشهوة، ففتنة الشبهات تدفع باليقين، وفتنة الشهوات تدفع بالصبر، ولذلك جعل سبحانه إمامة الدين منوطة بهذين الأمرين، فقال: **{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}** [السجدة: ٢٤]، فدل على أنه بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، وجمع بينهما أيضاً في قوله: **{وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}** [العصر: ٣]، فتواصوا بالحق الذى يدفع الشبهات، وبالصبر الذى يكف عن الشهوات[4].

"وكما اختار الحق سبحانه من بين ذرية موسى وقومه أئمة يهدونهم بين الفترة والأخرى، فسيختار من الأمة المحمدية أئمة عدولاً يحملون هذا الدين، ويبلغونه للعالمين إلى يوم الدين"[5].

والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، قال تعالى: **{وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا}**، قال بعض العلماء: "بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين"[6]، وهذا الصبر هو

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٢٨١٤)

(٢) انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي (٣/ ٢٠٤٩)

(٣) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٢٩٦)، النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٦٦).

(٤) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم الجوزية (٢/ ١٦٧)

(٥) التيسير في أحاديث التفسير، الناصري (٥/ ٨٩)

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٧٢)

صبرهم على مشاق التكليف، والهداية للناس، وقيل: صبروا عن الدنيا وكانوا بآياتنا يصدقون ويعلمون أنها حق من عند الله[١].

٣. **فصل الله بين عباده يوم القيامة**

قال تعالى: { إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}، والفصل: "هو القضاء والحكم، وهو يقتضي أن اختلافهم أوقعهم في إبطال ما جاءهم من الهدى فهو اختلاف غير مستند إلى أدلة، ولكنه متابعة للهوى وميل لأعراض الدنيا"[٢]، فالله سبحانه وتعالى يحكم ويقضي بين المؤمنين والكافرين المنكرين للرسالة، ويفصل بحكمه العدل فيجازى كلاً على عمله، ويعطيه ما يستحق من ثواب أو عقاب، وهذا باعث على الإيمان الصحيح والعمل الصالح، وتهديد ضمني لمن يعرض عن هداية الله التي صارت متمثلة بالقرآن بعد فقد التوراة وافتقاد الأصل الصحيح للإنجيل[٣].

وليس منه اختلاف أئمة الدين في فروع الأحكام وفي فهم الدين مما لا ينقض أصوله ولا يخالف نصوصه، وإنما هو إعمال لأصوله ولأدلته في الأحوال المناسبة لها، فإن ذلك كله محمود، فقد اختلف أصحاب النبي ﷺ في حياته فلم يعنف أحداً، واختلفوا بعد وفاته فلم يعنف بعضهم بعضاً، ويشمل ما كانوا فيه يختلفون ما كان اختلافاً بين المهتدين والضالين منهم وما كان اتفاقاً من جميع أمتهم على الضلالة، فإن ذلك خلاف بين المجمعين وبين ما نطقت به شريعتهم وسنة أنبياؤهم، ومن أعظم ذلك الاختلاف كتمانهم الشهادة ببعثة محمد ﷺ وجحدهم ما أخذ عليهم من الميثاق من أنبيائهم[٤].

سادساً: الهدايات المستنبطة من المقطع:

١. إثبات رسالة موسى وتأكيدها؛ لقوله: **(ولقدْ ءَاتينا مُوسى الْكِتابَ)**، وأنه لا يجوز الشك فيه.
٢. من نعم الله على الناس ارسال الرسل والكتب[٥].
٣. "أنزل الله القرآن على محمد ﷺ كما أنزل التوراة على موسى عليه السلام، فالإيمان بهما والعمل بأحكامهما واجب، إلا أن فقد التوراة جعل العمل بالقرآن من الناحية الواقعية متعيناً، كما أن المنزل عليه القرآن خاتم النبيين، ونسخت رسالته بنص القرآن وتشريعه الرسالات السماوية السابقة، حتى لو فُرض بقاء شيء ثابت صحيح منها"[١].

---

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٢٩٧)

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٣٨)

(٣) انظر: التفسير الواضح، لحجازي (٣/ ٧٠)، التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢١٦-٢١٧)

(٤) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٣٨)

(٥) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير (٦٠/٦)

٤. إن أتباع محمد ﷺ هم الدعاة إلى دين الله وشرعه، كما أن أتباع موسى عليه السلام كانوا قادة يقتدى بهم في الدين، ويدعون الناس إلى الإيمان بالأصل الصحيح للتوراة والإنجيل، وإلى طاعة الله فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر، فحيث جعل الله كتاب موسى هدى، وجعل منهم أئمة يهدون، كذلك يجعل القرآن المنزل على محمد ﷺ كتاب هدى، ويجعل من أمته صحابة يهدون [٢].

٥. "تطمين النبي ﷺ حول إيتائه الرسالة الكاملة، فلقد آتى الله موسى عليه السلام التوراة، فلا تكن يا محمد في شك من لقائك الكتاب، فإنا آتيناك القرآن كما آتينا موسى التوراة، فأنت كغيرك من الرسل"[٣].

٦. "إن اتخاذ بعض الناس أئمة سببه الصبر على الطاعة للدين، والرضا بأمر الله، والعمل على إعلاء كلمة الله، والصبر على البلاء والمحن في سبيل الله تعالى، فإن جعل الأئمة هادين يحصل بالصبر، وهذا أمر بالصبر والإيمان بأن وعد الله حق" [٤].

٧. بيان فضيلة الصبر واليقين، وأنّ الصبر واليقين ثمرته إمامة الناس في الدين [٥]، فنيل الإمامة في الدين لا يكون إلا بهذين الوصفين وهما الصبر واليَقِين.

٨. أن الجزاء من جنس العمل؛ لأن هؤلاء لما صبروا وأيقنوا صاروا أئمة يقتدى بهم، وهذا دليل على أن الصبر محبوب إلى الله تعالى، يجازي عليه الجزاء العظيم.

٩. إثبات يوم القيامة، وأنه لا حاكم في الآخرة إلا الله.

١٠. "كل خلاف في هذه الحياة سينتهي بحكم الله فيه يوم القيامة" [٦].

---

(١) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢١٨)

(٢) انظر: المرجع السابق (٢١/ ٢١٨)

(٣) التفسير الوسيط، للزحيلي (٣/ ٢٠٤٩)

(٤) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢١٨)

(٥) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٣١)

(٦) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير (٦/٦٠)

المقطع السابع

القدرة على إهلاك الأمم الماضية، وإثبات قدرة الله

قال تعالى: {أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (٢٦) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٢٧) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٨) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٢٩) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ } [السجدة: ٢٦ – ٣٠]

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر الله الرسالات السماوية وسنن الدعوة إلى الله في المقطع السابق، والذي تمثل في قوله: **(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ)**، أعاد هنا ذكر التوحيد مع ذكر البرهان عليه بما يرونه من المشاهدات التي يبصرونها بقوله: **(أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ)**، وقوله: **(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ)**، ثم أعاد ذكر الحشر وإثباته بقوله: **(وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)** [١].

ثانياً: التحليل اللغوي:

١. **(أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ)**: يهدي من الهداية، وهي الدلالة والإرشاد والبيان،[٢] أي: أوَ لَمْ يتبين لكفار مكة ما حدث للأمم السابقة[٣].

٢. **(كَمْ أَهْلَكْنَا)**: كم: "تفيد الاستفهام عن العدد"[٤]، والمقصود بالإهلاك: "الإهلاك الناشئ عن تكذيب الرسل وترك الإيمان بالله واتباع رسله"[٥].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٥١)

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٣٩)

(٣) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٣٢)، بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٤٠)

(٤) التفسير الوسيط، لطنطاوي (١١/ ١٥٧)

(٥) البحر المحيط في التفسير، لابن حيان (٧/ ٣٩٦)

٣. **(الْقُرُونِ)**: "جمع قرن وهو الجيل من الناس"[١]،والمراد بهم: عاد وثمود وقوم لوط ونحوهم[٢].

٤. **(يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ)**: "يمرون ماشين بديارهم"[٣].

٥. **(لَآيَاتٍ)**: أي "دلائل وعلامات على قدرة الله تعالى"[٤].

٦. **(الْأَرْضِ الْجُرُزِ)**: "وأصل الجرز: القطع، أي: التي قطع نباتها، إما لعدم الماء أو بسبب يبس الأرض"[٥].

٧. **(فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً)**: أي: "بالماء"[٦]، والزرع: "ما نبت بسبب بَذْرِ حبوبه في الأرض كالشعير والبر وغيره"[٧].

٨. **(تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ)**: نبات البهائم: من التبن والعشب، وبعض الحبوب المخصوصة بها، ونحوها مما لا يأكله الناس[٨]، وطعام الآدميين: من الحبوب والثمار والأقوات الخارجة من الزرع مما يقتاتونه[٩].

٩. **(أفلا يُبْصِرُونَ)**: أي أفلا يرون ذلك بأعينهم، فيستدلون بها على كمال قدرته على إحياء الموتى[١٠].

١٠. **(وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ)**: أي: لا يؤخرون ولا يمهلون للتوبة[١١].

١١. **(فَأَعْرِضْ عَنهُمْ)**: نزلت قبل أن يؤمر بقتالهم، ويحتمل منها ثلاثة أوجه: **الأول**: أعرض عن أذاهم وعن سفههم وتكذيبهم وانتظر عقابهم، **والثاني**: أعرض عن قتالهم وانتظر أن يؤذن لك في جهادهم، **الثالث**: فأعرض بالهجرة وانتظر ما يمدك به من النصرة[١٢].

---

(١) التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٣٢)

(٢) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥١٦)

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥١٦)

(٤) أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٣٥)

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥١٦)

(٦) فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٣٥)، بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٤٠)

(٧) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٤١)

(٨) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٦٥٧)

(٩) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٣٥)

(١٠) انظر: محاسن التأويل، للقاسمي (٨/ ٤٤)

(١١) انظر : النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٦٨)، التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٣٤)

(١٢) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٦٨)، التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٢٠)

١٢. **(وَانْتَظِرْ)**: الانتظار: "أصله مشتق من النظر بمعنى الترقب"[١]، أي: انتظر يوم الفتح، وهو يوم القيامة، أو يوم إهلاكهم بالقتل وموعدي لك بالنصر[٢].

١٣. **(إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ)**: أي: "منتظرون هلاككم"[٣].

ثالثاً: البلاغـة:

١. **(أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ)**: استفهام إنكاري، ينكر على المشركين أنهم لم يروا فيما بين أيديهم من ديار الأقوام الظالمين قبلهم، وما اشتمل عليها من خراب هذه الديار من عبر، وإنهم لو عقلوا لعلموا أنهم مأخوذون بما أخذ به أصحاب هذه الديار، ما داموا سائرين على طريقهم[٤]، "والخطاب للمشركين وعلى رأسهم كفار مكة"[٥].

٢. **(أفلا يَسْمَعُونَ)**: "استفهام تقريري مشوب بتوبيخ؛ لأن اجتلاب المضارع وهو يسمعون مؤذن بأن استماع أخبار تلك الأمم متكرر متجدد"[٦].

٣. **(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْماءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أفلا يبصرون)**: "سؤال استنكاري يتضمن التنديد بالكفار عما إذا لم يروا بأعينهم أن الله تعالى يرسل الماء إلى الأرض الجافة اليابسة فيخرج به زرعاً يأكلونه هم وأنعامهم، والمقصود الاستدلال على البعث وتقريبه"[٧].

٤. **(نَسُوقُ الماء)**: جاءت كلمة نسوق بصيغة المضارع؛ "لاستحضار الصورة العجيبة الدالة على القدرة الباهرة"[٨].

٥. **(زَرْعاً)**: خص الزرع بالذكر، "تشريفاً له، ولأنه أعظم ما يقصد من النبات"[٩].

٦. **(تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ)**: قدم الأنعام؛ لأن انتفاعها مقصور على الزرع وهي تأكله

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٤٣)

(٢) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٢٩٨)، تفسير البغوي (٣/ ٦٠٤)

(٣) التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٣٤)

(٤) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٣٩)

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥١٦)

(٦) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٤٠)

(٧) المرجع السابق (٢١/ ٢٤١)

(٨) المرجع السابق (٢١/ ٢٤١)

(٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٦٦).

قبل أن يثمر، وأما الإنسان فقد يتغذى بغيره[١]، "وقد يكون للترقي من الأدنى إلى الأشرف"[٢] الأشرف"[٢]

وقد علل ذلك الرازي من عدة وجوه، فقال:

- **الوجه الأول:** أن الزرع أول ما ينبت فيصلح للدواب ولا يصلح للإنسان.
- **والثاني:** أن الزرع غذاء الدواب وهو لا بد منه، وأما غذاء الإنسان فقد يحصل من الحيوان، فكأن الحيوان يأكل الزرع، ثم الإنسان يأكل من الحيوان.
- **والثالث:** إشارة إلى أن الأكل من ذوات الدواب والإنسان يأكل بحيوانيته أو بما فيه من القوة العقلية فكماله بالعبادة"[٣].

٧. **(أفلا يُبْصِرُونَ):** جعلت الفاصلة: يبصرون لأن الموعظة فيها مرئية من سوق الماء إلى الأرض الجرز، وإخراج الزرع وأكل النبات، وفيما قبله يسمعون؛ لأن الموعظة فيها مسموعة، وهى أخبار من قبلهم من القرون، أو ترقياً إلى الأعلى في الاتعاظ مبالغة في التذكير، ودفع العذر[٤].

٨. **(وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ):** استفهام بطريق الاستعجال تكذيباً واستهزاء واستبعاداً متى تنصر علينا أيها الرسول كما تزعم، والقائلون هم الكفار على العموم، أو كفار مكة على الخصوص[٥].

٩. **(لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ):** اظهار وصف الذين كفروا في مقام الإضمار؛ لأنه إن عم غير المستهزئين، فهو تعميم بعد تخصيص، وإن خص بهم، فهو إظهار في مقام الإضمار، تسجيلًا عليهم بالكفر، وبيانًا لعلة عدم النفع وعدم إمهالهم[٦].

١٠. **(فَأَعْرِضْ عَنهُمْ):** الاعراض عنهم لا يعني أن ينقطع عن إنذارهم؛ وإنما هو أسلوب قصد منه تثبيت النبي وتسليته عما لحقه من حزن بسبب إصرار الكافرين على كفرهم[٧].

---

(١) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٣٥)

(٢) التفسير الوسيط، لطنطاوي (١١/ ١٥٨)

(٣) مفاتيح الغيب (٢٥/ ١٥١)

(٤) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٣٥)، من بلاغة القرآن، للبدوي (ص: ٦٨)

(٥) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٣٦)

(٦) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٤٣)

(٧) انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (٨/ ٤٧١)، التفسير الحديث، دروزة (٥/ ٣٥٨)

١١. **(وَانْتَظِرْ)**: "حذف مفعول انتظر للتهويل، أي: انتظر أياماً يكون لك فيها النصر"[١]، وفي الأمر بالانتظار تعريض بالبشارة للمؤمنين بالنظر، وتعريض بالوعيد للمشركين بالعذاب في الدارين [٢].

١٢. **(إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ)**: "تعليل لما تضمنه الأمر بالانتظار من إضمار العذاب لهم"[٣].

رابعاً: المعنى الاجمالي:

١. القدرة على إهلاك الأمم السابقة

من سنن الله في خلقه إهلاك المكذبين، كما قال تعالى: **{أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ}**، أي أولم يتبين لهؤلاء المكذبين بالرسل كثرة من أهلكنا من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم إياهم، فلم يبق منهم أثر، كقوله تعالى: **{هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً}** [مريم: ٩٨] ؛ وقوله:**{فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد. أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور}** [الحج: ٤٥- ٤٦]، ثم ختم سبحانه الآية بما يزيد في تبكيتهم وتقريعهم فقال: **{إن في ذلك لآيات}** أي: إن في تدمير أولئك القوم بسبب تكذيبهم الرسل، ونجاة من آمن بهم لدلائلٍ على قدرتنا، وعبراً وعظات يعتبرون ويتعظون بها، فهلا يسمعون عظاتنا، ويتذكرون تذكيرنا لهم، سماع تدبر واتعاظ وتفكر، والخلاصة: أن مساكن المهلكين دالة على حالهم[٤].

وفي قوله تعالى: **(أفلا يَسْمَعُونَ)**: إشارة إلى "أن السمع طريق من طرق الاهتداء، فالكلمة الطيبة إذا تلقتها أذن واعية، واستقبلها قلب سليم، أينعت، وأثمرت، كما تينع وتثمر البذرة الطيبة، في الأرض الطيبة"[٥].

٢. إثبات رسالة التوحيد

وبعد بيان القدرة على الإهلاك، بين الله تعالى القدرة على الإحياء ليبين أن النفع والضر بيده تعالى، فالسياق ما زال في تقرير عقيدة البعث والجزاء، قال تعالى: **(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْماءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أفلا يبصرون)** أي أولم يشاهد

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٤٣)

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٤٤٤)، التفسير الحديث، دروزة (٥/ ٣٥٧)

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٤٤٤)

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير(٦/ ٣٧٢)، التفسير الوسيط، لطنطاوي (١١/ ١٥٨)، التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢١٩)

(٥) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٢٩)

هؤلاء المكذبون بالبعث أننا قادرون على الإحياء، فنسوق الماء من السماء أو السيول إلى الأرض اليابسة التي لا نبات فيها، فنخرج به زرعاً أخضر تأكل منه أنعامهم من التبن والشعير والحشيش، وتتغذى منه أجسامهم، وتتقوى به أبدانهم، أفلا يبصرون هذا بأعينهم، فيعلموا أننا قادرون على الإعادة بعد الموت، كإحياء الأرض بعد موتها [١].

"وتلك آية من آيات الله، تتأملاها العين، فترى فيها قدرة الله، كما ترى فضله وإحسانه، فهذا الماء الذي يسوقه الله تعالى محمولاً على أجنحة السحاب، فينزل في الأرض الجدبة، ويحيى مواتها، ويخرج من صدرها حباً ونباتاً، وجنات ألفافاً، تحيا عليها الأنعام، ويعيش فيها الناس في هذا عبرة لمعتبر، وذكرى لمن يتذكر" [٢].

اختلف المفسرون في المراد بالأرض الجرز إلى أقوال كثيرة، منها: أنه الأرض اليابسة التي لا نبات فيها لأنه جرز نباتها، أي قطع وأزيل، وقيل: هي الأرض التي أكلت ما فيها من زرع وشجر، وقيل: هي الأرض التي لا يأتيها الماء إلا من السيول، وقيل: هي أرض أبْيَنَ لا تنبت، وقيل: هي قرى نبياً بين اليمن والشام، وقيل: هي أرض باليمن، وقيل: هي أرض عدن، وقيل: هي الأرض العطشاء، وقيل: هي أرض النيل لأن الماء إنما يأتيها في كل عام [٣].

والأولى حملها على الجميع لدخول ال التعريف، فكل أرض جزر داخلة في هذا، فلا تخصيص لها بمكان معين [٤].

٣. استعجال المشركين للعذاب

ثم ذكر تعالى تساؤل المشركين عن يوم البعث والحشر، فقال: **(وَيَقُولُونَ مَتى هذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ)** أي: متى يوم الفتح، فكان الرد الحاسم على هؤلاء الحمقى أن يوم الفتح والحكم والفصل بين المؤمنين والكفار كائن حتماً لا شك فيه، ولكن لا ينفع فيه الإيمان حينئذ؛ لأن الإيمان المقبول هو الذي يكون في دار الدنيا، ولينتظر نبي الله والمؤمنون يوم الفتح وحكم الله عليهم، وتحقيق النصر، ولن يفيد الكفار المكذبين انتظار حوادث الزمان بالنبي ﷺ وأتباعه، فإن

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٤/ ١١٣)

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٢٩)

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٧٢-٣٧٤)، النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٦٧)

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٧٢-٣٧٤)

الله عاصمه من الناس، وناصر جنده المؤمنين، والشعار حينئذ: انتظر عذابهم، إنهم منتظرون هلاكك، وهم هالكون لا محالة[١].

٤. الامر بالإعراض عن المشركين وانتظار الفتح

ثم ختم السورة بأمر رسوله بالإعراض عنهم، وانتظار الفتح بينه وبينهم، فقال: **(فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ)** أي فأعرض عن هؤلاء المشركين، ولا تبال بهم، وبلّغ ما أنزل إليك من ربك، وانتظر ما الله صانع بهم، فإنه سينجزك ما وعد، وسينصرك على من خالفك، إنه لا يخلف الميعاد، وهم منتظرون يتربصون بكم الدوائر، وسترى عاقبة صبرك عليهم، وعلى أداء رسالة ربك، بنصرك وتأييدك[٢].

اختلف المفسرون في المراد بالفتح في قوله: (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ) على أربعة أقوال:

الأول: يوم فتح مكة، والثاني: أن الفتح انقضى بعذابهم في الدنيا، والثالث: يوم بدر، والرابع: يوم القيامة الذي فيه الحكم بين العباد[٣]، والقول الأخير هو أقوى الأقوال، لأن يوم فتح مكة؛ ويوم بدر: كليهما مما ينفع الإيمان، وقد أسلم أهل مكة يوم الفتح، وقبل منهم ذلك النبي ﷺ، وهذا قول جماعة من المفسرين [٤].

وبهذه الآية تختم السورة، وبهذا الأمر القاطع ينحسم الموقف بين النبي وأهل الشرك من قومه، أنه بلغ رسالة ربه[٥].

سادساً: الهدايات المستنبطة من المقطع:

١. الاعتبار بهلاك الأمم الماضية، فإنّ هلاكهم دليل على قدرة الله ووحدانيته، وأكبر عبرة وواعظ لمن له قلب وسمع وبصيرة[٦].
٢. "إقامة الحجة على الكفرين بالأمم السالفة الذين كفروا فأهلكوا"[٧].
٣. بيان قدرة الله عز وجل بإحياء الأرض بعد موتِها، فإن سوق الماء بقدرة الله إلى الأرض اليابسة التي لا نبات فيها لإحيائها بالنبات الأخضر والزرع النضر دليل على قدرته على الإحياء وإعادة البشر لحياة البعث والنشور، ولكن الكفار لا يتأملون ولا يبصرون، ليعلموا أن

---

(١) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٢٣)

(٢) انظر: تفسير المراغي (٢١/ ١٢١)

(٣) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥١٧)، النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٦٨)،

(٤) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٦٦)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٦/ ١٨٦)

(٥) انظر: التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٣١)

(٦) انظر: التفسير المنير للزحيلي (٢١/ ٢٢٣)

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٦٥)

الله قادر على الحشر وعلى إعادتهم إلى الحياة يوم القيامة[١].

٤. "إثبات وحدانية الله، وأنه المتصرف في الكون، المدبر له على أتم نظام وأحكم وجه"[٢].

٥. "وفي هذين الدليلين من الإهلاك والإماتة، والأحياء والاعادة إشارة إلى أن الضر والنفع بيد الله تعالى"[٣].

٦. دعوة الناس إلى النظَر والتدبر في آيات الله.

٧. "تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة المقررة لها"[٤].

٨. استعجال الكافرين العذاب دال على جهلهم وطيشهم[٥].

٩. بيان عتو الكافرين وإجرامهم؛ لكونهم يتحدون النبي والمؤمنين بقولهم: متى هذا الحكم بيننا إن كنتم صادقين.

١٠. "بيان أن التوبة لا تقبل عند معاينة العذاب أو مشاهدة ملك الموت ساعة الاحتضار"[٦].

١١. "ينبغي الإعراض عن المنكرين المستهزئين بالدعاة والمرشدين والمُضِيُّ في وعظهم وإرشادهم لعل الله يهديهم"[٧].

---

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير، لابن حيان (٨/ ٤٤١)

(٢) تفسير المراغي (٢١/ ١٢٢)

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٥١)،

(٤) أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٣٧)

(٥) انظر: تفسير المراغي (٢١/ ١٢٢)

(٦) أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٣٧)

(٧) التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٣٥)

الفصـل الثالث

تعريـف عام بسـورة الأحـــزاب وبيـان مقاصـدها وأهدافـها.

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة الأحزاب.

المبحث الثاني: التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف سورة الأحزاب من آية (١ –٣٠).

المبحث الأول

تعريف عام بسورة الأحزاب

ويشتمل على أربعة مطالب:

- **المطلب الأول:** أسماء السورة وعدد آياتها.
- **المطلب الثاني:** مكان وزمان وسبب نزولها.
- **المطلب الثالث:** فضائل السورة.
- **المطلب الرابع:** مقاصد سورة الأحزاب ومناسبتها.

المطلب الأول

أسماء السورة وعدد آياتها

أولاً: اسم السورة ووجه التسمية:

اسم السورة:

١. **الأحزاب:** أشهر أسمائها سورة الأحزاب، "وهكذا سميت في المصاحف وكتب التفسير والسنة وعلى ألسنة القراء" [١]، ففي صحيح البخاري من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: "فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف، كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري **{من المؤمنين، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر}** [الأحزاب: ٢٣]، فألحقناها في سورتها في المصحف" [٢].

- **وجه التسمية:** ووجه تسميتها بالأحزاب واضح، وذلك لذكرها غزوة الأحزاب، وما جرى فيها من معجزة لرسول الله، متضمنة لنصره بالريح والملائكة، فرد الله كيدهم وكفى الله المؤمنين القتال [٣].

٢. **الفاضحة:** وقد ذكر بعض العلماء لها هذا الاسم، وهذا الاسم اجتهادي [٤].

- **وجه التسمية:** وسميت بالفاضحة؛ لأنها فضحت المنافقين، وأبانت شدة إيذائهم لرسول الله ﷺ في أزواجه وتألبهم عليه في تلك الموقعة [٥] .

ثانياً: عدد آياتها:

هي السورة الثالثة والثلاثون في ترتيب المصحف، التسعون في تعداد النزول، آياتها ثلاث وسبعون آية، كلماتها ألف ومائتان وثمانون كلمة، حروفها خمسة آلاف وسبعمائة وتسعون حرفاً [٦].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: غزوة أحد، ح(٤٠٤٩)(٥/ ٩٥).

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز، للفيروز آبادي (٣٧٧/١).

(٤) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٢٥).

(٥) انظر: المرجع السابق (٢١/ ٢٢٥).

(٦) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥١٨)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٤٥)، مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٥٣).

المطلب الثاني

مكان وزمان وسبب النزول

أولاً: مكان وزمان نزول السورة:

وهي مدنية بالاتفاق[1]، نزلت بعد سورة آل عمران، وقيل بعد الانفال، وكان نزولها أواخر سنة خمس من الهجرة، وهي السنة التي كانت فيها غزوة الأحزاب، وقيل: سنة أربع من الهجرة، وعلى كلٍ، فهي من أوائل السور المدنية نزولاً [2].

ثانياً: سبب نزولها:

لم يرد سبب نزول للسورة كاملة، بل ورد لبعض آياتها سبب نزول، وسأذكره في حينه.

المطلب الثالث

فضائل السورة

لم يرد في فضلها حديث صحيح يخصها بالفضل عن غيرها، وإنما شأنها كباقي سور القرآن، وكل ما ورد في فضلها قد قدح فيه أهل العلم.

المطلب الرابع

مقاصد سورة الأحزاب ومناسبتها

أولاً: مقاصد سورة الأحزاب:

الشريعة الإسلامية في أحكامها الفرعية مستقلة عن الشرائع الأخرى، سواء كانت وضعية أو سماوية، لأنها شريعة خاتمة، تقرر أحكاماً عامة ودائمة، لا تتغير ولا تتبدل، وتتميز بعلاجها لمشكلات وقضايا تعايش معها المجتمع العربي الجاهلي، ولكنها ليست صالحة للاستمرار، على خلاف بعض العادات النافعة، مثل التعاون في تحمل دية القتل الخطأ، والاعتدال في الحياة، كالسخاء والشجاعة، أما الذي لم يرتضه الإسلام فمثل النفاق، وادعاء تعدد القلب لدى الإنسان، وهذا ما أوضحته سورة الأحزاب، وقد ذُكر فيها أيضاً مواضيع عديدة، منها ما هو تشريعي في صدد إلغاء أحكام التبني والظهار، ومنها ما هو حربي في صدد وقعتي الأحزاب وبني قريظة، وفيها فصل في تخيير نساء النبي ومواعظ لهن وفيها ما فيه استدراك لمسألة طلاق الزوجة قبل المسيس، ومنها ما له علاقة بأزواج النبي ﷺ وبيوته وزواجه بمطلقة ابنه بالتبني [3].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٥٣)

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٤/ ١١٣)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٤٥)، روح المعاني، للألوسي (١١/ ١٤٠)، فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٢٩٩)،

(٣) انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي (٣/ ٢٠٥٢)

أهم مقاصد سورة الأحزاب: [1]

١. بدأت السورة بتوجيه الرسول ﷺ إلى تقوى الله وعدم الطاعة للكافرين والمنافقين، واتباع ما يوحي إليه ربه، والتوكل عليه وحده، وهو البدء الذي يربط سائر ما ورد في السورة من أحداث بالأصل الكبير الذي تقوم عليه شرائع هذا الدين وتوجيهاته.

٢. القول بكلمة الحق والفصل في بعض التقاليد والعادات الاجتماعية.

٣. إبطال عادة الظهار، وأن هذا الكلام يقال بالأفواه ولا ينشئ حقيقة وراءه، بل تظل الزوجة زوجة ولا تصير أماً بهذا الكلام، ويثني بإبطال عادة التبني، ثم يبطل آثار المؤاخاة التي تمت في أول الهجرة، ويرد الأمر إلى القرابة الطبيعية في الإرث والدية وما إليها.

٤. تحريض المؤمنين على التمسك بما شرع الله لهم؛ لأنه أخذ العهد بذلك على جميع النبيئين،

٥. تصوير وقعتي الأحزاب وبني قريظة تصويراً حياً، في مشاهد متعاقبة، ترسم المشاعر الباطنة، والحركات الظاهرة، والحوار بين الجماعات والأفراد، وفي خلال رسم المعركة وتطوراتها تجيء التوجيهات في موضعها المناسب وتجيء التعقيبات على الأحداث مقررة للمنهج القرآني في إنشاء القيم الثابتة التي يقررها للحياة.

٦. عرض تصورات المؤمنين الصادقين للموقف، وتصورات المنافقين والذين في قلوبهم مرض عرضاً يكشف عن القيم الصحيحة والزائفة من خلال تلك التصورات.

٧. تناولت إشارة غير صريحة إلى موضوع تزويج زينب بنت جحش بنت عمة رسول الله من زيد بن حارثة مولاه، وما نزل في شأنه أولاً من رد أمر المؤمنين والمؤمنات كافة إلى الله، ليس لهم منه شيء، وليس لهم في أنفسهم خيرة، إنما هي إرادة الله وقدره الذي يسير كل شيء، ويستسلم له المؤمن الاستسلام الكامل، ثم يعقب حادث الزواج حادث الطلاق وما وراءه من إبطال آثار التبني.

٨. بيان حكم المطلقات قبل الدخول، والحديث عن تنظيم الحياة الزوجية للنبي ﷺ إلى غير ذلك من الأحكام.

٩. ختمت السورة بالتنويه بالشرائع الإلهية، وتحريض المؤمنين على ذكر الله وتنزيهه شكراً له على هديه، وتعظيم قدر النبي ﷺ عند الله وفي الملأ الأعلى، والأمر بالصلاة عليه والسلام، ووعيد المنافقين الذين يأتون بما يؤذي الله ورسوله والمؤمنين، والتحذير من التورط في ذلك كيلا يقعوا فيما وقع فيه الذين آذوا موسى عليه السلام.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٨١٩-٢٨٢١)

ثانياً: مناسبة السورة:

١-مناسبة السورة لما قبلها:

ووجه اتصالها بما قبلها تشابه مطلع سورة الأحزاب وخاتمة سورة السجدة، فإن سورة السجدة ختمت بأمر النبي ﷺ بالإعراض عن الكافرين، وانتظار عذابهم، **(فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ)** (السجدة:٣٠)، وبدأت سورة الأحزاب بأمره عليه الصلاة والسلام بالتقوى، وعدم طاعة الكافرين والمنافقين واتباع ما أوحى إليه من ربه مع التوكل عليه، **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)** [١].

٢- مناسبة السورة لما بعدها:

ووجه اتصالها بسورة سبأ: وهو أن سورة الأحزاب لما ختمت بقوله: **{لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ..}**، افتتحت سورة سبأ، بأن الله له ما في السماوات وما في الأرض، وهذا الوصف لائق بذلك الحكم؛ فإن المُلْكَ العام والقدرة التامة يقتضيان ذلك، وكذلك كان خاتمة سورة الأحزاب: **{وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}**، وفاصلة الآية الثانية من مطلع سبأ: **{وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ}** [٢].

٣- مناسبة افتتاح السورة لخاتمتها:

كان خاتمة سورة الأحزاب **(وكَانَ الله غفوراً رحيماً)**، "وبهذا الإيقاع الهائل العميق تختم السورة التي بدأت بتوجيه النبي ﷺ إلى طاعة الله، وعصيان الكافرين والمنافقين، واتباع وحي الله، والتوكل عليه وحده دون سواه، والتي تضمنت توجيهات وتشريعات يقوم عليها نظام المجتمع الإسلامي، خالصاً لله، متوجهاً له، مطيعاً لتوجيهاته، بهذا الإيقاع تختم السورة، فيتناسق بدؤها وختامها، مع موضوعها واتجاهها، ذلك التناسق المعجز، الدال بذاته على مصدر هذا الكتاب العظيم" [٣].

---

(١) انظر: أسرار ترتيب القرآن، للسيوطي (ص: ١٢٤).

(٢) انظر: تفسير المراغي (٢١/ ١٢٣).

(٣) أسرار ترتيب القرآن، للسيوطي (ص: ١٢٤).

المبحث الثاني

التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف سورة الأحزاب من آية (١ -٣٠)

ويشتمل على ثمانية مقاطع:

- **المقطع الأول:** الأمر بتقوى الله واتباع الوحي والتوكل على الله.
- **المقطع الثاني:** أحكام الظهار والتبني.
- **المقطع الثالث:** أخذ الميثاق من النبيين وسؤال الصادقين.
- **المقطع الرابع:** غزوة الأحزاب والتذكير بنعمة الله وابتلاء المؤمنين.
- **المقطع الخامس:** فضح المنافقين وبيان صفاتهم القبيحة.
- **المقطع السادس:** الرسول هو الأسوة الحسنة وأصحابه هم النموذج الفريد في التضحية.
- **المقطع السابع:** نتيجة المعركة وخيانة اليهود.
- **المقطع الثامن:** تخيير النبي ﷺ لزوجاته بين الدنيا والآخرة ومقدار العقوبة.

المقطع الأول

الأمر بتقوى الله واتباع الوحي والتوكل على الله

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [الأحزاب: ١ – ٣]

أولاً: المناسبة:

ووجه اتصالها بما قبلها تشابه مطلع سورة الأحزاب وخاتمة سورة السجدة، فإن سورة السجدة ختمت بأمر النبي ﷺ بالإعراض عن الكافرين، وانتظار عذابهم، **(فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ)** (السجدة:٣٠)، وبدأت سورة الأحزاب بأمره عليه الصلاة والسلام بالتقوى، وعدم طاعة الكافرين والمنافقين واتباع ما أوحى إليه من ربه مع التوكل عليه، **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)** [(١)].

ثانياً: سبب النزول:

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا).

وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية روايتين:

الرواية الأولى: أنها "نزلت في أبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور عمرو بن سفيان السلمي، حيث إنهم قدموا المدينة بعد قتال أحد، فنزلوا على عبد الله بن أبي، وقد أعطاهم النبي الله ﷺ الأمان على أن يكلموه، فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق، فقالوا للنبي ﷺ وعنده عمر بن الخطاب: ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة، وقل إن لها شفاعة ومنفعة لمن عبدها وندعك وربك، فشق على النبي ﷺ قولهم، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إئذن لنا يا رسول الله في قتلهم، فقال: إني قد أعطيتهم الأمان، فقال عمر: اخرجوا في لعنة الله وغضبه، فأمر رسول الله ﷺ عمر أن يخرجهم من المدينة، فأنزل الله عز وجل هذه الآية **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)**" [(٢)]، وقد ذكر هذا السبب جمع كبير من المفسرين [(٣)].

---

(١) انظر: أسرار ترتيب القرآن، للسيوطي (ص: ١٢٤)

(٢) أسباب النزول، للنيسابوري (ص: ٣٥١)

(٣) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣/ ٤٠٨)، تفسير البغوي (٦/ ٣١٢) وغيرهما.

الرواية الثانية: عن ابن عباس قال: إن أهل مكة منهم الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة دعوا النبي ﷺ إلى أن يرجع عن قوله على أن يعطوه شطر أموالهم، وخوّفه المنافقون واليهود بالمدينة إن لم يرجع قتلوه فأنزل الله **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ...)** [١].

والروايتان لم تردا في الصحاح، ونلاحظ أن الآيات التي تلي هذه الآيات قد نزلت في صدد وقعة الأحزاب، ومن المحتمل أن تكون آيات وقعة الأحزاب قد وضعت في موضعها القريب من هذه الآيات بسبب تناسب الظروف، والذي يتبادر لنا أن الآيات إما أن تكون نزلت في مناسبة مراجعة فريق آخر من الكفار والمنافقين في صدد التساهل في بعض الشؤون، وإما أن تكون مقدمة للآيات التالية التي فيها حملة على بعض التقاليد الجاهلية الراسخة وأمر بإلغائها على سبيل التثبيت والتشجيع والتنبيه على وجوب تنفيذ وحي الله وأمره وعدم المبالاة باعتراض الكفار والمنافقين وهذا ما نرجحه. [٢]

ثالثاً: التحليل اللغوي:

١. **(اتَّقِ اللَّهَ):** التقوى من الفعل وقى، والوِقَايَةُ: حفظُ الشيءِ ممّا يؤذيه ويضرّه، يقال: وَقَيْتُ الشيءَ أَقِيهِ وِقَايَةً ووِقَاءً، والتَّقْوَى جعل النّفس في وِقَايَةٍ مما يُخاف، وصارت التَّقْوَى في تعارف الشّرع حفظ النّفس عمّا يؤثم، وذلك بترك المحظور [٣]، وتقوى الله سبحانه: خشيته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه [٤].

وعرّف العلماء التقوى: بأن يطاع الله فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، فهي طاعة مطلقة؛ خضوع وإذعان، وذكر قلب ولسان مع تعظيم وإجلال، وشكر دائم وعرفان [٥] ، ومن أحسن وأجمع ما يقال في تعريف التقوى: "هي اتخاذ الوقاية من عذاب الله عز وجل بفعل أوامره، واجتناب نواهيه" [٦] .

٢. **(وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ):** أي: لا توافقهم على أمر، ولا تقبل أقوالهم وإن أظهروا أنها ناصحين لك فإنهم أعداء الله وأعداء المؤمنين[٧]، وفي هذا "تنبيه للنبي ﷺ إلى أن يأخذ حذره، وأن يتوقّى هذا الداء الذي يغتال هؤلاء المصابين به" [٨].

---

(١) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي (٦/ ٥٦٠)، أسباب النزول، للسيوطي (٢٢٠-٢٢١)

(٢) انظر: التفسير الحديث، دروزة (٧/ ٣٤٧)

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني (٨٨١/١)، لسان العرب، لابن منظور (٤٠١/١٥)

(٤) انظر: القاموس المحيط، للفيروز أبادي (١٧٣١-١٧٣٢)

(٥) انظر: التفسير الحديث، دروزة (٧/ ٢٠١)

(٦) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٢٨١)

(٧) انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (٢/ ٤٦٩)

(٨) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٤٦)

قال المفسرون: وأراد بالكافرين في هذه الآية يعني من أهل مكة وهم: أبا سفيان، وعكرمة، وأبا الأعور، وبالمنافقين من يعني من أهل المدينة وهم: عبد الله بن أبي، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وطعمة بن أبيرق [١].

٣. **(إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)**: عليماً بسرائرهم حكيماً بتأخيرهم، وقيل: عليماً بالمصلحة حكيماً في التدبير"[٢]، قال النحاس: ودل قوله: **(إن الله كان عليماً حكيماً)**على أنّ النبي صلى الله يميل إليهم [٣].

٤. **(إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً)**: "أي خبير بأعمالكم لا تخفى عليه خافية من شؤونكم، وهو مجازيكم عليها" [٤]، "وفيها تهديد للكافرين والمشركين، وأن الله سبحانه مطلع على ما هم فيه فيه من منكر، وسيجزيهم بما كانوا يعملون" [٥].

٥. **(وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)**: أي ثق بالله واعتمد عليه، وفوض أمورك إليه [٦]، وفيها تثبيت للنبي صلى ﷺ، وإيناس له من ربه، بالتوكل عليه وحده، وأنه لا خوف عليه من قطيعة الكافرين والمنافقين [٧].

٦. **(وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا)**: حافظاً وناصراً لك، ولأصحابك[٨]، وقيل: "كفيلاً برزقك" [٩].

رابعاً: البلاغـة:

١. **(يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ)**: ياء النداء للتنبيه، ولفظ النبوة مُشعر بالتعظيم والتكريم أي: اثبتْ على تقوى الله ودُمْ عليها[١٠].

قال أبو السعود: "وفي ندائه ﷺ بعنوان النبوة تنويهٌ بشأنه، وتنبيهٌ على سمو مكانه، وتصريحه باسمه في قوله محمد رسول الله ونحوه لتعليم الناس بأنه رسول الله"[١١].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٦/ ٣١٦)، ، فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٤١)

(٢) النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٧٠)

(٣) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣٠٠)

(٤) صفوة التفاسير، للصابوني (٢/ ٤٦٩)

(٥) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٤٦)

(٦) انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (٢/ ٤٦٩)

(٧) انظر: التفسير القرآني للقرآن ، للخطيب(١١/ ٦٤٧)

(٨) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٤٢)

(٩) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣/ ٤٠٨)

(١٠) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٤١)

(١١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٧/ ٨٩)

وقد أشار ابن كثير فقال: "وهذا تنبيه بالأعلى على الأدنى، فإنه تعالى إذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا، فلأن يأتمر من دونه بذلك بطريق الأولى والأحرى"[١].

٢. **(وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ)**: "نهي مؤكد لمضمون الأمر السابق، أي اتق الله تقوى تمنعك من طاعتهم"[٢]، "وفي إيراد هذا النهى بعد الأمر بتقوى الله، إشارة وإيحاء إلى ما كان كان يبذله هؤلاء الكافرون والمنافقون من جهود عنيفة، لزحزحة النبي ﷺ عما هو عليه من حق، ولصرفه عن دعوتهم إلى الإسلام"[٣]، وله أيضاً دلالة على شدة الضغط والتأثير منهم بما يستخدمونه من أساليب خبيثة في تعاملهم مع المسلمين لإبعادهم عن الحق، وهو أمر مستمر ومتجدد، يستحق الحذر والانتباه.

٣. **(إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً)**: تعليل للأمر والنهي مؤكد لوجوب الامتثال بها ، ووجه كونها تعليلاً لما قبلها، أن الله لما أمر نبيه ﷺ بالتقوى ونهاه عن طاعة الكافرين بين أن هذا الأمر والنهي صادر عن علم وحكمة، وأنه سبحانه وتعالى أعلم بما يكيده هؤلاء الأعداء من الكفار والمنافقين، وفي هذا تسلية للنبي ﷺ[٤].

٤. **(وَاتَّبِعْ ما يُوحى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)**: "جيء بالفعل المضارع إيذاناً بأن ما سيوحى إليه قريباً"[٥]، وفيه "عطفٌ على ما تقدم من قبيل عطف العام على الخاص، أي اتبع في كل ما تأتي من أمور الدين ما يوحى إليك من الآيات"[٦]، "وفي إفراد الخطاب للنبي ﷺ بقوله واتبع؛ إيماء إلى أن فيما سينزل من الوحي ما يشتمل على تكليف يشمل تغيير حالة كان النبي عليه الصلاة والسلام مشاركاً لبعض الأمة في التلبس بها وهو حكم التبني إذ كان النبي متبنياً زيد بن حارثة من قبل بعثته"[٧].

٥. **(إن الله كان بما تعلمون خبيراً)**: "تعليل لأمره باتباع ما أوحي إليه، وتأكيد لموجبه، والأمر له ﷺ أمر لأمته، فهم مأمورون باتباع القرآن، كما هو مأمور باتباعه"[٨].

٦. **(وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا)**: "بينهما جناس اشتقاق"[٩].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٧٥)
(٢) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٢٨)
(٣) التفسير الوسيط، لطنطاوي (١١/ ١٧٠)
(٤) روح المعاني، للألوسي (١١/ ١٤٢)
(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٥٢)
(٦) روح المعاني، للألوسي (١١/ ١٤٢)
(٧) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٥٢)
(٨) فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٤٢)
(٩) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٢٧)

خامساً: القراءات:

- **(إنّ الله كان بِمَا يعْمَلُونَ خَبِيراً)**: قرأها أبو عمرو بياء الغيبة.
- **(إنّ الله كان بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً)**: وقرأها الباقون بتاء الخطاب.[1]

توجيه القراءات:

القراءة الأولى: من قرأ بياء الغَيْبَة على أنه راجع للناس كلهم للمسلمين والكافرين والمنافقين، ليفيد مع تعليل الأمر بالاتباع تعريضاً بالمشركين والمنافقين بمحاسبة الله إياهم على ما يبيتونه من الكيد، وكناية عن إطلاع الله رسوله على ما يعلم منهم[2].

القراءة الثانية: وأمَّا من قرأ بتاء الخطابُ فلقولِه: {يا أَيُّهَا النبي} لأنَّ المرادَ هو وأمتُه[3].

سادساً: المعنى الاجمالي:

١. الأمر بتقوى الله تعالى

افتتحت سورة الأحزاب بهذا النداء لسيد الخلق ﷺ وبهذا الوصف الكريم، وهو الوصف بالنبوة، على سبيل التشريف والتعظيم، فما أروع هذا الافتتاح وتأثيره العميق والبعيد في تربية القيادة الإسلامية والإصرار على المبدأ، والثبات على العقيدة ، ومن ثم كان التوجيه الأول في السورة التي تتولى تنظيم الحياة الاجتماعية للمسلمين بتشريعات وأوضاع جديدة، هو التوجيه إلى تقوى الله، وكان القول موجهاً إلى النبي ﷺ القائم على تلك التشريعات والتنظيمات[4].

وأما عن نداءه بالنبي دون اسمه؛ أي: لم يقل يا محمد، كما قال يا آدم، ويا نوح، ويا موسى ..، تشريفاً وتعظيماً له، وللدلالة على علو منزلته عند الله تعالى، وفي هذا تأديب لنا؛ إذ لا يصح من المسلم أن يذكره ﷺ كذكر أيّ من الناس؛ بل لابد من توقيره واحترامه؛ فيرتقي ويتشرف المسلم بذلك، وأما تصريحه باسمه في قوله: **(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ)** فلتعليم الناس أنه رسول الله[5] .

وقد جاء النداء هنا بوصف النبوة دون الرسالة؛ لاشتمال السورة على أنباء وأخبار مهمة، وعند النظر في القضايا التي جاءت بعد النداء الأول، أو في ثنايا السورة بعد ذلك، نجدها تعليمات وأوامر ونواهي لها فوائد عظيمة، ولا يستغني المسلم عن الاسترشاد بها؛ فكان الأنسب استعمال لفظ النبي دون لفظ الرسول.

---

(١) انظر: النشر، لابن الجزري (٣٤٧/٢)

(٢) انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (٩/ ٩١)

(٣) انظر: المرجع السابق (٩/ ٩١)

(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٨٢٢-٢٨٢٣)

(٥) انظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري (٢٢/ ٤٠٧)

قوله تعالى: (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ..): "فتقوى الله والشعور برقابته واستشعار جلاله هي القاعدة الأولى، وهي الحارس القائم في أعماق الضمير على التشريع والتنفيذ، وهي التي يناط بها كل تكليف في الإسلام وكل توجيه"[١]، وهي وصية الله تعالى لجميع الأمم السابقة، قال تعالى: **(ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله)** (النساء:١٣١)، وهي أول طاعة أمر الله بها عباده في هذه السورة، وكأنه سبحانه يريد أن يبين لنا أن كل الأحكام والتوجيهات الواردة في هذه السورة من أوامر ونواهي إنما هي مظاهر للتقوى وتابعة لها.

وفي المراد من تقواه لله أربعة أقوال:

الأول: "أن معنى هذا الأمر الإكثار من اتقاء الله في جهاد أعدائه"[٢].

الثاني: استدامة التقوى على ما سبق من حاله، كالرجل يقول لغيره وهو قائم قم ها هنا أي: اثبت قائماً، ومتى أمر أحد بشيء هو به قائم، فمعناه المداومة، والمقصود الدوام والثبات عليها، وقيل: الازدياد والإكثار منها[٣].

الثالث: أنّ الخطاب للنبي ﷺ؛ والمراد به أمته: إذ ليس في البشر جميعاً أتقى منه لمولاه عليه الصلاة والسلام[٤].

الرابع: أنّه لنزول هذه الآية سبباً، وقد ذُكِرَ سابقاً[٥].

ثم علل ما تقدم بقوله: **(إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً)** أي إن الله عليم بما تضمره نفوسهم، وبالذي تنطوي عليه جوانحهم، حكيم في تدبير أمرك، وأمر أصحابك، وسائر شئون خلقه[٦]، فإن التقي يلتزم بالتوجيهات الإلهية فلا يطيع الكافرين ولا المنافقين، ويأخذ الأحكام والتشريعات من الله العليم بأحوال خلقه، والحكيم فيما شرع لهم من تشريعات ومنهج حياة متكامل؛ فكانت فاصلة الآية تعليلاً للنهي عن طاعة الكافرين والمنافقين، يتناسب مع مضمون الآية الكريمة.

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٢٨٢٢)

(٢) النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٦٩)

(٣) انظر: تفسير السمعاني (٤/ ٢٥٦)

(٤) انظر: أوضح التفاسير، للخطيب (١/ ٥٠٧)

(٥) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٦٩)

(٦) انظر: تفسير المراغي (٢١/ ١٢٤)

٢. **عدم طاعة الكافرين المنافقين**

ولما وجه إلى رسوله ﷺ الأمر بتقوى الله، أتبعه بالنهي عن الالتفات نحو العدو والحسود، فقال: **{وَلَا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَالْمُنافِقِينَ...)** [١]، وهذا هو التوجيه الثاني: وهو النهي عن طاعة الكافرين والمنافقين، وقدم النهي على الأمر، وذلك لأن ضغط الكافرين والمنافقين في المدينة وما حولها كان في ذلك الوقت عنيفاً، فاقتضى هذا النهي عن اتباع آرائهم وتوجيهاتهم، والخضوع لضغطهم، ثم يبقى ذلك النهي قائماً في كل بيئة وكل زمان، يحذر المؤمنين أن يتبعوا آراء الكافرين والمنافقين إطلاقاً، ليبقى منهجهم خالصاً لله، غير مشوب بتوجيه من سواه، ولا ينخدع أحد بما يكون عند الكافرين والمنافقين من ظاهر العلم والتجربة والخبرة كما يسوغ بعض المسلمين لأنفسهم في فترات الضعف والانحراف فإن الله هو العليم الحكيم وهو الذي اختار للمؤمنين منهجهم وفق علمه وحكمته[٢].

والله سبحانه حين ينهى رسوله عن طاعتهم، إنما يُبيِّن له طبيعتهم، وحقيقة عدائهم له، ويبيَّن لنا على مدى موكب الرسل جميعاً أنه ما من رسول إلا كان له أعداء ومعاندون، لكن سنة الله في الرسل أنْ تكون لهم الغَلَبة في نهاية الأمر، كما قال: **(وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المرسلين إِنَّهُمْ لَهُمُ المنصورون وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الغالبون)** [الصافات: ١٧١ – ١٧٣] [٣].

٣. **اتباع الوحي من الله**

ويأتي بعد ذلك التوجيه الثالث؛ وهي قضية تقتضي الاهتمام والانتباه حتى لا يغفل المؤمن عن تعليمات دينه وأوامر مولاه، وهي منارة لا بد منها في حياة المؤمن تهديه للحق إذا لازمها، **(وَاتَّبِعْ ما يُوحى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)** أي واعمل بمقتضى الوحي المنزل إليك من ربك من قرآن وسنة [٤]، والنص هنا يتضمن لمسات موحية تكمن في صياغة التعبير: فالوحي «إِلَيْكَ» بهذا التخصيص، والمصدر «مِنْ رَبِّكَ» بهذه الإضافة[٥]، فقد خصك الله به متميزاً عن بقية ما أوحى الله لأنبيائه، وذلك يدل على العناية والفضل؛ ولأن الإسلام هو الرسالة العالمية.

والتعقيب: «**إِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً**» وهي جملة تعليلية تحمل الوعد والوعيد إذ علم الله بأعمال العباد صالحها وفاسدها يستلزم الجزاء عليها فمتى كانت صالحة كان الجزاء حسناً وفي وعده ومتى كانت فاسدة كان الجزاء سوءاً [٦].

---

(١) انظر: تفسير المراغي (٢١/ ١٢٤)

(٢) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٢٨٢٢)

(٣) انظر: تفسير الشعراوي (١٩/ ١١٩٠٢)

(٤) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٢٩)

(٥) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٨٢٢-٢٨٢٣)

(٦) انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٣٩-٢٤٠)

٤. **التوكل على الله وحده**

والتوجيه الأخير: **(وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا)** فالله تعالى أمر رسوله بعد التزام الأوامر بتفويض الأمور إليه وحده[١].

هذه الأوامر التي صُدّرت بها السورة بما يسميه بعض أهل العلم ببراعة الاستهلال، وقد تضمنت ثلاثة أوامر: تقوى الله، واتباع وحيه، والتوكل عليه وحده، كما تضمنت نهيه صلى الله عليه وسلم عن طاعة الكافرين والمنافقين، وهي الاصل الذي تقوم عليه جميع التوجيهات والاحكام التي وردت في السورة، وباتباع هذه الأوامر والنواهي، يسعد الأفراد، وتسعد الأمم، وهي العناصر التي تزود الداعية بالرصيد وتقيم الدعوة على منهجها الواضح الخالص[٢].

والصلة بين هذه الاوامر واضحة، فالتقوى لا تكون مع طاعة الكافرين والمنافقين، إذ الكافرون والمنافقون يرغبون أن يحرفوا المؤمنين، والتقوى وترك طاعة الكافرين والمنافقين وأتباع الوحي كلها تحتاج إلى توكل على الله وتفويض أمر له ومعرفة له[٣].

سابعاً: الهدايات المستنبطة من المقطع:

١. وجوب تقوى الله تعالى والمداومة عليها ومتابعة طاعة الله أمر عام مفروض على جميع البشر[٤].
٢. "تعظيم النبي ﷺ عند ذكره بوصف النبوة"[٥].
٣. منع الله سبحانه من طاعة الكافرين من أهل مكة ونحوهم والمنافقين من أهل المدينة وأمثالهم، وحذر من الميل إليهم، فإنه لا أمان لهم، فهو سبحانه عليم بكفرهم ونفاقهم[٦].
٤. "النهي عن طاعة المعادين للإسلام من الكفار والمنافقين الذين لا يحبون الخير للإسلام"[٧].[٧].
٥. "وجوب اتباع الوحي من كتاب وسنة، وفي ذلك زجر عن اتباع مراسم الجاهلية، وأمر بجهادهم ومنابذتهم، وفيه دليل على ترك اتباع الآراء مع وجود النص، فلا مساغ للاجتهاد في مورد النص"[١].

---

(١) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٢٩)
(٢) انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (١١/ ١٧١).
(٣) انظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى ج٨(٤٣٨٦-٤٣٨٧)
(٤) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٢٩)
(٥) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير (٧٢/٦)
(٦) انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٣٩-٢٤٠)
(٧) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير (٧٢/٦)

٦. لزوم الاعتماد على الله تعالى والثقة به والتوكل عليه في جميع الاحوال والامور [٢].

٧. قررت الآيات هذه الأحكام وهي أن الله عليم بالمصلحة والصواب، حكيم لا يأمر ولا ينهى إلا على وفق الحكمة والصواب، فالواجب الأول: امتثال الأمر وتنفيذ النهي، والواجب الثاني: اتباع وحي الله، فإن الله خبير بما يصلح أمور العباد، والواجب الثالث: التوكل على الله حقاً، ومن يتوكل على الله فهو حسبه وكافيه، وكفى بالله وكيلاً [٣].

---

(١) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٢٩)

(٢) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير (٧٢/٦)

(٣) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٣٠)

المقطع الثاني

أحكام الظهـار والتبني

قال تعالى: {مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥) النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا} [الأحزاب: ٤ – ٦]

أولاً: المناسبة:

بعد أن أمر الله سبحانه وتعالى نبيه بتقواه وطاعته والخوف منه، وحذّره من طاعة الكفار والمنافقين والخوف منهم، ضرب لنا الأمثال، ليبين لنا أنه لا يجتمع خوف من الله وخوف من سواه، فذكر أنه ليس للإنسان قلبان حتى يطيع بأحدهما ويعصي بالآخر، وإذا لم يكن للمرء إلا قلب واحد، فمتى اتجه لأحد الشيئين صدّ عن الآخر، فطاعة الله تصد عن طاعة سواه، وأنه لا تجتمع الزوجية والأمومة في امرأة، ولا البنوة الحقيقية والتبني في رجل، فجمع في الآيات بين أمر معروف حسي، وبين أمرين معنويين [١].

ثانياً: سبب النزول:

١. قوله تعالى: (مَّا جَعَلَ الله لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ. .)

وقد روى المفسّرون في سبب نزولها أسباباً عدة أذكر أصحها:

الأول: ما أخرجه الترمذي وحسنه عن ابن عباس أن النبي ﷺ قام يوماً يصلي فخطر خطرة، فقال المنافقون الذين يصلون معه إن له قلبين قلباً معكم وقلباً معهم فأنزل الله هذه تكذيباً لهم؛ ويكون معناه ما جعل الله لرجل من جسدين [٢].

---

(١) انظر: تفسير المراغي (٢١/ ١٢٦)

(٢) انظر: لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي (١٧١/١)، زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٣/ ٤٤٧)، سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن الكريم، باب: ومن سورة الاحزاب ، ح(٣١٩٩) (٣١٩٩)، ثم قال وهذا حديث حسن

الثاني: ما أخرجه ابن أبي حاتم عن السدي أنها نزلت في رجل من قريش من بني جمح يقال له: جميل بن معمر الفهري[١]، وكان رجلاً لبيباً حافظاً لما سمع وكان ذا فهم ودهاء، فقالت قريش: ما حفظ هذه الأشياء إلا وله قلبان، وكان يقول: إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد ﷺ فلما كان يوم بدر، وهزم المشركون وفيهم يومئذ جميل بن معمر، تلقاه أبو يوسف وهو معلق إحدى نعليه بيده، والأخرى في رجله، فقال له: يا أبا معمر، ما حال الناس؟ قال: انهزموا، قال: فما بالك إحدى نعليك في يدك، والأخرى في رجلك؟ قال: ما شعرت إلا أنهما في رجلي، وعرفوا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده. ويكون معناه: ما جعل الله لرجل من فهمين[٢].

الثالث: ما أخرجه ابن جرير عن الحسن البصري أن رجلاً كان يقول إن لي نفسين نفساً تأمرني ونفساً تنهاني فنزل ذلك فيه. ويكون معناه: ما جعل الله لرجل من نفسين[٣].

الرابع: أنه مثلٌ ضربه الله لزيد بن حارثة حين تبناه النبي ﷺ بعد أن أعتقه فلما نزل تحريم التبنّي منع من ادعائه ولداً ونزل فيه {مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنَ قَلْبِينِ} يقول: ما جعل الله لرجل من أبوين، كذلك لا يكون لزيد أبوين حارثة ومحمد ﷺ، قاله مقاتل بن حيان. ويكون معناه: ما جعل الله لرجل من أبوين[٤].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك تكذيب من الله تعالى لقول من قال لرجل في جوفه قلبان يعقل بهما، على النحو الذي رُوي عن ابن عباس، وجائز أن يكون ذلك تكذيباً من الله لمن وصف رسول الله ﷺ بذلك، وأن يكون تكذيباً لمن سمى القرشيّ الذي ذُكر أنه سمي ذا القلبين من دهيه، وأيّ الأمرين كان فهو نفي من الله عن خلقه من الرجال أن يكونوا بتلك الصفة[٥].

٢. قوله تعالى: (وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ)

نزلت في زيد بن حارثة، أعتقه النبي ﷺ وتبناه قبل الوحي، فلما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش قال اليهود والمنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عنها، فنزلت هذه الآية[٦].

---

(١) جميل بن معمر الفهري، ويكنى أبا معمر، ويلقب ذا القلبين، وهو الذي أخبر قريشاً بإسلام عمر، وكان من أذكى العرب وأحفظهم، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (٤٩٩/١)

(٢) انظر: أسباب النزول، للواحدي(٢٠١)، التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٣٣)،، صفوة التفاسير، للصابوني (٢/ ٤٦٩)

(٣) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٣٣)، النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٧١)

(٤) انظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٣/ ٤٤٧)

(٥) انظر: جامع البيان، للطبري(٢٠/ ٢٠٥)

(٦) انظر: زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي (٣/ ٤٤٨)

وقد ذكر القرطبي في تفسيره: إجماع أهل التفسير على أن هذه نزلت في زيد بن حارثة.[١]

وزيد كان مسبياً من الشام، سبته خيل من تهامة، فابتاعه حكيم بن حزام بن خويلد، فوهبه لعمته خديجة، ثم وهبته للنبي ﷺ فأعتقه وتبناه، وقد اختار زيد الرق مع رسول الله على الحرية مع أهله وقومه، فتبناه النبي وقال: «**يا معشر قريش اشهدوا أنه ابني يرثني وأرثه**»، ومن هنا نفهم أن التبني كان معمولاً به في الجاهلية، وأقره الإسلام مدة[٢].

٣. **قوله تعالى: (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ...)**

عن ابن عمر، قال: " ما كنا ندعو زيداً بن حارثة إلا زيد ابن محمد حتى نزل القرآن: **{ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ...}** الآية. فقال النبي ﷺ: أنت زيد بن حارثة [٣] .

"وهذه الآية ناسخة لما كان جارياً بين المسلمين ومن النبي ﷺ من دعوة المتبنين إلى الذين تبنوهم فهو من نسخ السنة الفعلية والتقريرية بالقرآن، وذلك مراد من قال: إن هذه الآية نسخت حكم التبني"[٤].

ثالثاً: التحليل اللغوي:

١. **(ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه):** "**جعل** بمعنى خلق"[٥]، **والقلب:** مضغة صغيرة في هيئة الصنوبرة في داخل التجويف الصدري، خلقها الله تعالى في الجانب الأيسر من صدر الإنسان، معلقة بعرق الوتين، وجعلها محلًا للعلم، وهو محل الخطرات والوساوس، ومكان الكفر والإيمان، وموضع الإصرار والإنابة، ومحل الانزعاج والطمأنينة[٦]، "**والجوف:** باطن الإنسان صدره وبطنه وهو مقر الأعضاء الرئيسية عدا الدماغ"[٧].

٢. **(تُظَاهِرُونَ مِنْهُنّ):** مضارع ظاهر ومصدره الظهار، وذلك بأن يشبِّه زوجته بمن تحرُمُ عليه على التَّأبيد فيما يتعلق بالوطء، فيقول لها: أنت علي كظهر أمي، أو كظهر أحد محارمي قصداً إلى تحريمها، أي أنت في التحريم علي كتحريم الأم ونحوها من المحارم، وكان طلاقًا في الجاهلية، وكانوا يجتنبون المظَاهر منها كما يجتنبون المطلقة، فمعنى أنت علي كظهر أمي: أنت علي حرام كبطن أمي، فكنوا عن البطن بالظهر، لئلا يذكروا البطن، الذي ذكره

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١١٨/١٤)

(٢) انظر: التفسير الواضح، محمود حجازي (٣/ ٧٤)

(٣) انظر: أسباب النزول، للواحدي (٥٦٣)، سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن الكريم، باب ومن سورة الاحزاب، ح(٣٢٠٩)(٣٥٣/٥)، ثم قال وهذا حيث حسن صحيح.

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٦٣)

(٥) انظر: التفسير المنير للزحيلي (٢١/ ٢٣٢).

(٦) انظر: تفسير القرطبي (١٤/ ١١٧)، التفسير المنير للزحيلي (٢١/ ٢٣٥)

(٧) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٥٦).

يقارب ذكر الفرج، وإنما جعلوا الكناية بالظهر عن البطن، لأنه عمود البطن قوام البنية[١]، وقد كان الرجل في الجاهلية متى قال هذه المقالة لامرأته، صارت حرامًا حرمةً مؤيدةً، فجاء الإسلام ومنع هذا التأبيد، وجعل الحرمة مؤقتة، حتى تؤدى كفارة لانتهاكه حرمة الدين، إذ حرم ما أحل الله له[٢].

٣. **(أُمَّهَاتِكُمْ)**: أي: كالأمهات في التحريم، فقد كان الظهار في الجاهلية طلاقاً، أما في الإسلام فتجب فيه الكفارة قبل الجماع[٣].

٤. **(أَزْوَاجَكُمُ)**: أي: "نساءَكم وزوجاتكم"[٤].

٥. **(اللَّائِي)**: "اسم موصول لجماعة النساء، جمع التي"[٥].

٦. **(أَدْعِيَاءَكُمْ)**: الأدعياء جمع دعي: وهو الذي تدعى بنوته، فيُدعى ولدًا لغير أبيه ويُتخذ ابنًا[٦]، فهو الولد الذي كان الرجل يدعيه، وهو ليس له، أو يُدْعَى إليه، بسبب تبنيه إياه، كما كان الأمر بالجاهلية، وأول الإسلام، فأراد الله تعالى أن يبطله ويزيله[٧].

٧. **(أَبْنَاءَكُمْ)**: أي: "كأبنائكم في الحقيقة في حكم الميراث والحرمة والنسب"[٨].

٨. **(قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ)**: أي قول باللسان دون اعتقاد القلب، أي مجرد قول في الظاهر، لا حقيقة له في الواقع، فلا تصير المرأة به أمه، ولا ابن الغير به إبناً، ولا يترتب على ذلك شيء من أحكام الأمومة والبنوة[٩].

٩. **(وهو يهدي السبيل)**: السبيل: الطريق الواضحة، والمراد: نفي وجود القلبين، ونفي الأمومة والبنوة عن المظاهر منها والمتبنى[١٠].

١٠. **(ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ)**: انسبوهم إلى آبائهم الذين ولدوهم[١١].

---

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥٢١)، التفسير الواضح، محمود حجازي (٣/ ٧٢)

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري (٢٢/ ٤١١-٤١٢)

(٣) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٣٢)

(٤) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري (٢٢/ ٤١١)

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٥٦).

(٦) انظر: التفسير المنير للزحيلي (٢١/ ٢٣٢)

(٧) انظر: تفسير الشعراوي (١٩/ ١١٩٢٢)

(٨) انظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري (٢٢/ ٤١٢)

(٩) انظر: تفسير ابن عرفة (٣/ ٢٨٥)

(١٠) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٦٠)

(١١) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لابي السعود (٧/ ٩٠)

١١. **(هُوَ أَقْسَطُ عندَ الله)**: وأقسط من القسط بمعنى العدل، أي ذلك أعدل عند الله في ارجاع الابن لأبيه واعطائه حقوقه[١].

١٢. **(وَمَوَالِيكُمْ)**: جمع مولى، ويطلق في اللغة على: المعتق، والعتيق، وابن العم، والناصر، والجار، والحليف، والمراد هنا: بمواليكم: بعد التحرر يصبحوا اخوانكم في الدين ومناصرين لكم[٢].

١٣. **(فإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ)**: فهم إخوانكم في الدين، إن كانوا من أهل ملَّتكم، فقولوا لهم يا أخي فلان، ومواليكم إن كانوا محرّريكم وليسوا ببنيكم[٣].

١٤. **(جُنَاحٌ)**: "إثم"[٤].

١٥. **(أَخْطَأْتُمْ بِهِ)**: الخطأ: الذي رفع الله تعالى فيه الجناح أن تعتقد في أحد أنه ابن فلان فتنسبه إليه وهو في الحقيقة ليس بابنه، والخطأ مرفوع عن هذه الأمة عقابه، كما قال تعالى: **(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)** (البقرة: ٢٨٦)[٥]، فيكون المعنى: أنه لا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين بالسهو أو النسيان أو سبق اللسان[٦].

١٦. **(مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ)**: "العمد: هو أن تنسبه إلى فلان وأنت تدري أنه ابن غيره"[٧]، ولكن الجناح والإثم فيما تعمدتموه وقصدتموه من ذلك بعد النهي[٨].

١٧. **(أَوْلَى)**: بمعنى "أرأف وأشفق وأحرس"[٩].

١٨. **(وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ)**: أي: أن أزواجه النبي ﷺ أمهات للمؤمنين، فهنّ منزلات منزلة الأمهات في التحريم واستحقاق التعظيم والتوقير، وفيما عدا ذلك كالإرث ونحوه فكالأجنبيات[١٠].

١٩. **(وَأُولُوا الْأَرْحَامِ)**: أي: "ذوو القرابات"[١].

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لابي السعود (٧/ ٩١)، مفاتيح الغيب، للرازي(٢٥/ ١٥٦)، الوجيز، للواحدي (ص: ٨٥٨)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٤/ ٢٢٥)

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٤/ ٢١٥)، معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن، للجمل (٥/ ٢٨٦).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي(٢٥/ ١٥٦).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٦٤)

(٥) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٦٩)

(٦) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لابي السعود (٧/ ٩١)

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٦٩)

(٨) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لابي السعود (٧/ ٩١)

(٩) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري (٢٢/ ٤١٧)

(١٠) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٧/ ٩١)

٢٠. **(بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ)**: أي: في الميراث، وهو نسخ لما كان في صدر الإسلام من التوارث بالهجرة والموالاة أو التبني في الدين[٢].

٢١. **(فِي كِتَابِ اللَّهِ)**: في حكمه وقضائه أو في اللوح المحفوظ الذي قضى أحوال خلقه أو فيما فرضه الله تعالى وشرعه[٣]، ويجوز أن يراد به "القرآن إشارة إلى ما تضمنته آية المواريث"[٤].

٢٢. **(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ)**: قيل: إنه أراد بالمؤمنين الأنصار، وبالمهاجرين قريشاً[٥]، فالإرث بقرابة الرحم مقدم على الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام[٦].

٢٣. **(كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا)**: المراد بالكتاب: اللوح المحفوظ، وقيل: القرآن[٧]، وقيل: التوراة[٨]، ولعل المقصود هنا اللوح المحفوظ؛ وذلك لأنه يحتوي كل العلوم والتشريعات الإلهية ومنها القرآن الكريم؛ فيدخل القرآن فيه دخولاً أولياً[٩]، ومعنى مسطوراً: مكتوباً[١٠].

رابعاً: البلاغـة:

١. **(ما جعل الله لرجل من قلبين)**: جاءت كلمة (رجل) نكرة للاستغراق والشمول، وبذلك تخرج المرأة من سياق الآية، والتي قد تكون حاملاً، وتحمل في جوفها بالإضافة إلى قلبها قلب جنين أو قلوب أكثر من جنين واحد، وحرف الجر(من): لتأكيد الاستغراق، لأن النكرة في سياق النفي تقتضي العموم[١١]، "وذكرُ الجوف وإن كان من المعلوم أنّ القلب لا يكون إلا بالجوف لزيادة التصوير في الإنكار، والتكذيب للمدّعى، فهو كقوله تعالى: **{ولكن تعمى القلوب التي فِي الصدور}** [الحج: ٤٦]، فإذا سمع الإنسان ذلك، تصوّر لنفسه جوفاً يشتمل على قلبين، فسارع عقله إلى إنكاره"[١٢].

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٤٤)، الوجيز، للواحدي (ص: ٨٥٨)، التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٤٤).

(٢) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣٠٢)، التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٤٤)

(٣) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٣/ ١٨)، التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٤٤)

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٧٠)

(٥) انظر: تفسير القرطبي (١٤/ ١٢٣)، النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٧٥)

(٦) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٧/ ٩١)

(٧) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣٠٢)، النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٧٦)

(٨) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٧/ ٩١)

(٩) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٥٩).

(١٠) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٥٩)، التفسير الواضح، حجازي (٣/ ٧٥)

(١١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٥٥)، التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٣١)

(١٢) روائع البيان تفسير آيات الأحكام، للصابوني (٢/ ٢٦٠)

٢. **(فِي جَوْفِهِ)**: أي: في صدره، وذكر الجوف في جوفه لزيادة تصوير الإنكار وزيادة في التقرير، كما في قوله تعالى: **(وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)**[١].

٣. **(أدعياءكم)**: "كناية عن الأبناء بالتبني"[٢].

٤. **(أخطأتم) (تعمدت قلوبكم)**: "بينهما طباق"[٣].

٥. **(ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ)**: "اللام في لآبائهم لام الانتساب، وأصلها لام الاستحقاق. يقال: فلان لفلان، أي: هو ابنه، أي: ينتسب له"[٤].

٦. **(هُوَ أَقْسَطُ عندَ الله)**: "تعليل للأمر بدعاء الأبناء للآباء"[٥].

٧. **(وليس عليكم جُنَاحٌ)**: "ووقوع جناح في سياق النفي ب ليس يقتضي العموم فيفيد تعميم انتفاء الإثم عن العمل الخطأ بناء على قاعدة عدم تخصيص العام بخصوص سببه الذي ورد لأجله وهو أيضا معضود بتصرفات كثيرة في الشريعة، منها قوله تعالى: **(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)** (البقرة: ٢٨٦)"[٦].

٨. **(إن الله كان غفوراً رحيماً)**: "تعليل نفي الجناح عن الخطأ بأن نفي الجناح من آثار اتصاف الله تعالى بالمغفرة والرحمة بخلقه"[٧].

٩. **(وأزواجه أمهاتهم)**: تشبيه بليغ، حذف منه وجه الشبه وأداة التشبيه، وأصل الكلام أزواجه مثل أمهاتهم في الحرمة والتعظيم[٨].

١٠. **(أولى ببعض)**: ايجاز بالحذف، تقدير الكلام أي أولى بميراث بعض[٩].

١١. **(منَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ)**: "وتعبير من المؤمنين والمهاجرين يحتوي قيداً احترازياً على ما يتبادر لإخراج غير المؤمنين من ذوي الأرحام من الأولوية وحقوق الإرث وحصر ذلك بين المؤمنين" [١].

---

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥٢١)

(٢) التفسير الحديث، دروزة (٧/ ٣٤٨)

(٣) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٣٢)

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٦١)

(٥) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣٠١)

(٦) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٦٥)

(٧) المرجع السابق (٢١/ ٢٦٦)

(٨) انظر: إعراب القرآن وبيانه، لدرويش (٧/ ٦٠٣)

(٩) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٤٣)

خامساً: القراءات:

- **(تُظَاهِرُونَ)**: قرأها عاصم بضم التاء وتخفيف الظاء وألف بعدها مع كسر الهاء.
- **(تَظَّاهرون)**: وقرأها ابن عامر: بفتح التاء والهاء وتشديد الظاء مع الألف
- **(تَظَاهرون)**: وقرأها حمزة والكسائي وخلف: بفتح الياء والهاء وتخفيف الظاء مع الألف.
- **(تظّهّرون)**: وقرأها الباقون بتشديد الظاء والهاء من غير ألف[٢].

توجيه القراءات:

كلمة (تظاهرون): القراءة بالتشديد: تعني صيغة مبالغة، بأن هذه الظاهرة كانت مستشرية في ذلك المجتمع، ويصعب التخلي بها، وسواء قرأت بالتشديد أو بالتخفيف فهي بمعنى واحد، وهي قول الرجل لزوجته: أنت عليّ كظهر أمي[٣].

سادساً: المعنى الاجمالي:

جاء الاسلام لإبطال كثير من المفاهيم السيئة التي كانت منتشرة في الاسلام ومنها:

١. **نفي الادعاء بان للرجل قلبين**

قال تعالى: **(ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه)**: أي ما خلق الله لأي أحدٍ أيا كان من قلبين في جوفه، وإنما هو قلب واحد؛ لأن القلب محل التوجيه والإرادة والعزم، فإذا كان الإنسان مؤمناً بالله ورسوله، فلن يكون كافراً أو منافقاً، فلا يجتمع في قلب واحد اعتقادان، والعرب تفهم من هذا أنه لا يجتمع اعتقادان متغايران في قلبٍ كما لا يجتمع قلبان في جوف، ولا يصح أن تكون أخلاقنا وآدابنا من واد وديننا من واد، ونظامنا واقتصادنا من واد آخر، وقد كان العرب في جاهليتهم تحت ظروف الحياة التي تعتمد على الاستكثار من الرجال يعملون جاهدين على إلحاق غير أبناءهم بهم، ممن يتوسمون فيهم القوة والشجاعة[٤].

فلما جاء الإسلام، وأقام حياة الناس على العدل، لم تعد ثمة داعية إلى الإبقاء على هذه العادة، ولكن كان هناك كثير من الحالات أدركها الإسلام، وقد أخذت وضعها في المجتمع، ولم يكن من اليسير التخلص منها، ومن أجل هذا فقد جاء التوجيه السماوي بإنهاء هذه العلاقة، التي كانت قائمة بين الأدعياء والآباء، وإقامة علاقة أخرى مقامها، أوثق عرى، وأقرب قرابة، هي علاقة الأخوّة في الدين، وقرابة الولاء لله بين المؤمنين[٥] .

---

(١) التفسير الحديث، دروزة (٧/ ٣٥٦)

(٢) انظر: النشر، لابن الجزري (٢/٢٦٠)، الحجة، للفارسي (٣/٢٨٠)

(٣) انظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري (٢٢/ ٤١٢)

(٤) انظر: التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٤٨)

(٥) انظر: المرجع السابق (١١/ ٦٤٨)

والحكمة فيما لم يجعل لأحد قلبين، وإنما جعل له سمعين وبصرين؟ وذلك لأن الإدراك بالسمع والبصر إنما يكون بالمشاهدة، فيخرج ذلك مخرج معاونة بعضهم بعضاً، وما يدرك بالقلب إنما يدرك بالاجتهاد، وقد يختلف القلبان فيما يجتهدان في شيء، فيناقض أحدهما صاحبه؛ إذ يجوز أن يرى أحدهما خلاف ما يراه الآخر، وأما السمعان والبصران لا يكون كذلك[١].

١. الظهار في الجاهلية وموقف الشريعة منه

كان الرجل في الجاهلية يقول لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي، أي حرام محرمة كما تحرم عليّ أمي، فيحرم عليه وطؤها ثم تبقى معلقة، لا هي مطلقة فتتزوج غيره، ولا هي زوجة فتحل له، فلما أخذ الإسلام يعيد تنظيم العلاقات الاجتماعية في محيط الأسرة، ويعتبرها هي اللبنة الأولى للمجتمع، جعل يرفع عن المرأة هذا الخسف، وكان مما شرعه هذه القاعدة: «**وَما جَعَلَ أَزْواجَكُمُ اللَّائِي تُظاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهاتِكُمْ**»[٢].

- **معنى الظهار لغة:** مصدر مأخوذ من الظهر، و"الظهر من كل شيء: خلاف البطن، والظهر من الإنسان: من لدن مؤخر الكاهل إلى أدنى العجز"[٣].

"والظهار: هو قول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، وهي كلمة كانوا يقولونها، يريدون بها الفراق، وإنما اختصوا الظهر لمكان الركوب، وإلا فسائر أعضائها في التحريم كالظهر"[٤]، وقيل: "لأن إتيانَ المرأة وظهرها إلى السماء كان محرماً في الجاهليَّة"[٥].

- **ويطلق لفظ الظهار على عدة معان منها:**[٦]

مقابلة الظهر للظهر حقيقة: يقال: ظاهرته، إذا قابلت ظهرك لظهره حقيقة.

البروز بعد الخفاء: يقال: ظهر لي رأي، إذا علمت ما لم تكن علمته.

الغلبة: يقال: ظهر على عدوه إذا غلبه، قال تعالى: **{فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ}** (الصف:١٤)

التبين: يقال: ظهر الحمل إذا تبين.

النصرة: يقال: تظاهر القوم، إذا تناصروا.

العلو: قال تعالى: **{فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ}** (الكهف:٩٧) أي يعلوه.

التقاطع: يقال: تظاهروا أي تقاطعوا.

التحري والاحتياط: يقال: استظهرت في طلب الشيء، تحريت وأخذت بالاحتياط.

---

(١) انظر: تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٨/ ٣٥١)

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٨٢٤)

(٣) لسان العرب، لابن منظور، (٤٧١/٣)

(٤) مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ٤٧١)

(٥) تاج العروس، للزبيدي (٣٧٤/٣)

(٦) انظر: مجلة البحوث الإسلامية (٦٣/ ٣٢٦-٣٢٧)

الظفر: يقال: ظهر بالشيء أي ظفر به.

التعاون: يقال: ظاهر فلان فلانا عاونه.

الخروج: يقال: ظهر من بلد كذا إذا خرج منه.

القوة: يقال: ظهر فلان على فلان، أي قوي عليه.

أما معنى الظهار اصطلاحاً فهو: "أن يشبه الرجل زوجته بمن تحرم عليه على التأبيد"[1].

- **صيغ الظهار:**[2]

أ- **تشبيه الزوجة بظهر الأم،** قال ابن المنذر: "أجمع أهل العلم على أن تصريح الظهار أن يقول: أنت علي كظهر أمي".[3]

ب- **قول الزوج لزوجته أنت كظهر أمي بحذف حرف الصلة (علي) ونحوه،** ووقع اختلف أهل العلم في ذلك على قولين، الراجح منهما: أنه لا يكون ظهاراً إلا بالنية؛ لأن هذا اللفظ كناية في الظهار؛ لاحتمال مقصده أنها محرمة على غيره؛ لأن حذف الصلة (علي) يوهم ذلك، فلما نوى الظهار عينت النية المراد من اللفظ.

ت- **تشبيه الزوجة بظهر من تحرم عليه على التأبيد من أقاربه غير الأم،** كجدته، وعمته، وخالته، وأخته، ونحو ذلك، فاختلف أهل العلم في كونه ظهاراً أم لا؟ والراجح: ما ذهب إليه جمهورُ أهل العلم أنه ظهار؛ إذ الشريعة لا تفرق بين المتماثلات.

ث- **تشبيه الزوجة بظهر من تحرم عليه على التأبيد سوى الأقارب،** كالأمهات المرضعات، والأخوات من الرضاعة، وحلائل الآباء والأبناء، وأمهات النساء، والربائب اللاتي دخل بأمهن، وقد اختلف العلماء في هذه المسألة، والراجح: أنه ظهار، وهو قول جمهور أهل العلم، إلحاقًا للمحرمة إلى أبد بالأم؛ لأنَّ الشريعةَ لا تُفرِّقُ بين المُتَمَاثلات.

ج- **تشبيه الزوجة بمن تحرم عليه على التأقيت،** كأخت امرأته، أو عمتها، أو الأجنبية، ونحو ذلك، فاختلف العلماء في ذلك على قولين: والراجح منهما، أنه ليس ظهاراً، إذ التشبيه بأخت الزوجة ونحوها ليس في الغلظة والقبح والشناعة كالتشبيه بالأم.

ح- **تشبيه الزوجة بظهر ذكر،** مثل أن يقول لزوجته: أنت عليَّ كظهر أبي، أو ابني، أو غيرهما من الرجال، فقد اختلف العلماء في ذلك على قولين: والراجح منهما، أنه لا يكون ظهاراً.

خ- **تشبيه عضو من أعضاء الزوجة بظهر الأم، أو بعضو من أعضائها،** مثل أن يقول: ظهرك، أو يدك، أو رأسك عليَّ كظهر أمي، فاختلف العلماءُ في هذه المسألة، والراجح أنه

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية (٦٣/ ٣٣٠)

(٢) انظر: مجلة البحوث الإسلامية (٦٣/ ٣٣٧-٣٧٨)

(٣) الاجماع، لابن المنذر، (١٠٥)

لا يكون مظاهراً حتى يشبه جملة زوجته، لكن يظهر أنَّ عليه كفَّارةَ يمينٍ؛ إن نوى الظهارَ، أو التحريمَ، وقد يستثنى من ذلك: ما إذا شبَّه عضواً يفيد تشبيه جماع الزوجة بجماع الأم في الحرمة، كالفرج فظهارٌ.

د- **تشبيه الزوجة بظهر بهيمة**، كأن يقول لزوجته: أنت عليَّ كظهر البهيمة، أو دابتي، فللعلماء في ذلك قولان: الراجح منهما: أنه لا يكون ظهاراً؛ إذ ظهر البهيمة ليس محلاً للاستمتاع، فينتفي التشبيه القبيح، وعلى هذا إن نوى الظهارَ أو التحريمَ فكفَّارةُ يمينٍ، وإن لم يَنوِ فلا شيءَ عليه .

ذ- **تشبيه الزوجة بالأم بحذف لفظ الظهر**، يقول الزوج لزوجته: أنت عليَّ كأمي، أو مثل أمي، ولم يذكر الظهر، فاختلف أهل العلم رحمهم الله في ذلك على قولين: الراجح منهما: أنه لا يكون ظهاراً.

ر- **قول الزوج لزوجته:** أنت كأمي، أو مثل أمي، أو أنت أمي بحذف لفظ (علي) أو (عندي)، فإن نوى الظهار فإنه يكون ظهاراً باتفاق الأئمة الأربعة، وإذا لم ينو، فقد اختلف العلماء في ذلك على قولين، الراجح منهما: أنه ليس بظهار

ز- **قول الزوجِ لزوجتِهِ: أنت عليَّ حرامٌ كأمي، أو مثل أمي**، فإذا نوى به الظهار، فالراجح: أنه ظهار، وإذا لم ينوي فقد اختلف العلماء فيما على قولين: الراجح منهما أنه ظهار؛ لوجود التشبيه القبيح.

- **الظهار:**

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى إبطال عادة الظهار في مطلع سورة المجادلة عندما ظاهر أوس بن الصامت من زوجه خولة بنت ثعلبة، فجاءت إلى رسول الله ﷺ تشكو تقول يا رسول الله، أكل مالي، وأفنى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي، ظاهر مني، فقال ﷺ «ما أراك إلا قد حرمت عليه»، فأعادت ذلك مراراً،[1] فأنزل الله: «**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحاوُرَكُما، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ. الَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسائِهِمْ ما هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ، إِنْ أُمَّهاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ، وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً. وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ. وَالَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ. وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً. ذلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَلِيمٌ**» (المجادلة:١-٤)، فجعل الإسلام الحرمة مؤقتة، تزول بالكفارة وهي تحرير رقبة، أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكينا قبل الجماع،

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: الطلاق، باب: الظهار، ح(٢٠٦٣)، (١/ ٦٦٦)، وصححه الألباني

وبذلك تحل الزوجة مرة أخرى، وتعود الحياة الزوجية لسابق عهدها، ويستقر الحكم الثابت المستقيم على الحقيقة الواقعة [١].

- **كفارة الظهار:**

كفارة الظهار واجبة على الترتيب وهي: الإعتاق، ثم الصيام شهرين متتابعين، ثم إطعام ستين مسكيناً، وذلك قبل التّماس، أي الجماع، فإن جامع قبل أن يكفر، لم يجب عليه إلا كفارة واحدة في قول أكثر العلماء [٢].

قال ابنُ قدامة: "أجمع أهلُ العلم على أنَّ المظاهرَ إذا لم يجد رقبةً أنَّ فرضه صيام شهرين متتابعين، وأجمعوا على أنَّ من وجد رقبةً فاضلةً عن حاجته فليس له الانتقال إلى الصيام" [٣].

٢. **التبني في الجاهلية**

"كان التبني من تقاليد العرب في الجاهلية، وكان يجري بشيء من المراسم حيث يعلن المتبني في ملأ من الناس تبني الطفل أو الصبي فيصبح في مقام ابنه من صلبه في كل الواجبات والحقوق فيرث كل منهما الآخر، ويحرم على كل منهما ما يحرم بين الأب والابن من أنكحة" [٤].

- **معنى التبني في اللغة:** مصدر تبنَّى يَتبنَّى، تبَنِّيًا، فهو متبنٍّ، وتبنَّى الطِّفلَ: اتّخذه ابنًا أو عامله كابنه [٥]، ويطلق عليه لفظ (أدعياء)[٦].
- **أما التبني اصطلاحاً:** "هو اتخاذ رجلٌ ما طفلاً أو صبياً غريباً ابناً له" [٧].
- **التبني في الاسلام وابطاله:**

أوجب الإسلام على المسلمين حفظ أنسابهم، فالولد ينسب إلى أبيه وأمه، وقد حرم نسبة الولد إلى غيرهم، وقد أوجب علينا حفظ نسب الأسرة، وحرم علينا خلط الأنساب، وأما مسألة التبني، ودعوة الأبناء إلى غير آبائهم، فقد كانت كذلك تنشأ من التخلخل في بناء الأسرة، وفي بناء المجتمع كله، ومع ما هو مشهور من الاعتزاز بالعفة والنسب في المجتمع العربي، فإنه كانت توجد إلى جانب هذا الاعتزاز ظواهر أخرى مناقضة في المجتمع، في غير البيوت المعدودة ذات النسب المشهور، حيث كان يوجد أبناء لا يعرف لهم آباء، وكان الرجل يعجبه أحد

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٨٢٤)

(٢) التفسير المنير، للزحيلي (٢٨/ ٢٣)

(٣) المغني، لابن قدامة (٨٥/١١)

(٤) التفسير الحديث، دروزة (٧/ ٣٥١)

(٥) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (١/ ٢٥٠)

(٦) انظر: التيسير في أحاديث التفسير، للناصري (١/ ٣٣٠)

(٧) التفسير الحديث، دروزة (٧/ ٣٥١)

هؤلاء فيتبناه، ويدعوه ابنه، ويلحقه بنسبه، فيتوارث وإياه توارث النسب، وكان هناك أبناء لهم آباء معروفون، ولكن كان الرجل يعجب بأحد هؤلاء فيأخذه لنفسه، ويتبناه ويلحقه بنسبه، فيعرف بين الناس باسم الرجل الذي تبناه، وكان هذا يقع بخاصة في السبي، فلما شرع الإسلام ينظم علاقات الأسرة على الأساس الطبيعي لها، أبطل عادة التبني ورد علاقة النسب إلى أصلها فقال تعالى: **«وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْواهِكُمْ»**.[1]

ثم ختم سبحانه الآية الكريمة بقوله: **(وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ)** أي أنّ الله تعالى يقول الحق الثابت الذي لا يحوم حوله باطل، وهو سبحانه دون غيره يهدى ويرشد إلى السبيل القويم والطرق المستقيم الذي يوصل إلى الخير والصلاح[2]، وهذه الفاصلة لها أثرها النفسي العظيم على وجدان المؤمن الذي يبحث دوماً عن كل ما يهديه ويوصله إلى مرضاة الله تعالى.

- **الحكمة في ابطال ظاهرة التبني:**

ولعل من الواجب معرفة حكمة ابطال التبني، ليتبين لنا حرص الشريعة الاسلامية على حفظ حقوق الانسان التي لا بد منها في نظام الحياة.

أولاً: حرمان الأب الحقيقي من أن يتصل به نسله المنسوب إليه في الواقع وفيما يعلم الله، وحرمانه من النصرة والمعونة التي أساسها اتحاد الشعور بالمسؤولية ورابطة البنوة الحق.

ثانياً: تضييع حقوق الورثة بمشاركة المدعيّ الدخيل عليهم في ميراثهم وهو لا يستحق ذلك، وبذلك تقع العداوة والبغضاء بينهم وبين مورثهم ودعيّه الذي تبناه.

ثالثاً: أن المتبني "الولد الزور" يدخل على زوجته المتبني وبناته باسم البنوة والاخوة، ويعاشرهن على أساس منهما، وهو أجنبي عنهن، وبذلك تضيع الانساب[3].

رابعاً: أن المتبني قد يقع في زواج المحارم خطأ فيزوج أخته مثلاً.

- **وجوب دعوة الأبناء إلى ءابآئهم:**

ثم أرشدهم سبحانه وتعالى إلى الطريقة السليمة في معاملة الابن المتبنى فقال: **(ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ)** أي: انسبوا أولئك الذين تبنيتموهم وألحقتم نسبهم بكم إلى آبائهم الحقيقيين، فذلك أعدل في حكم الله وشرعه، وأصوب من نسبة الابن لغير أبيه[4]، وفي هذا إشارة إشارة إلى ما كان عليه المجتمع الجاهلي من تخلخل في العلاقات الجنسية، ومن اضطراب في

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٨٢٥)

(٢) انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (١١/ ١٧٣)

(٣) انظر: المرجع السابق (١١/ ١٧٣)

(٤) انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (١١/ ١٧٣)

الأنساب، وقد عالج الإسلام كل ذلك بإقامة الأسرة الفاضلة، المبنية على الطهر والعفاف، ووضع الأمور في مواضعها السليمة[١].

ثم أعقب ذلك ببيان المخرج من هذه العادة في حالة عدم الاهتداء إلى معرفة الآباء الحقيقين بأن تكون العلاقة القائمة بين الأفراد قائمة على الاخوة في الدين، فقال تعالى: «**فإن لم تعلموا آباءهم**»: وهذا النص يصور لنا حقيقة الفوضى في المجتمع الجاهلي، هذه الفوضى التي عالجها الإسلام بإقامة نظام الأسرة على أساس الأبوة، وعلى أساس الأسرة السليمة، وبعد الاجتهاد في رد الأنساب إلى حقائقها فليس على المؤمنين من مؤاخذة في الحالات التي يعجزون عن الاهتداء فيها إلى النسب الصحيح: «**وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيما أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ**»، وهذه السماحة مردها إلى أن الله سبحانه وتعالى يتصف بالغفران والرحمة، فلا يعنت الناس بما لا يستطيعون: «**وَكانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً**»[٢].

٤. ولاية النبي ﷺ للمؤمنين

ذكر الله سبحانه وتعالى لرسوله مزيةً عظيمةً، وخصوصيةً جليلةً لا يشاركه فيها أحد من العباد فقال: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم في الأمور كلها، فإنه لا يأمرهم ولا يرضى منهم إلا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس، فهو أحق بهم، وأرأف، وأشفق في كل ما دعاهم إليه، إذ هو يدعو إلى النجاة وأنفسهم تدعوهم إلى الهلاك[٣]، وهذا يستدعي محبة النبي أكثر من محبة الإنسان نفسه، وأن يمتثل أوامره، والنبي كغيره من الأنبياء أو الرسل السابقين ملزم بتبليغ رسالة ربه على الوجه الأكمل، بمقتضى العهد والميثاق الإلهي عليهم، وذلك لينقسم الناس فريقين: فريق الصادقين المصدقين برسالات الأنبياء، وفريق المكذبين الجاحدين الذين يتنكرون لدعوات الأنبياء، ويثيب الله أهل الصدق والإيمان، ويعاقب أهل الكفر والضلال[٤].

ولقد علم الله تعالى شفقة رسوله ﷺ على أمته، وقربه منهم، وحرصه عليهم؛ فجعله أحرى وأجدر بهم من أنفسهم، وهذه الولاية عامة تشمل هدايتهم إلى منهاج حياة شامل يُسْعِدُ المؤمنين في الدنيا والآخرة، ولذلك؛ فإنه من الواجب على كل مسلم أن يقدم محبة الرسول ﷺ على أي محبة، حتى محبة الذات، ويظهر صدق ادّعاء المحبة عند تعارض محبة الله ورسوله ﷺ مع تلك المظاهر الدنيوية والعلاقات الاجتماعية، كمحبة النفس والهوى أو الأقارب أو المال...؛ فتكون التضحية بكل شيء في سبيل مرضاة الله تعالى ورسوله ﷺ.

---

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت، (ص:١٥٣)

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٨٢٦)

(٣) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٤/ ٢٢٥)

(٤) انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي (٣/ ٢٠٥٥)

وفي الصحيح: عن أنس، قال: قال النبي ﷺ **«لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»**[١].

وفي الصحيح أيضاً أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قال: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: **«لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك» فقال له عمر: فإنه الآن، والله، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر»** [٢].

فقوله تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ}: قيل في تفسيره أربعة أقوال:

أحدها: أنه أولى بهم من بعضهم البعض، فإذا دعاهم النبيُّ ﷺ إلى شيءٍ ودعتهم أنفسهم إلى شيءٍ كانت طاعة النبي ﷺ أولى [٣].

الثاني: أنه أولى بهم في الجهاد بين يديه، وبذل النفس دونه.

الثالث: أنه كان في الحرف الأول: هو أب لهم، وكان سبب نزولها أن النبي ﷺ لما أراد غزوة تبوك أمر الناس بالخروج فقال قوم منهم: نستأذن آباءنا وأمهاتنا فأنزل الله فيهم هذه الآية.

الرابع: وقيل هي خاصة بالقضاء، فهو أولى بهم في قضاء ديونهم وإسعافهم في نوائبهم[٤].

والقول الأول أولى؛ لأن النبي أَوْلى بالمسلم من نفسه [٥].

- **حرمة نكاح أزواج النبي ﷺ وأنهن أمهات المؤمنين**

شرّف الله تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهن أمهات المؤمنين، أي في وجوب تعظيمهن واحترامهن، وتحريم نكاحهن، وحجبهن رضي الله تعالى عنهن بخلاف الأمهات، وأزواج النبي، هنّ من حرماته، فهنّ أمهات لكل مؤمن، فلا يحل لأحد أن يتزوج بواحدة منهن، كما لا يحل له أن يتزوج بأمه [٦].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حب النبي ﷺ من الإيمان، ح (١٥)، (١/ ١٢)

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، بَابٌ كَيْفَ كَانَتْ يَمِينُ النَّبِيِّﷺ، ح(٦٦٣٢) (٨/ ١٢٩)

(٣) الوجيز، للواحدي (ص: ٨٥٨)

(٤) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٤٦)، النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٧٣)، تفسير البغوي (٦/ ٣١٨)، تفسير القرطبي (١٤/ ١٢٢)

(٥) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣٠١)، فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٤٦).

(٦) انظر: تفسير القرطبي (١٤/ ١٢٣)

وهذا الحكم يشير إلى خصوصية اكتسبتها أمهات المؤمنين؛ لارتباطهن بالرسول ﷺ؛ فكان ذاك التكريم الإلهي؛ ليتميزن به عن بقية نساء المؤمنين، وحُق لهن ذلك.

٥. أولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله

ثم بين الله تعالى بقوله: **(وأولوا الأرحام)** حكم الميراث، وبقوله: **(إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم)** حكم الوصية، ليبين الفرق بين ولاية النبي ﷺ للمؤمنين، وولاية المؤمنين لأقاربهم، ولما هاجر المسلمون الاوائل من مكة إلى المدينة، وتركوا أهلهم وأموالهم وديارهم، فكان الانصاري يعرض على أخيه المهاجر أنْ يُطلِّق له إحدى زوجاته ليتزوجها، وهذا لون من الإيثار الذي لم يشهده تاريخ البشرية كلها، وحين آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار هذه المؤاخاة اقتضت أنْ يرث المهاجر أخاه الأنصاري، فلما أعزَّ الله الإسلام، ووجد المهاجرون سبيلاً للعيش أراد الحق سبحانه أنْ تعود الأمور إلى مجراها الطبيعي، فلم تَعُدْ هناك ضرورة لأنْ يرث المهاجر أخاه الأنصاري، فقررت الآيات أن أُولى الأرحام بعضهم أولى ببعض في الميراث، فقال سبحانه: **{وَأُوْلُو الأرحام بَعْضُهُمْ أولى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ الله مِنَ المؤمنين والمهاجرين. .}** [الأحزاب: ٦][(١)].

وهذا الاستثناء إما متصل، والتقدير: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كل شيء من الإرث والصدقة والهدية وغير ذلك، إلا في الوصية؛ فإنها المرادة بالمعروف، فالأجنبي أحق بها من القريب الوارث، فإنها لا تصح لوارث، ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً؛ فيكون المعنى: لكن فعل المعروف للأولياء، وهو أن توصوا لمن أحببتم فجائز؛ أي: أن الله سبحانه لما نسخ التوارث بالحلف والهجرة أباح أن يوصى لهم[(٢)].

٦- بعض الأحكام الفقهية:

هل أمهات المؤمنين هن أمهات للرجال والنساء، أم أمهات الرجال فقط؟

"الراجح أنهن أمهات للرجال والنساء، وذلك تعظيماً لحقهن على الرجال والنساء، وكما شملت أولوية النبي ﷺ الرجال والنساء بقوله تعالى: **{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ}** فكذلك قوله سبحانه: **{وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ}**" [(٣)].

واختلف العلماء في كونهن كالأمهات في المحرم وإباحة النظر، على وجهين:

الأول: أنهن كالمحارم، لا يحرم النظر إليهن.

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي (١٩/ ١١٩٤٠)، التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٤٧)

(٢) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣٠٢)

(٣) تفسير القرطبي (١٤/ ١٢٣)

الثاني: أن النظر إليهن محرم، لأن تحريم نكاحهن؛ إنما هو لحفظ حق الرسول ﷺ فيهن، ومن حفظ حقه فيهن حرمة النظر إليهن، ولأن عائشة رضي الله عنها كانت إذا أرادت دخول رجل عليها أمرت أختها أسماء أن ترضعه ليصير ابناً لأختها من الرضاعة، فيصير محرماً[١].

وأما اللاتي طلقهن رسول الله ﷺ في حياته، فقد اختلف العلماء في ثبوت هذه الحرمة لهن على ثلاثة أوجه؟

الأول: ثبتت لهن هذه الحرمة تغليباً لحرمة رسول الله ﷺ.

الثاني: لا يثبت لهن ذلك، بل هن كسائر النساء، لأن النبي ﷺ قد أثبت عصمتهن.

الثالث: أن من دخل بها رسول الله ﷺ منهن ثبتت حرمتها وحرم نكاحها وإن طلقها حفظاً لحرمته وحراسة لخلوته، ومن لم يدخل بها لم تثبت لها هذه الحرمة [٢].

ولقد روى المفسرون في تفسير قوله تعالى: **(النبي أولى بالمؤمنين ..)** أن الفقرة الأولى نزلت في جماعة ندبهم النبي ﷺ إلى الجهاد فقالوا نذهب فنستأذن آباءنا وأمهاتنا، وأن الفقرة الثانية نزلت في صدد تحريم نكاح زوجات النبي على المؤمنين، وأن الفقرة الثالثة في صدد نسخ ما كان يجري من التوارث بين المهاجرين والأنصار الذين آخى النبي ﷺ بينهم حين قدومه إلى المدينة أو لما كان يجري من التوارث بطريق الولاء والتبني والمؤاخاة وحصره بين ذوي الأرحام، ولم يرد شيء من هذه الروايات في الصحاح ويبدو غريباً أن تشتمل آية واحدة على فقرات، كل منها في صدد موضوع لا صلة له بالآخر، والذي يتبادر لنا أن الآية متصلة بالآيات السابقة، وأنها جاءت معقبة عليها من جهة ومشرعة من جهة، ومستدركة من جهة، ومقررة لموضوع التوارث في نصابه الحق من جهة [٣].

سابعاً: الهدايات المستنبطة من المقطع:

١. "الاسلام منهج واحد، وطريق واحد، ووحي واحد، واتجاه واحد، وهو استسلام لله وحده، فالقلب الواحد لا يعبد إلهين، ولا يخدم سيدين، ولا ينهج نهجين، ولا يتجه اتجاهين، وما يفعل شيئاً من هذا إلا أن يتمزق ويتفرق ويتحول إلى أشلاء وركام" [٤].

٢. أعلمَ الله عز وجل أنه لا أحد بقلبين، وإنما هو قلب واحد، فإما فيه إيمان وإما فيه كفر، ولا يجتمع في القلب الكفر والإيمان، والهدى والضلال، والإنابة والإصرار [١].

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٤٦)

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٤/ ١٢٥)، النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٧٤)

(٣) التفسير الحديث، دروزة (٧/ ٣٥٤)

(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٨٢٤)

٣. "استحالة أن يولد إنسان وفي جوفه قلبان، وذلك مما يؤكده العلم الحديث، حيث إنه حتى في حدوث تشوهات جسدية في إنسان، فإنه يستحيل وجود قلبين فيه، وذلك لدقة تشابك الأوعية الدموية ومسارات الدم بينهما" [٢].

٤. لا يجتمع في كيان إنسان حب الله تعالى وحب أعدائه وطاعة الله وطاعة أعدائه، فذلك من شأنه أن يفسد الأمرين معاً [٣].

٥. إبطال التحريم بالظهار الذي كان في الجاهلية، وهو قول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، فتصبح محرمة على التأبيد، أما في الإسلام فالحرمة مؤقتة تنتهي بالكفارة [٤].

٦. رفع الاسلام الظلم عن المرأة بتحريم الظهار، ورتب عليه أحكاماً قاسية في الإسلام كي يبتعد عنه المسلم، لأن فيه ظلماً للمرأة، وبذلك يكون الاسلام أول من دافع عنها [٥].

٧. حرص شريعة الإسلام على إعطاء كل ذي حق حقه، ومن مظاهر ذلك إبطال التبني ، لأنه يخلط بين الانساب، وفيه قلب الحقائق، وهو يؤدي لمفاسد كثيرة أخرى فهذه السورة أساس في أمور تنظيم الاسرة [٦].

٨. حرم الإسلام التبني، لأن البنوة نسب أصيل عريق، والدعوة إلصاق عارض بالتسمية لا غير، ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلاً غير أصيل [٧].

٩. وجوب دعوة الابناء إلى ءابآئهم، فإن لم يعرف للمدعى أب دعي بعنوان الأخوة الإسلامية، أو العمومة أو المولوية [٨].

١٠. وكما حرم التبني، حرم انتساب الشخص إلى غير أبيه، وهو يعلم أنه غير أبيه، بل هو من الكبائر إذا كان على النحو الجاهلي، فقد كان الرجل منهم ينتسب إلى غير أبيه وعشيرته [٩].

١١. لا عبرة للتقاليد والعادات المنشرة بين الناس اذا ما خالفت الحقيقة أو الشرعية [١].

---

(١) انظر: التفسير المنير للزحيلي (٢١/ ٢٤٠).

(٢) تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، د. زغلول النجار (٣-٨١)

(٣) انظر: التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٤٧-٦٤٨)

(٤) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٤٠)،

(٥) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مسلم (٤٦/٦)

(٦) انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (١١/ ١٧٤)، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن(٧٧/٦)

(٧) انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٤٣)

(٨) انظر: المرجع السابق (٤/ ٢٤٣)

(٩) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٤١)

١٢. ينبغي أن يكون قول الإنسان إما عن حقيقة يقرها العقل السليم أو عن شرع ثابت، ليس من الرجولة ولا من العقل أن يقول الإنسان قولاً بفيه وهو لا يعتقده[٢].

١٣. الكلمة إذا لم تكن عن وعى وإدراك، ولم تقم على منطق وحجة كانت لغواً، وهذراً، لا وزن لها[٣].

١٤. أن قول الله عز وجل كله حق ليس فيه باطل لقوله: **(وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ)**.

١٥. رفع الحرج والإثم في الخطأ عموماً وفيما نزلت فيه الآية الكريمة خصوصاً وهو دعاء الدعي باسم مدعيه سبق لسان بدون قصد، أو بقصد لأنه يرى أنه ابنه وهو ليس ابنه[٤].

١٦. "من صفات الله تعالى المغفرة والرحمة، فالله تعالى لا يؤاخذ الإنسان على الخطأ ولكن يؤاخذه على تعمد الخطأ"[٥].

١٧. "النبي ﷺ أرأف وأعطف وأشفق على المؤمنين من أنفسهم، لأن أنفسهم تدعوهم إلى الهلاك، وهو يدعوهم إلى النجاة"[٦].

١٨. وجوب تقديم ما يريده الرسول من المؤمن على ما يريده المؤمن لنفسه[٧]، وبذلك فعليه أن يطيع النبي طاعة لا تردد فيها.

١٩. لذوي الأرحام حق عظيم على الانسان، إذ جعل الله تعالى لهم الأولوية على غيرهم، ومن هنا مدح الاسلام الذين يصلون أرحامهم ويتقون الله فيهم، قال الله تعالى **(واتقوا الله الذي تساءلون والارحام)**(النساء:١)[٨].

٢٠. حرمة نكاح أزواج النبي ﷺ وأنهن أمهات المؤمنين وهو ﷺ كالأب لهم[٩].

٢١. بطلان التوارث بالمؤاخاة والهجرة والتحالف الذي كان في صدر الإسلام[١٠].

٢٢. جواز الوصية لغير الوارث بالثلث فأقل[١١].

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مسلم (٤٦/٦)

(٢) انظر: التفسير المنير للزحيلي (٢١/ ٢٤٢)

(٣) انظر: التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٤٩)

(٤) انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٤٣)، تفسير المراغي (٢١/ ١٢٩)

(٥) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن(٧٧/٦)

(٦) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٥١)

(٧) انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٤٦)، التفسير الحديث (٧/ ٣٥٤)

(٨) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من العلماء(٨٠/٦)

(٩) انظر: التفسير الحديث، دروزة (٧/ ٣٥٤)

(١٠) انظر: المرجع السابق (٧/ ٣٥٤)

(١١) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٥٣)

المقطع الثالث

أخذ الميثاق من النبيين وسؤال الصادقين

قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٧) لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا} [الأحزاب: ٧- ٨]

أولاً: المناسبة:

"بعد أَن بين الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة بعض ما أبلغه رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لأُمته من الأَحكام الناسخة لما كانوا عليه قبلها، جاءَ بهذه الآية لبيان أن تبليغ أحكام الله وشرائعه أمر مفروض على النبيين جميعًا، وقد أخذ عليهم العهود والمواثيق بتبليغها، سواءُ أَكانت ناسخة لما قبلها، أَم مؤكدة لها، أم جديدة لم يسبق مثلها" [١]، وأشار سبحانه وتعالى إلى ميثاقه مع النبيين عامة، والنبي ﷺ وأولي العزم من الرسل خاصة، في حمل أمانة هذا المنهج، والاستقامة عليه، وتبليغه للناس، وذلك حتى يكون الناس مسؤولين عن هداهم وضلالهم وإيمانهم وكفرهم، بعد انقطاع الحجة بتبليغ الرسل عليهم صلوات الله وسلامه[٢].

ثانياً: التحليل اللغوي:

١. **(مِيثاقَهُمْ)**: الميثاق: "هو العهد الموثق المؤكد، مأخوذ من لفظ وثق، المتضمن معنى الشد والربط على الشيء بقوة وإحكام"[٣]، وميثاق النبيين بالتبليغ وبتصديق بعضهم بعضاً، وبجميع ما تتضمنه النبوءة[٤].

٢. **(مِيثَاقًا غَلِيظًا)**: عهداً عظيماً أن يصدّق بعضهم بعضاً، وأن يتبع بعضهم بعضاً [٥]، وقيل هو: "اليمين بالله على الوفاء بما حملوا" [٦].

---

(١) التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية (٨/ ١٥٠)

(٢) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٢٨٢٩)

(٣) انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (١١/ ١٧٨)

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٥٩)

(٥) انظر: جامع البيان، للطبري (٢٠/ ٢١٣).

(٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥٢٥)

ثالثاً: البلاغـة:

١. **(وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُّوحٍ و...)**: "عطف الخاص على العام؛ للتشريف والتنويه بشأنهم، بالرغم من دخول محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام في جملة النبيين" [١].

٢. **(مِيثَاقًا غَلِيظًا)**: استعارة مكنية، شبّه الميثاق بجرم محسوس، واستعار له شيئاً من صفات الأجرام وهو الغلظ للتنويه بعظم الميثاق، وذلك لبيان حرمة الميثاق وخطورته[٢]، "وكُرِّر أخذ الميثاق إيذاناً بتوكيده"[٣]، "ووصفه بكونه غليظًا تعظيمًا لشأْنه"[٤].

٣. **(لِّيَسْأَلَ الصادقين)**: "التفات من التكلم للغيبة لتبكيت المشركين وتقبيح فعلهم" [٥].

رابعاً: المعنى الاجمالي:

١. الميثاق الذي أخذه الله على أنبيائه

يقول تعالى مخبراً عن أولي العزم الخمسة، وبقية الأنبياء: أنه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله، وإبلاغ رسالته، والميثاق الذي أخذه الله على النبيين، وهو ما أشار إليه سبحانه وتعالى في قوله: **(وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قالَ ءأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِي قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ)** (آل عمران: ٨١) [٦]، فقد أخذ الله ميثاق الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضاً، ويأمر بعضهم بالإيمان بعضاً [٧]، وقيل: بانه أخذ عليهم الميثاق في إقامة دين الله، وإبلاغ رسالته، والتعاون والتناصر والاتفاق [٨].

ولقد أرسل الله تعالى أنبياءه برسالة التوحيد والعبودية لله وحده، وهذا ما جاء على لسان كل رسول من الرسل عليهم السلام، قال تعالى: **(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ**

---

(١) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٤٣)

(٢) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥٢٥)

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (٩/ ٩٦)

(٤) التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية (٨/ ١٥٠)

(٥) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٤٩)

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٨٢).

(٧) انظر: تفسير القرطبي (١٢٤/٤)

(٨) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤٦٩/٣)

فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)(النحل:٣٦)، وهذه الرسالة التي كلف الله بها رسله، هي مضمون الميثاق الذي أخذه الله تعالى من النبيين؛ ليقوموا بتبليغه للناس.

وقوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ} فيه ثلاثة أوجه: أحدها: ميثاقهم على قومهم أن يؤمنوا بهم، **الثاني:** ميثاق الأمم على الأنبياء أن يبلغوا الرسالة إليهم، **الثالث:** ميثاق الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضاً [١].

وقد خصّ الله تعالى هؤلاء الخمسة بالذكر؟ تشريفاً لهم وتفضيلاً، إذ هؤلاء الخمسة صلى الله عليهم هم أصحاب الشرائع والكتب وأولو العزم من الرسل [٢]، وهم الذين تحملوا في سبيل إعلاء كلمة الله، فقد واجهوا من الشدائد والمحن في دعوة أقوامهم أكثر من بقية الأنبياء، فموسى وعيسى عليهما السلام كان لهما في زمان نبينا قوم وأمة، فاليهودية والمسيحية ديانتان معاصرتان لدعوة رسول الله، حيث كان اليهود في المدينة، والنصارى في نجران، وهما أهل الكتاب الذين كان بينهم وبين رسول الله مواقف شتى، وكانت لهم في الجزيرة العربية السيادة العلمية والاقتصادية والعمرانية، وكأنهم هم أصحاب هذه البلاد، وإبراهيم كان العرب يقولون بفضله وكانوا يتبعونه في الشعائر كالذبح والسعي وغيرهما، وتُقدِّر علاقته بالكعبة ورَفْع قواعدها، ونوحاً لأنه كان أباً ثانياً للبشر حيث وجد الخلق منه بعد الطوفان [٣].

وقدم نبينا محمَّد ﷺ على سائر أولى العزم؛ تكريمًا له وتعظيمًا لشأْنه، لعموم نبوته وبقائها إلى قيام الساعة، فهو سيد ولد آدم، ولكونه أيضاً المخاطب من بينهم، وهو المنزل عليه هذا القرآن، فكان تقديمه لذلك، ثم لما قدم ذكره عليه الصلاة والسلام رتب بعده باقي الأنبياء حسب ترتيبهم في الوجود [٤].

- **وقد أخذ ميثاقه قبل ذلك على بني آدم:** فقال تعالى: **(وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)** (الحديد:٨)، قال مجاهد: هو الميثاق الأول الذي كان وهم في ظهر آدم بأن الله ربكم لا إله لكم سواه [٥].
- **وقد أخذ الله ميثاقه أيضاً على بني اسرائيل:** قال تعالى: **(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ)** (البقرة:٨٣)، والميثاق الذي أخذه عليهم هو العمل بما في التوراة [٦]، وقال تعالى: **(وَلَقَدْ أَخَذَ**

---

(١) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٧٧)

(٢) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣٠٤)، تفسير البغوي (٣/ ٦١٠)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي (٨/ ١٠).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٥٩)

(٤) انظر: التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٥٦)

(٥) انظر: جامع البيان، للطبري (٢١٨/٢٧)، تفسير القرطبي (٢٣٨/١٧)

(٦) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٥٨٢/١)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١٢٠/١)

اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً) (المائدة:١٢)، فالميثاق هنا هو ما أخذ على بني إسرائيل من وجوب طاعة الله والعمل بما في التوراة [١]، وقال تعالى: **(فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ)** (المائدة:١٣)، "فبسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم لعناهم"[٢].

هل الميثاق هو العهد؟ العهد أعمّ من الميثاق، فالعهد يأتي لمعان غير معنى الميثاق، فمن ذلك مثلاً، الوصية والأمر، يقال عهد إليّ بكذا أوصاني، ومنه قوله تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ)** (آل عمران: ١٨٣)، عهد إلينا: "أمرنا في التوراة وأوصانا"[٣]، ومنه قوله تعالى: **(وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)**(البقرة: ١٢٥)، فعهدنا هنا بمعنى "أوصينا وأمرنا"[٤]، ويأتي العهد بمعنى الزمان، ومنه قوله تعالى: **(أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ)** (طه: ٨٦)، قال الزمخشري: "العهد الزمان، يريد مدة مفارقته لهم"[٥].

ثم أكد الله تعالى ذلك الميثاق بعينه، فوصفه بالشدة والغلظ مبالغة في حرمته وعظمته وثقل تبعته فقال: **(وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً)** أي: عهداً شديداً على الوفاء بما حملوا، وما أخذه الله عليهم، ويجوز أن يكون قد أخذ الله عليهم الميثاق مرتين، فأخذ عليهم في المرة الأولى مجرد الميثاق بدون تغليظ، ولا تشديد، ثم أخذه عليهم ثانياً مغلظاً مشدداً [٦].

وقوله: {وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثاقاً غَلِيظاً} فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الميثاق الغليظ تبليغ الرسالة.

الثاني: يصدق بعضهم بعضاً.

الثالث: أن يعلنوا أن محمداً رسول الله، ويعلن محمد أنه لا نبي بعده [٧].

٢. سؤال الصادقين عن صدقهم

قوله تعالى: {لِّيَسْأَلَ الصَادِقِينَ عَنَ صِدْقِهِمْ} فيه أربعة أوجه:

أحدها: ليسأل الأنبياء عن تبليغهم الرسالة إلى قومهم، وفي هذا تنبيه أي إذا كان الأنبياء يسألون، فكيف من سواهم؟

الثاني: ليسأل الأنبياء عما أجابهم به قومهم.

---

(١) انظر: زاد المسير، لابن القيم (٣١٠/٢)

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣٣/٢)

(٣) ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العزيز، لأبي السعود (٦١٤/١)

(٤) النكت والعيون، للماوردي (١٥٦/١)

(٥) الكشاف، للزمخشري (٥٤٩/٢)

(٦) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣٠٤)، التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٤٤)

(٧) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٧٧)

الثالث: ليسأل الأنبياء عن الوفاء بالميثاق الذي أخذه عليهم.

الرابع: ليسأل الأفواه الصادقة عن القلوب المخلصة[١].

والمراد بالصادقين: الأنبياء الذين أخذ الله عليهم الميثاق، وعُبّر عن النبيين بالصادقين لملازمتهم للصدق، وعما بلَّغُوه بالصدق؛ لأَنه من عند الله [٢].

والحكمة من هذا السؤال تشريف هؤلاء الرسل وتكريمهم، وشهادة لهم بأنهم أدَّوْا ما عليهم، وهو كذلك تبكيت لمن كذَّب بهم [٣].

وقوله تعالى: «**وَأَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذاباً أَلِيماً**» تهديد ووعيد لأهل الكتاب الذين نقضوا الميثاق الذي أخذه الله على نبيهم بأن يصدق بالنبي وينصره[٤].

سابعاً: الهدايات المستنبطة من المقطع:

١. أن الله سبحانه وتعالى قد أخذ من الأنبياء جميعاً ميثاقاً قوياً مؤكداً على حمل رسالته وتبليغها للناس [٥].
٢. بيان منزلة أولي العزم من الرسل.
٣. إذا كان الله سيسأل الصادقين عن صدقهم في تبليغ دعوته، فكيف بسؤال من هم دونهم[٦].

---

(١) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٧٨)، التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٥٤)

(٢) انظر: التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية (٨/ ١٤٩)

(٣) انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (١١/ ١٧٩)

(٤) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٥٦)

(٥) انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٤٦)

(٦) انظر: التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٥٦)

المقطع الرابع

غـزوة الأحـزاب

التذكير بنعمة الله وابتلاء المؤمنين

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا} [الأحزاب: ٩ – ١١]

أولاً: سبب النزول:

عن قتادة في قوله: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا)** قال: نزلت هذه الآية يوم الأحزاب[١].

ثانياً: المناسبة:

لمّا أمر الله سبحانه وتعالى عباده بتقواه بحيث لا يبقى في نفس المؤمن خوف من أحد، ذكر مثالاً واقعياً من وقعة الأحزاب، حيث تجتمع المشركون بأسرهم واليهود بأجمعهم حول المدينة بقصد القضاء على النبي وصحبه، فأنعم الله على عباده المؤمنين، إذ صرف عنهم أعداءَهم، وهزمهم حين تألبوا عليهم، فينبغي أن لا يخاف العبد غير ربه، فإنه قادر على كل شيء[٢].

ثالثاً: التحليل اللغوي:

١. **(إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ)**: يعني الأحزاب ومن معهم، وهم قريش وغطفان ويهود بني قريظة وبني النضير، وكان عددهم اثني عشر ألفاً[٣].

٢. **(فَأَرْسَلْنَا عَلَيهِمْ رِيحاً)**: والريح المذكورة هنا هي ريح الصبا وكانت باردة وقلعت الأوتاد والأطناب وسفت التراب في عيونهم وماجت الخيل بعضها في بعض، وهلك كثير من خيلهم

---

(١) انظر: الاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عيد الهلالي (و) محمد بن موسى آل نصر (٣/ ٨٧)، وقد أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٠/ ٢١٦)، والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٦/ ٥٧٦)، وأيضاً: زاد المسير، لابن القيم (٦/٣٥٦–٣٥٧)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/٤٧٠).

(٢) انظر: التفسير المنير للزحيلي (٢١/ ٦٦٢)

(٣) انظر: جامع البيان، للطبري (٢٠/ ٢١٤)

وإبلهم وشائهم، وفيها قال النبي ﷺ: **(نُصِرْتُ بِالصّبَا**[1] **وأُهْلِكَت عَادٌ بِالدَّبُورِ)**[2]، وضد ريح الصبا الدبور، وهي التي أُهلكت بها قوم عاد، وهي أشد من ريح الصَبا[3]، وكان من دعائه أيضاً: **(اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَورَتَنَا وَآمِن رَوْعَتَنَا)**.[4]

٣. **(وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا)**: المراد بهم: الملائكة وكانوا ألفاً[5].

وجاء فيها أقوال منها:

الأول: تفريق كلمة المشركين وإقعاد بعضهم عن بعض، **الثاني:** إيقاع الرعب في قلوبهم، **الثالث:** تقوية نفوس المسلمين من غير أن يقاتلوا معهم وأنها كانت نصرتهم بالزجر حتى جاوزت بهم مسيرة ثلاثة أيام، فقال طلحة بن خويلد: "إن محمداً قد بدأكم بالسحر فالنجاة النجاة[6].

٤. **(مِّن فَوْقِكُمْ)**: من أعلى الوادي من جهة المشرق، وهم بنو غطفان وبنو قريظة[7].

٥. **(وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ)**: من أسفل الوادي من جهة المغرب، وهم قريش وباقي حلفائها[8]، "وهذا يعنى أنهم قد أطبقوا على المسلمين من كل جهة، فتمكنوا منهم"[9].

٦. **(وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ)**: مالت، وقيل: شخصت وذلك من شدة الرعب[10].

٧. **(وَبَلَغَتِ الْقُلُوبِ الْحَنَاجِرَ)**: زالت عن أماكنها من الرعب[11]، فالكلام على التمثيل أو الكناية لا على الحقيقة؛ لأن القلوب لا تفارق أماكنها من الصدور، ولكنها تضطرب رعبًا، والحناجر: جمع حنجرة، وهي منتهى الحلقوم حيث مخرج الصوت ومدخل الطعام والشراب[12].

٨. **(وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا)**: وفي معناها وجهان:

---

(١) ريحُ الصَّبا: ريح لطيفة تأتي من المشرق، وقد عرفها العرب هذه الريح بأنها التي تحن إلى الكعبة وتصبو إليها، وريح الصِّبَا تسمى الْقبُول لِأَنَّهَا تقَابل الدبور، أَو لِأَنَّهَا تسْتَقْبل بَاب الْكَعْبَة. انظر: الكليات، أبو البقاء الحنفي (ص: ٧٣٣)، معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (٢/ ٩٥٧)

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، بَابُ: في ريح الصبا والدبور، ح(٢١٢٤)(٣/٢٧).

(٣) فتح الباري، لابن حجر (٢/ ٥٢١).

(٤) مسند أحمد، مُسْنَدُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، مُسْنَدُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (١٧/ ٢٧)

(٥) انظر: جامع البيان، للطبري (٢٠/ ٢١٦)

(٦) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٦٠)، النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٧٩)

(٧) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٥٥)

(٨) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥٢٦)

(٩) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٦٢)

(١٠) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣٠٥)

(١١) انظر: جامع البيان، للطبري (٢٠/ ٢١٨)، النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٧٩)

(١٢) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٥١)

الأول: أنهم يظنون فيما وُعدوا به من نصر.

الثاني: أنه اختلاف ظنونهم فظن المنافقون أن محمداً ﷺ وأصحابه يُستأصلون وأيقن المؤمنون أن ما وعدهم الله ورسوله حق وأنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون [١].

٩. **(هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ):** بمعنى اختبر وامتحن[٢]، "والابتلاء: أصله الاختبار، ويطلق كناية عن إصابة الشدة لأن اختبار حال الثبات والصبر لازم لها، وسمى الله ما أصاب المؤمنين ابتلاء إشارة إلى أنه لم يزعزع إيمانهم" [٣].

واما نوع الابتلاء ففيه ثلاثة أوجه:

أحدهما: بالحصار، **الثاني:** بالجوع فقد أصابهم بالخندق جوع شديد، **الثالث:** امتحنوا في الصبر على إيمانهم وتميز المؤمنون عن المنافقين [٤].

١٠. **(وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا):** اضطربوا من الفزع اضطرابًا عنيفًا[٥]، وقيل: حركوا بالخوف تحريكاً شديداً [٦].

رابعاً: البلاغـة:

١. **(مِن فَوْقِكُمْ ومِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ):** "بينهما طباق" [٧].

٢. **(وَإِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ):** "تصوير للحال التي استولت على المسلمين من هذا الخطر الزاحف عليهم، وزيغان الأبصار، وفيه كناية عن الكرب الذي دخل على المسلمين، حتى اضطرب لذلك تفكيرهم" [٨].

٣. **(وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ):** مبالغة في التمثيل، حيث صور القلوب في خفقانها واضطرابها، كأنها وصلت إلى الحلقوم [٩]، وفيه أيضاً كناية عن الكرب، وذلك لأن القلب عند الغضب يندفع وعند الخوف يجتمع فيتقلص فيلتصق بالحنجرة، وقد يفضي إلى أن يسد مجرى النفس

---

(١) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٨٠)

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٧٣)

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٨٣)

(٤) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٨٠)

(٥) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٥١)

(٦) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٥٦)

(٧) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٥٧)

(٨) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٦٢)

(٩) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٥٨)

فلا يقدر المرء أن يتنفس ويموت من الخوف، ومثله قوله تعالى: **(فلولا إذا بلغت الحلقوم)**(الواقعة:٨٣). [١]

٤. **(وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا)**: جاءت بصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية، وللدلالة على الاستمرار [٢]، وجمع كلمة (الظنونا) للدلالة على أنها ظنون كثيرة مختلفة[٣].

٥. **(هُنَالِكَ)**: ظرف مكان يقال للمكان البعيد والمتوسط، وهنالك، أي في ذلك المكان وهو الخندق، وقد يكون ظرف زمان، أي عند ذلك الوقت ابتلوا [٤]، "والأظهر أن تكون الإشارة إلى الزمان" [٥].

خامساً: القراءات:

- **(وكان الله بما يعملون بصيراً)**: قرأها أبو عمرو بياء الغيبة.
- **(وكان الله بما تعملون بصيراً)**: وقرأها الباقون بتاء الخطاب. [٦]

توجيه القراءات:

يكون المعنى في القراءة الأولى: أنّ الله كان بما يعمله الكفار من العناد لله ولرسوله، والتحزب على المسلمين واجتماعهم عليهم من كل جهة بصيراً [٧]، وأما قراءة الباقين فيكون المعنى أنّ الله كان بما تعملون أيها المسلمون من ترتيب الحرب، وحفر الخندق، واستنصاركم به، وتوكلكم عليه بصيراً [٨].

سادساً: المعنى الاجمالي:

١. أحداث ووقائع غزوة الأحزاب

لقد سجل القرآن الكريم هذه الغزوة المباركة تسجيلاً بديعاً، وصوَّر مشاهدها تصويراً معجزاً، فيشخص قلق المسلمين ويبدلهم بذلك أمناً، ويمدهم لقاء ما بذلوه من أخذٍ بالأسباب أسباباً ما كانوا ليبلغوها إلا بفضل الله، ويفضح باطل أهل النفاق ويهتك سترهم، ويعيد تصحيح مفاهيم القوة

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٦٠)

(٢) انظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري (٢٢/ ٤٥٩)

(٣) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٨٢)

(٤) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٥٦)

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٨٢)

(٦) انظر: النشر، لابن الجزري (٢/٢٦٠)، الحجة للفارسي (٣/٢٨٠)

(٧) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣٠٥)

(٨) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٧٩)

ومقومات النصر، ويقطع الصلة بين أهل الإيمان وأهل الكفر فلا موالاة بين مسلم وكافر، ولا صمت على غدر غادر.

"وهذا المقطع من سورة الأحزاب يتولى تشريح حدث من الأحداث الضخمة في تاريخ الدعوة الإسلامية، وفي تاريخ الجماعة المسلمة ويصف موقفاً من مواقف الامتحان العسيرة، وهو غزوة الأحزاب، ومن تدبر هذا النص القرآني، وطريقة عرضه للحادث، وأسلوبه في الوصف والتعقيب ووقوفه أمام بعض المشاهد والحوادث يدرك كيف كان الله يربي هذه الأمة بالأحداث والقرآن في آن"[١]

ولكي ندرك طريقة القرآن الخاصة في العرض والتوجيه، فإننا قبل البدء في شرح النص القرآني، نأت على خلاصة ومجمل ما ذكرته كتب التفسير والسير في عرضها للحادثة مع الاختصار المناسب[٢].

٢. سبب المعركة

أن نفراً من أشراف يهود بني النضير، الذين كانوا قد أجلاهم رسول الله ﷺ من المدينة إلى خيبر، وذلك أَن النبي ﷺ وبعض أصحابه كانوا في ديار بني النضير، فائتمروا على قتله، بأن يأْخذ أحدهم صخرة فيلقيها على النبي ﷺ، فأَطلع الله نبيه على ذلك، فرجع مع أصحابه، وبعث إليهم أن اخرجوا من بلادي فقد هممتم بقتلي، فتحصنوا بحصونهم، فحاصرهم النبي ست ليال، فسأَلوا أن يكف عن قتالهم، على أن يخرجوا من ديارهم ومعهم ما حملت الإبل غير آلة الحرب، فأَجابهم النبي إلى ما طلبوا، فذهب فريق منهم إلى خيبر وعلى رأْسهم حيي بن أخطب، ولكن لم يقر لهم قرار، فعزموا على الأَخذ بالثأْر ليستردوا بلادهم، فذهب جمع منهم برئاسة حييّ بن أخطب إلى قريش لتحريضهم على قتال النبي ﷺ، ثم حرضوا غطفان فاستجابوا لهم، فخرجت قريش مع أنصارها وبنو غطفان، فعلم النبي ﷺ بخروجهم برئاسة أبي سفيان[٣].

٣. الاستعداد للمعركة:

فلما علم النبي ﷺ بخروجهم استشار أصحابه: أيمكث بالمدينة أم يخرج لقتالهم خارجها؟ فأَشار عليهم سلمان الفارسي بحفر خندق حول المدينة، فقبل النبي ﷺ فكرة سلمان، وأعطى لكل عشرة أربعين ذراعًا ليحفروها، وقاسى المسلمون الشدائد في حفر الخندق، حيث لم يسبق لهم حفر الخنادق في حروبهم، ومكثوا في حفره ستة أيام، وقيل: خمسة عشر، وقيل: أربعةً وعشرين، وقيل: شهرًا، وعمل معهم النبي ﷺ فكان ينقل التراب متمثلاً بشعر عبد الله بن رواحة:

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٢٨٣٢)

(٢) انظر: المرجع السابق (٥/ ٢٨٣٢)

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٨٤)

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأَنزلَـــــن سكينة علينا ... وثبت الأَقدام إن لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنـــة أَبينـا

ثم خرج ﷺ بثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب بعسكره في الجهة الشرقية، وكان الخندق فاصلاً بين الرسول وبين أعدائه[١].

٤. **فرار المنافقين من المعركة**

وقد اشتد الخوف عند المسلمين، وتجلى نفاق المنافقين في هذه الغزوة، فانسحبوا من المعركة معتذرين بأَن بيوتهم عورة **{وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا}** وكانوا يقولون: **{مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا}**[٢].

٥. **نقض يهود بني قريظة للعهد**

وفي أَثناءِ هذا الخطر الداهم، نقضت قريظة عهدها مع النبي ﷺ، فأَصبح المسلمون بين نار من فوقهم ونار من أَسفل منهم، وقد هرب المنافقون بأَعذارهم المكذوبة، فزاغت الأَبصار وبلغت القلوب الحناجر من الخوف، ومضى قرابة شهر دون حرب بين الفريقين سوى الرمي بالنبل والحجارة من وراءِ الخندق، إلا أَن فوارس من قريش منهم عمرو بن عَبْدِ وُدّ – وكان يعد بأَلف فارس – وعكرمة بن أبي جهل وضرار بن الخطاب، وهبيرة بن أبي وهب، ونوفل بن عبد الله، اقتحموا الخندق بخيولهم من مكان ضيق، فجالت خيولهم في بين الخندق وسلع، فخرج لهم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين، وأَخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها، وقتل عليٌّ عَمْرَو بنَ عَبْدِ وُدّ في قصة مشهورة[٣].

٦. **دور نعيم في تخذيل الأحزاب**

وقد هيأ الله للمسلمين بعد ذلك أسباب النصر، فقد جاءَ نعيم بن مسعود الأَشجعي من غطفان – وهو صديق قريش واليهود – فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت وقومي لا يعلمون، فمرني بأَمرك حتى أُساعدك، فقال ﷺ: أنت رجل واحد، وماذا عسى أن تفعل، ولكن خَذِّلْ عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة، فتوجه إلى بني قريظة الذين نقضوا عهدهم مع النبي ﷺ وقال لهم: أنتم تعرفون ودي لكم وخوفي عليكم، وإني محدثكم حديثًا فاكتموه عني، فوعدوه بكتمانه فقال: لقد رأيتم ما وقع لبني قينقاع والنضير من إجلائهم وأخذ أموالهم وديارهم، وأن قريشًا وغطفان ليسوا مثلكم، فهم إذا رأوا فرصة انتهزوها وإلا انصرفوا إلى بلادهم وأما أنتم فتساكنون الرجل (يريد

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٨٤)

(٢) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٥٣)

(٣) انظر: المرجع السابق (٨/ ١٥٣)

الرسول) ولا طاقة لكم بحربه وحدكم، فأَرى أن لا تدخلوا هذه الحرب حتى تستيقنوا من قريش وغطفان أنهم لن يتركوكم ويذهبوا إلى بلادهم، بأَن تأْخذوا منهم رهائن سبعين شريفًا منهم، فاستحسنوا رأْيه، ثم توجه إلى قريش فاجتمع برؤسائهم وقال: أنتم تعرفون ودى لكم، ومحبتي إياكم، وإني محدثكم حديثًا فاكتموه عني، فوعدوه بذلك، فقال: إن بني قريظة قد ندموا على ما فعلوا مع محمَّد، وخافوا أن ترجعوا وتتركوهم معه، فقالوا له: أيرضيك أن نأْخذ جمعاً من أشرافهم ونسلمهم إليك، وترد جناحنا التي كسرت –يريد بني النضير– فرضي بذلك منهم، ثم أتى غطفان فأخبرهم بمثل عما أخبر قريشًا، فأرسل أبو سفيان وفداً لقريظة يدعوهم للقتال غدًا – وكان يوم سبت – فقالوا: إنا لا نقاتل يوم السبت، ولم يصبنا ما أصابنا إلا بالتعدي فيه، ولن نقاتل حتى تعطونا رهائن منكم حتى لا تتركونا وتذهبوا إلى بلادكم، فتحققت قريش وغطفان مما قاله نعيم بن مسعود الأشجعي، فتفرقت القلوب وخاف بعضهم بعضًا، وأدى نعيم بن مسعود بهذه الوقيعة أعظم خدمة للإسلام في هذا الخطر المحدق به[١].

٧. الدعاء في المعركة

وكان النبي ﷺ قد ابتهل إلى ربه قائلاً: "**اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأَحزاب، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم**" فكان هذا الدور الذي أداه نعيم جزءًا من إجابة الله لدعوته، وأرسل الله على أعدائه ريحًا باردة في ليلة مظلمة شاتية، كفأت قدورهم، وأطفأَت نيرانهم، وقلعت خيامهم، وأَرسل عليهم جنودًا من الملائكة لم يروها، كبَّرت في جوانب العسكر، فماجت الخيل بعضها في بعض، فقال طليحة بن خويلد الأَسدي: أما محمَّد فقد بدأكم بالسحر فالنجاءَ النجاء[٢].

٨. رحيل الأحزاب

فأَجمعوا أَمرهم على الرحيل قبل أن يصبح الصباح، خوفًا من أن تتفق يهود مع المسلمين فيهجموا عليهم في تلك الليلة المدلهمة، وقد بلغ من خوفهم أن كان رئيسهم أبو سفيان يقول لهم: ليتعرف كل منكم أخاه، وليمسك بيده خوفًا من أن يدخل بينكم عدو، وبدأ بالرحيل، فقال له صفوان بن أُمية: أنت رئيس القوم فلا تتركهم وتمضى، فنزل من فوق بعيره وآذنهم بالرحيل، فرحلوا مهزومين وهكذا ردهم الله بغيظهم فلم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال[٣].

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٥٤–١٥٣)

(٢) انظر: المرجع السابق (٨/ ١٥٥)

(٣) انظر: المرجع السابق (٨/ ١٥٥)، وقد ذكرت غزوة الأحزاب بتفاصيلها في تفاسير عديدة منها: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٧٧–٢٧٨)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥٢٦)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٨٤)، ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٢٨٣٢–٢٨٣٨) في التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٥٨–٦٦٠).

٩. التذكير بنعمة الله على المسلمين بالإنقاذ

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ...):

يقول تعالى مخبراً عن نعمته وفضله وإحسانه إلى عباده المؤمنين، في صرفه أعداءهم وهزمه إياهم عام تألبوا عليهم وتحزبوا وذلك عام الخندق، وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة على الصحيح المشهور، وقيل سنة أربع من الهجرة[١]، فقد نجاهم من أحداث خطيرة وشديدة في غزوة الأحزاب، وتلك النعمة لا تصح الغفلة عنها؛ حيث حفظ الله دينه من الأحزاب الساعية لاستئصاله بالقضاء على رسوله ﷺ وأتباعه.

١٠. جنود الفريقين في المعركة

ثم تذكر الآية الكريمة عرضاً سريعاً للواقعة متمثلاً بمعسكر الكفر ومعسكر الإيمان؛ ففريق الكفر "جنود" جاؤوا بقدر الله وهم مرئيون ظاهرون للعيان، وفريق الإيمان "ريحٌ وجنود لم تروها" أرسلهم الله تعالى بأمره، قال تعالى: **(إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ...)**: فاذكروا إنعام الله عليكم حين جاءتكم جنود الأحزاب الذين تحزبوا واجتمعوا على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين، وهم قريش يقودهم أبو سفيان، وبنو أَسد يقودهم طليحة، وغطفان يقودهم عيينة بن حصن، وبنو عامر يقودهم عامر بن الطفيل وبنو سليم يقودهم أبو الأَعور السلمى، وبنو النضير يقودهم رؤساؤهم حيي بن أخطب وأبناء بني الحقيق، وبنو قريظة برئاسة سيدهم كعب بن أسد، وكان بين بني قريظة وبين النبي ﷺ عهد فنقضوه بسعي حُيَيّ ابن أخطب، وكان عدد جنود الأَحزاب اثنى عشر ألفًا، وقيل: عشرة آلاف[٢].

فتظاهروا وتألبوا جميعاً لقتال المسلمين والقضاء عليهم، وعلى النور المبين الذي انبثق عنه المنهج القويم، وذلك في الغزوة المسماة؛ غزوة الأحزاب أو الخندق، وسميت بالخندق؛ لأن الرسول ﷺ أخذ برأي سلمان الفارسيﷺ بعد ما سمع باجتماع الأحزاب، فقام بحفر خندق حول المدينة، وقد سميت بغزوة الأحزاب، لأن الآيات سمت الزاحفين الغزاة بالأحزاب[٣].

ثم تفضل الله عليهم بنصرهم على أعدائهم وتأييدهم بجنده، ثم الأمن والأمان؛ فقد أرسل الله عز وجل على الأحزاب ريحاً باردة، شديدة الهبوب قوية، **(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا)** حتى لم تبق لهم خيمةٌ، ولم تُوقَد لهم نار، ولم يقر لهم قرار؛ فارتحلوا خائبين خاسرين مذعورين.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٨٣)

(٢) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٥٢).

(٣) انظر: التفسير الحديث، دروزة (٧/ ٣٦١).

١١. مجيء الكفار من كل جهة ودور المنافقين

ثم زاد الأمر تفصيلاً وبياناً على ما أجمل من قبل فقال سبحانه: **(إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ...)**: فجاء المشركون فنزلوا شرقي المدينة، ونزلت طائفة منهم في أعالي أرض المدينة، وخرج رسول ﷺ ومن معه من المسلمين، وهم نحو ثلاثة آلاف، وجعل النساء والذراري في آطام المدينة[١]؛ وكانت بنو قريظة لهم حصن شرقي المدينة، ولهم عهد من النبي ﷺ وذمة؛ فذهب إليهم حُيَيّ بن أخطب زعيم بني النَّضَير، فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد، وظاهروا الأحزاب على رسول الله ﷺ؛ فعَظُم الخَطْب واشتد الأمر، وضاق الحال على المسلمين[٢].

ولقد بلغ الخوف والفزع من المسلمين مبلغاً عظيماً، وهو خوفٌ جِبلّيٌّ لا يقدح في التوحيد، وإنما يحكي الطبيعة البشرية، ويصور لنا مدى شدة هذا الهجوم العسكري وخطره.

فأحاط المشركون بهم من جانب حتى بلغ الأمر بالمسلمين ما وصفته الآيات بأبلغ وصف، وأدق عبارة، لشدة الموقف، فقال تعالى: **(وإذ زاغت الابصار)**: يعني واذكر حين مالت الأبصار عن طبيعتها حيرة واضطراباً من شدة الخوف والرعب حين أحاط الأحزاب بالمدينة، ونقض بنو قريظة العهد[٣]، **(وبلغت القلوب الحناجر)**، وهذا مشهد آخر لمقدار الرعب والفزع الذي عاشه أهل المدينة في ذلك الزمان، وهذا مثلٌ لشدة اضطراب القلوب، وإن كانت لم تبلغ الحناجر حقيقة، **(وتظنون بالله الظنونا)**: والخطاب هنا لعموم المسلمين، فالذين آمنوا ظنوا ظناً حسناً، وهو أن الله سينصر رسولهﷺ، وينجز وعده ولو كره المشركون؛ كما قال تعالى عنهم:**(وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُه وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)**[٤].

وأمّا المنافقون فظنوا أنّ المسلمين يُستأصلون ويتم القضاء على الدين، وبذلك يتبين أن كل فئة يرتبط ظنها بفكرها وعقيدتها، فالمؤمن مستيقن وواثق بوعد الله تعالى، وأما المنافق فهو غير مؤمن ولا مصدق بوعد الله، ويخفي العداء للمؤمنين، ويتمنى زوالهم فيظن ظن السوء تبعاً لذلك الفهم المنحرف[٥].

---

(١) أي: في حصون أهل المدينة، انظر: السيرة النبوية، لابن هشام (١٨٢/٤)

(٢) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام (١٨٢/٤)

(٣) انظر: نظم الدرر، للبقاعي (٣٠١/١٥)

(٤) انظر: جامع البيان، للطبري (١٣١/٢١-١٣٢)

(٥) انظر: المرجع السابق (١٣١/٢١-١٣٢)

١٢. الابتلاء والتمحيص للمؤمنين

ولما كانت الشدة في الحقيقة إنما هي للثابت في المعركة، فقال تعالى: **(هنالك ابتلي المؤمنون)** أي في ذلك الوقت العظيم[١]،أو في ذلك المكان، اختُبِرَ المؤمنون؛ بالخوف والقتال والحصار؛ ليتبيّن المؤمن من المنافق.

"والإشارة هنا إلى هذا الموقف الذي واجه فيه المؤمنون الأحزاب، ففي هذا الموقف ابتلى المؤمنون، وامتحنوا، في إيمانهم بالله، وكان الابتلاء شديداً، والامتحان قاسياً، لا يصبر عليه، ولا يخلص منه، ناجياً بدينه، سليماً في معتقده، معافى في إيمانه، إلّا من اطمأن قلبه بالإيمان، وعرف ما لله في عباده من ابتلاء، «**لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**» (الأنفال:٣٧)"[٢].

(وزلزلوا زلزالاً شديداً) : الزلزلة تعني: الاضطراب والحركة الشديدة، والآية تصور مقدار ما لحق المسلمين من الشدائد في تلك المعركة[٣]، كما قال سبحانه: «**وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ ما فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ**» (آل عمران:١٥٤).

"والامتحان من الله ليس لاستبانة الأمر له، بل لحكمة أخرى، هي أن الله تعالى عالم بما هم عليه، لكنه أراد إظهار الأمر لغيره من الأنبياء والملائكة"[٤].

١٣. مقومات النصر في غزوة الأحزاب

يقول الدكتور منير الغضبان: "لقد شارك في الحرب خمسة عناصر انتهت لصالح المسلمين وكفى الله بها المؤمنين القتال:

١. الجنود: وهم الملائكة.
٢. الريح: وقد ذكرها أبو سفيان عنصراً من أهم العناصر في انسحابه.
٣. نعيم بن مسعود: ودوره في تخذيل المشركين واليهود.
٤. دعاء الرسول ﷺ وتضرعه إلى ربه عز وجل.
٥. صمود المسلمين العظيم وثباتهم.[٥]

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٦٣)
(٢) المرجع السابق (١١/ ٦٦٣)
(٣) انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (٢/ ٤٧٢)
(٤) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٦٧)
(٥) انظر: التربية الجهادية، منير الغضبان (٢/٢٦٧-٢٦٨)

سابعاً: الهدايات المستنبطة من المقطع:

١. مشروعية التذكير بالنعم الكثيرة التي أنعمها الله عليه ليشكرها ومهما شكر الانسان ربه فلن يستطيع أداء هذا الشكر **(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)** (ابراهيم:٣٤)[١].

٢. تأييد الله لعباده المؤمنين عند نزول الشدائد، وأنه تعالى يسخر لهم أسباب النصر[٢].

٣. "بيان قدرة الله عز وجل في ارسال الريح التي هي جند من جنود الله تعالى، وكذلك الملائكة يرسلهم لنصرة أوليائه، كما حدث للمسلمين في غزوة الخندق"[٣].

٤. تفاؤل القيادة رغم الضيق الذي حل بهم، فلما جاء الخبر لرسول الله بنقض بني قريظة للعهد، قال رسول الله ﷺ: الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين.

٥. بيان أهمية الصلاة وكثرة الدعاء والتضرع إلى الله تعالى وخاصة في المواقف الحرجة.

٦. "غزوة الخندق كانت من أشد الغزوات وأكثرها ألماً وتعباً على المسلمين"[٤].

٧. "بيان مواقف المنافقين الداعية إلى الهزيمة ليكون ذلك درساً للمؤمنين"[٥].

٨. بيان حقيقة اليهود وعدائهم للمسلمين، ونقضهم للعهود والمواثيق، فقد أثبت التاريخ قديماً وحديثاً أنهم أهل غدر وخيانة ولا يستقيمون على عهد.

٩. شدة عداوة الكفار للمؤمنين، لأنهم تحزبوا ضدهم، فقد تكون هذه القبائل ليس بينها رابطة في حد ذاتها، ولكن من أجل أنها اتفقت في عداوتها على الإسلام اجتمعت.

١٠. "الخيانة الداخلية في ساعة المعركة جزاؤها الإعدام كما فعل رسول الله في بني قريظة"[٦].

١١. "تقرير النبوة المحمدية بإخبار الغيب التي أخبر بها رسول الله فكانت كما أخبر من فتح فارس والروم واليمن"[٧].

١٢. الصمود للحصار حتى رحيل الأحزاب.

---

(١) انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٥١)

(٢) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن (٨٤/٦).

(٣) انظر: المرجع السابق (٨٤/٦).

(٤) انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٥١)

(٥) أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٥١)

(٦) الأساس في التفسير، سعيد حوى (٤٤٠٦/٨)

(٧) أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٥١)

١٣. الأخذ بمبدأ الشورى، فقد كان رسول الله ﷺ كان يشاور أصحابه وخاصته في أمر القتال، فقد شاور أصحابه لما علم باجتماع الأحزاب وخروجهم إلى المدينة، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق، فقبل رأيه[١].

١٤. بيان أن حسن الظن بالله ممدوح، وأن سوء الظن به تعالى كفر ونفاق، فلا يظن العبد بربه إلا خيراً[٢].

١٥. الابتلاء والامتحان سنة من سنن الله، فالله سبحانه وتعالى يبتلي عباده المؤمنين بأشد أنواع البلاء حسب درجاتهم ليرفع مقامتهم عنده، **(ونبلوكم بالشر والخير فتنة)** (الأنبياء:٣٥)[٣].

١٦. حتمية الصراع والمواجهة بين قوى الإسلام وقوى الكفر، فإن الصراع بين الإسلام والكفر صراعٌ بين الحق والباطل، وإن هذا الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة.

---

(١) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٦٨١)

(٢) انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٥١)

(٣) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن (٨٤/٦).

المقطع الخامس

فضح المنافقين، وبيان بعض صفاتهم القبيحة

قال تعالى: {وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (٢٠)} [الأحزاب: ١٢ - ٢٠]

أولاً: سبب النزول:

عن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده قال: خط رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب فخرجت لنا من الخندق صخرة بيضاء مدورة فكسرت حديدنا وشقت علينا، فشكونا إلى رسول الله ﷺ فأخذ المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها، وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لا بتي المدينة حتى لكأن مصباحا في جوف ليل مظلم، فكبر رسول الله ﷺ وكبر المسلمون، ثم ضربها الثانية فصدعها وبرق منها برقة أضاء ما بين لا بتيها فكبر وكبر المسلمون، ثم ضربها الثالثة فصدعها وبرق منها برقة أضاء ما بين لا بتيها وكبر وكبر المسلمون، فسألناه فقال: أضاء لي في الأولى قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، وأضاء لي في الثانية قصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، وأضاء لي في الثالثة قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فابشروا بالنصر، فاستبشر المسلمون،

وقالوا: الحمد لله موعد صادق بأن وعدنا النصر بعد الحصر فطلعت الأحزاب فقال المسلمون **{هذا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً}** وقال المنافقون: الا تعجبون يحدثكم ويعدكم ويمنيكم الباطل يخبر أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وإنها تفتح لكم وإنكم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا، فنزل القرآن **(وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورً)**[١].

ثانياً: المناسبة:

"بعد أن بين الله تعالى نعمته على عباده المؤمنين في هذه المعركة وما حدث لهم من الابتلاء العظيم، أوضح أنواع الظنون التي كانت تختلج في نفوس المنافقين وفضح أعمالهم وأقوالهم الشنيعة وصفاتهم التي ظهرت في هذه المعركة، وهذه الأمور التي ذكرها الله تعالى عن المنافقين تنطبق على المنافقين في كل زمان ومكان"[٢]، "فهم نموذج مكرر في الأجيال والجماعات على مدار الزمان"[٣].

ثالثاً: التحليل اللغوي:

١. **(وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ):** يعني معتب بن قشير[٤] وأصحابه، وقيل: عبد الله بن أبي وأصحابه[٥].

٢. **(فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ):** شكّ في الإيمان وضعف في اعتقادهم[٦]، والمرض في القلوب هو الشك والريبة والاضطراب[٧]، وهم قوم كان المنافقون يستميلونهم بالإغراءات وزرع الشّبه في قلوبهم، لحداثة عهدهم بالإسلام.[٨]

٣. **(مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ):** من النصر والظفر وإعلاء دين الله[٩].

---

(١) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي (٦/ ٥٧٤) ، دلائل النبوة، للبيهقي (١٣/٤١٩-٤٢٠)

(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن (٦/٨٨)

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب (٢١/٢٨٣٨)

(٤) معتب بن قشير هو أحمد بني عمرو بن عوف، كان من أعيان المنافقين، وقد ساهم في بناء مسجد الضرار الذي أمر النبي عليه الصلاة والسلام بإحراقه وهدمه. انظر: درج الدرر في تفسير الآي والسور، للجرجاني (١/ ١٠٣)، دلائل النبوة، للبيهقي (٥/ ٢٥٩)

(٥) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥٢٧)، فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣٠٦)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي (٨/ ١٩)، فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٥٧)

(٦) انظر: جامع البيان، للطبري (٢٠/ ٢٢٣)

(٧) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣٠٦)

(٨) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٥٩)

(٩) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣٠٦)

٤. **(إِلَّا غُرُورًا)**: وعداً باطلاً من القول لا حقيقة له [١].

والغرور: "ظهور الشيء المكروه في صورة المحبوب" [٢]، وكان القائلون بهذه المقالة نحو سبعين رجلاً من أهل النفاق والشك، وهذا القول المحكي عنهم، أي كان ظن هؤلاء هذا الظن كما كان ظن المؤمنين النصر، وإعلاء كلمة الله[٣].

٥. **(وَإِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ)**: يعني من المنافقين، قيل: هم بنو سالم من المنافقين، وقيل: إنه أوس بن قيظي وأصحابه، وقيل: أنه عبد الله بن أُبي وأصحابه[٤]، "والظاهر أنه عبد الله بن أبي رأس المنافقين، فهو الذي يدعو أهل يثرب كلهم"[٥]، والطائفة: "تطلق على الواحد فأكثر" [٦].

٦. **(يا أَهْلَ يَثْرِبَ)**: المراد بيثرب: المدينة نفسها، وقيل: أسم أرض وقعت المدينة في ناحية منها [٧].

٧. **(لاَ مُقامَ لَكُمْ)**: وفي تأويلها ثلاثة أوجه:

أحدها: أي لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا إلى دين مشركي العرب، **الثاني**: لا مقام لكم على القتال فارجعوا إلى طلب الأمان، **الثالث**: لا مقام في مكانكم فارجعوا إلى مساكنكم. [٨]

٨. **(فارْجِعُوا)**: فانصرفوا إلى منازلكم، فقد أمرهم بالهرب من عسكر رسول الله ﷺ [٩].

٩. **(وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ)**: وهم بنو حارثة وبنو سلمة [١٠]، بمعنى يطلبون الإذن بالرجوع إلى المدينة.

١٠. **(إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ)**: خالية غير حصينة نخشى عليها السراق، أو مكشوفة للعدو لا نأمن على أهلنا [١١]، والعورة: "هو الثغر بين الجبلين الذي يتمكن العدو أن يتسرب منه إلى الحي" [١].

---

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣٠٦)

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٨٤)

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٥٧)

(٤) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥٢٧)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٨٤)

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٨٤)

(٦) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣٠٦).

(٧) انظر: جامع البيان، للطبري(٢٠/ ٢٢٤)، مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٦١)

(٨) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٨٢)

(٩) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٥١)

(١٠) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣٠٧)

(١١) انظر: جامع البيان، للطبري(٢٠/ ٢٢٦)

١١. **(إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِراراً)**: ما يريدون إلا الهرب من القتال لأنهم لا يريدون مواجهة العدو، وقيل المراد: ما يريدون إلا الفرار من الدين [٢].

١٢. **(وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ)**: المدينة أو بيوتهم [٣].

١٣. **(أَقْطَارِهَا)**: من جوانبها ونواحيها، والأقطار: جمع قطر بمعنى الناحية والجانب والجهة [٤]، سواء من من نواحيها كلها أو من أي ناحية منها.

١٤. **(ثُمَّ سُئِلُواْ الْفِتْنَةَ لأَتَوهَا)**: والمراد بالفتنة هنا، الردة عن الإسلام أو قتال المسلمين[٥]، "وقيل الكيد بالمسلمين وإلقاء التخاذل في جيشهم" [٦].

١٥. **(لَآتَوْهَا)**: لجاءوها أو أعطوها [٧].

١٦. **(وَمَا تَلَبَّثُوا)**: وما تريثوا ولا تمهلوا [٨].

١٧. **(إلا يَسِيرًا)**: إلا قليلًا، وهذا الزمن اليسير هو قدر ما يسمع السؤال والجواب [٩]، يعني ما بين أن يسألوا ثم يجيبوا.

١٨. **(لَا يُوَلُّونَ)**: "التولية: التوجه بالشيء وهي مشتقة من الولي وهو القرب" [١٠] بمعنى أنهم "لا يفرون" [١١].

١٩. **(الأدبار)**: الظهور، وتولية الأدبار: "كناية عن الفرار" [١٢].

٢٠. **(مَسْئُولًا)**: مسئولاً عنه ومطلوبًا الوفاءُ به، ومجازى على ترك الوفاء به [١٣].

٢١. **(لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا)**: لا تنتفعون بالبقاء إلا زمنًا قليلًا، لأن الدنيا كلها قليلة [١].

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٨٥)

(٢) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٨٣)

(٣) نظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٦١)، فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣٠٧)

(٤) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣٠٧)، لسان العرب، لابن منظور (١٠٥/٥)

(٥) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥٢٨)

(٦) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٨٨)

(٧) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥٢٨)، فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣٠٧)

(٨) انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٤٧)

(٩) انظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري (٢٢/ ٤٣٨)

(١٠) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٨٩)

(١١) التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٦٠)

(١٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٨٩)

(١٣) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣٠٨)

٢٢. **(يعْصِمُكُمْ)**: "يمنعكم" [٢]، "والعصمة: الوقاية والمنع مما يكرهه المعصوم" [٣].

٢٣. **(إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً)**: وفي معناها ثلاثة أوجه:

أحدها: إن أراد بكم هزيمة أو أراد بكم نصراً، **الثاني:** إن أراد بكم عذاباً أو أراد بكم خيراً، **الثالث:** إن أراد بكم قتلاً أو أراد بكم توبة [٤].

٢٤. **(وَلِيًّا وَلا نَصِيراً)**: المراد بالولي: الذي يتولى نفعهم، وبالنصير: النصير في الحرب فهو أخص [٥].

٢٥. **(الْمُعَوِّقِينَ)**: "المثبطين". [٦] بمعنى المخذلين، "من العوق وهو المنع والصرف، يقال: عاق فلان فلاناً، إذا صرفه عن الجهة التي يريدها" [٧].

٢٦. **(هَلُمَّ إِلَيْنَا)**: "تعالوا إلينا وأَقبلوا علينا" [٨].

٢٧. **(الْبَأْسَ)**: الشدة والمكروه، والمراد به القتال والحرب؛ لما يقع فيه من الشدائد [٩].

٢٨. **(أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ)**: جمع شحيح وهو البخيل، والشح في معناه العام هو البخل، لكن الشحيح الذي يبخل على الغير، وقد يكون كريماً على نفسه وعلى أهله، أما البخيل فهو الذي يبخل حتى على نفسه؛ لذلك قال تعالى: {أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ. .} ليس على أنفسهم [١٠]، وقيل: أنهم أشحة بالخير، وقيل: أشحة بالقتال معكم، وقيل: بالغنائم إذا أصابوها، وقيل: أشحة بالنفقة في سبيل الله [١١]، والصواب: أن يعم شحهم كل ما فيه منفعة المؤمنين [١٢].

---

(١) انظر: التفسير الوسيط ، مجمع البحوث (٨/ ١٦٠)

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣/ ٤١٧)

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٩٢)

(٤) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٨٤)

(٥) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٩٣)

(٦) انظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، للسمين الحلبي (٣/ ١٤٢)، معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن، للجمل (٣/ ١٧٥)

(٧) التفسير الوسيط، لطنطاوي (١١/ ١٨٨)

(٨) التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٦١)

(٩) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٩٥)

(١٠) انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (١١/ ١٨٩)، تفسير الشعراوي (١٩/ ١١٩٧٣)

(١١) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٨٥)

(١٢) انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٨/ ٤٦٣)

٢٩. **(فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ)**: قيل معناه فإذا قوي الخوف من العدو وتوقع أن يستأصل جميع أهل المدينة لاذ هؤلاء المنافقون بك[١].

٣٠. **(تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيهِ مِنَ الْمَوتِ)**: "أي كدوران عين الذي قرب من الموت" [٢]، [٢]، فكأنها تدور بغير اختيارها من شدة الخوف.

٣١. **(سَلَقُوكُمْ)**: آذوكم وجرحوكم وأصابوكم [٣]، والسلق: الأذى، وقد يكون باليد أو اللسان [٤].

٣٢. **واختلف الناس في المعنى الذي فيه يسلقون**، فقيل: ذلك في أذى المؤمنين وسبهم وتنقص الشرع ونحو هذا، وقيل: ذلك في طلب العطاء من الغنيمة والإلحاح في المسألة [٥].

٣٣. **(بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ)**: قاطعة سليطة شديدة [٦]، "ووصف الألسنة بالحدة لقطعها المعاني ونفوذها في الأقوال"[٧] فهي ذو حدة.

٣٤. **(أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ)**: بخلاءَ على المال الذي ينفقوه في سبيل الله، وقيل: على قسمة الغنيمة[٨]، والأولى حملها على العموم من غير تقييد [٩].

٣٥. **(فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ)**: أي أبطلها، بمعنى: أظهر بطلانها، لأنها لم تكن لهم أعمال تقتضي الثواب حتى يبطلها الله [١٠].

٣٦. **(يحسبون)**: يظنون، أي "المنافقون" [١١].

٣٧. **(الأحزاب)**: جمع حزب، وهم الطوائف الذي تحزبوا على النبي ﷺ من قريش وغطفان واليهود ومن معهم [١٢].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٧٥)

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٦٤)

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٦٢)

(٤) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣١١)

(٥) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٧٦)

(٦) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٦٢)

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٧٦)

(٨) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٨٦)

(٩) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٧٦)

(١٠) انظر: جامع البيان، للطبري (٢٠/ ٢٣٣)

(١١) المرجع السابق (٢٠/ ٢٣٤)

(١٢) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٦٢٣)

٣٨. **(لَمْ يَذْهَبُوا)**: لم ينصرفوا [١]، وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق إلى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد [٢]، وهذا يدل على جبنهم وخوفهم وذعرهم؛ لأنه حتى بعد ذهاب الأحزاب وتفريقهم يظنوا هؤلاء المنافقون أنهم لم يذهبوا.

٣٩. **(وإن يأت الأحزاب)**: يرجعوا كرَّةً ثانية للقتال [٣]، وهذا على سبيل الفرض والتقدير.

٤٠. **(يَوَدُّوا)**: يتمنوا [٤]، والودّ: عبارة عن محبّة الشيء، وتمنّي كونه [٥].

٤١. **(بادون)**: جمع باد وهو ساكن في البادية [٦]، أي مقيمون في البادية بعيداً عن المدينة [٧].
[٧].

٤٢. **(الأعراب)**: جمع أعرابيّ، وهم أهل البوادي من العرب، والأعراب سكان البادية خاصة [٨].

٤٣. **(أَنْبائِكُمْ)**: "أخباركم"[٩].

رابعاً: البلاغة:

١. **(وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ)**: التعبير بلفظ (يقول) بدلاً من (قال) للدلالة على تكرار قولهم [١٠].

٢. **(ويستأذن)**: "جيء بالفعل المضارع للإشارة إلى أنهم يلحون في الاستئذان ويكررونه ويجددونه" [١١].

٣. **(إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ)**: "التأكيد بحرف إنّ تمويه لإظهار قولهم بيوتنا عورة في صورة الصدق" [١٢]، "وهو كناية عن كونها غير حصينة" [١٣].

٤. **(ولو دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ)**: وأسند فعل دخلت إلى البناء للمجهول إشارة إلى أن هؤلاء المعتذرين يسلمون بيوتهم لأى داخل عليهم، فراراً بأنفسهم [١].

---

(١) انظر: جامع البيان، للطبري (٢٠/ ٢٣٤)
(٢) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥٣٠)
(٣) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٦٢٣)
(٤) انظر: جامع البيان، للطبري (٢٠/ ٢٣٤)
(٥) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٤٥٣/٣)
(٦) انظر: إعراب القرآن وبيانه، للزجاج (٧/ ٦٢٠)
(٧) انظر: تفسير الجلالين (ص: ٥٥٢)
(٨) انظر: جامع البيان، للطبري (٢٠/ ٢٣٤)
(٩) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٣٠٢)
(١٠) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٥٧)
(١١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٨٥)
(١٢) المرجع السابق (٢١/ ٢٨٦)
(١٣) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري (٢٢/ ٤٥٩)

٥. **(قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ..)**: إعادة وتكرير الفعل لأجل الاهتمام بمضمون الجملة [٢].

٦. **(قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ)**: قد: للتحقيق ولتأكيد العلم بالتعويق [٣].

٧. **(هلم إلينا)**: وهو صوت سمي به فعل متعد، يلزم حالاً واحدة في الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث، فيقال للاثنين: هلم، وللجمع: هلم [٤].

٨. **(ينظرون إليك)**: جيء بالفعل المضارع للدلالة على تكرر هذا النظر وتجدده [٥].

٩. **(تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ)**: "تشبيه تمثيلي" [٦].

١٠. **(سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ)**: استعارة مكنية، فقد شبه اللسان بالسيف ، وحذف المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو السلق أي الضرب [٧].

١١. **(أولئك لم يؤمنوا ..)**: "جيء باسم الإشارة لقصد تمييزهم بتلك الصفات الذميمة التي أجريت عليهم من قبل" [٨].

خامساً: القراءات:

- **(لاَ مُقامَ لَكُمْ)**: قرأها حفص عن عاصم بضم الميم.
- **(لاَ مَقامَ لَكُمْ)**: وقرأها الباقون بفتح الميم [٩].

توجيه القراءات:

يكون المعنى على القراءة الأولى لا إقامة لكم، ويكون المعنى على قراءة الباقين لا مكان لكم تقومون فيه، أي لا موضع لكم [١٠].

- **(لَآتَوْهَا)**: قرأها ابن عامر وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف بالمد.
- **(لَأَتَوْهَا)**: وقرأها نافع وابن كثير وأبو جعفر بالقصر. [١١]

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٨٧)

(٢) المرجع السابق (٢١/ ٢٩٢)

(٣) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٩٣)

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٧/ ٩٦)

(٥) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٩٧)

(٦) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٥٧)

(٧) انظر: المرجع السابق (٢١/ ٢٥٨)

(٨) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٩٨)

(٩) انظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٢/٢٦٠).

(١٠) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٥٠)، مختار الصحاح، للرازي (٥٥٧)

(١١) انظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٢/٢٦١).

توجيه القراءات:

من قرأ **(لَآتَوْهَا)** بالمدِّ فالمعنى لأعطوها، أي لَوْ قِيلَ لَهمْ كُونوا على المسلمين مُظْهِرِينَ الفتنةَ لَفَعَلوا ذَلِكَ، **(وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا)**، ومن قرأ **(لَأَتَوْهَا)** بالقصر، فالمعنى لَقَصدُوها ولجاءوها[1]، ولجاءوها[1]،

وكلا القراءتين تدلان على أنهم يعطون ما سألوا ويأتون إليه بانقياد.

سادساً: المعنى الاجمالي:

وهذا المقطع هو أطول مقاطع السورة، وأكثره تناولاً لصفات المنافقين وبيان أحوالهم ليضفي على هذا المقطع جواً من الرعب والخوف على كل من تسول له نفسه أن يربط مصيره بمصيرهم، فقد كانوا وما زالوا معول هدم للإسلام، لا يألون جهداً في الدس والكيد للمسلمين، وقد ذكر الله عدد من صفاتهم لنجتنبها فلا نتصف بأيٍ منها، ولنحذرهم في مجتمعاتنا، لأنهم العدو في ثوب الصديق.

١. **تعريف النفاق**

- **النفاق لغة:** من نَفَق مالُه ودراهمه وطعامه نَفْقاً ونَفاقاً، كلاهما: نقص وقلّ، وأَنفَقَ الرجل إذا افتقر، والنَّفَقُ: سَرَبٌ في الأَرض، كما في قوله: **(فإن استطعت أَن تبتغي نَفَقاً في الأرض)** (الأنعام:٣٥)، وسمي المنافقُ مُنافقاً للنَّفَق وهو السَّرَب في الأَرض، وقيل: إنما سمي مُنافقاً لأنه نافَقَ كاليربوع ، فيقال هكذا يفعل المُنافق، يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه[2].
- **النفاق اصطلاحاً:** "هو مخالفة الباطن للظاهر، وإظهار القول باللسان، أو الفعل؛ بخلاف ما في القلب من الاعتقاد"[3].

٢. **أنواع النفاق:** النفاق نوعان:

النوع الأول: النفاق الاعتقادي: وهو النفاق الأكبر الذي يظهر صاحبه الإسلام ويبطن الكفر، وهذا النوع مخرج من الملة، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار.[4]

ولهذا النفاق علامات منها:

- تكذيب الرسول ﷺ، أو تكذيب بعض ما جاء به ﷺ.

---

(١) انظر: الحجة، لابن زنجلة (٥٧٤-٥٧٥)، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٤/ ٢٢٠)،

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور(١٤/٢٤٣)

(٣) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عبد الحميد الأثري (ص: ٢٥٣)

(٤) انظر: التوحيد، للفوزان (ص: ٢٥)

- بغض الرسول ﷺ، أو بغض بعض ما جاء به ﷺ.
- المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ، أو الكراهية بانتصار دين الرسول ﷺ[١].

النوع الثاني: النفاق العملي: وهو عمل شيء من أعمال المنافقين مع بقاء الإيمان في القلب، وهو اختلاف السر والعلانية في الواجبات، ولا يخرج من الملة لسلامة المعتقد، وصحة الإسلام، وأبرز خصاله: الكذب، وخلف الوعد، وخيانة الأمانة، والفُجْرَ في الخصومة [٢].

فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "آية المنافق ثلاث إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان" [٣]

٣. التحذير من النفاق والمنافقين

وإن كان المنافقون يمثلون صفاً خفياً بين المسلمين، إلا أنهم يمتازون ويتصفون بصفات معينة، يستطيع المسلمون عامة، وأولوا الأمر خاصة أن يميزوهم بها على غلبة الظن من بين الناس، فيعاملوهم على هذا الأساس ويحذروهم، ويتقوا شرهم، ويفوتوا عليهم فرص النيل من الإسلام والمسلمين.

٤. صفات المنافقين من خلال هذا المقطع

وسأذكر هذا الصفات التي ورد ذكرها في هذا المقطع حسب ترتيب الآيات:

أ- **التشكيك في وعد الله ورسوله:** كما في قوله تعالى: **(وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا)**، وذلك من خلال طبيعتهم الجبانة، والتي يحاولون توريثها لغيرهم، وخاصة بمن يثقون بهم من أقاربهم، بوسائلهم المتعددة.

ب- **الاستئذان عن الجهاد دون عذر صحيح والتخلف عنه:** كما في قوله تعالى: **(وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا)**، يقول البقاعي: (فهم يوسعون حيلهم في وجهٍ يدفع عنهم قصورهم، لأخذ الإذن بما اعتذروا كاذبين، ويقعدوا عن الغزو) [٤]، فكيف يجاهدون وهم أصلاً لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، فطبيعتهم تفرض عليهم الاستئذان للقعود، والتخلف عن الجهاد.

ت- **الإسراع إلى الفتنة:** كما في قوله تعالى: **(وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا)**.

---

(١) انظر: التوحيد للفوزان (ص: ٢٧)

(٢) انظر: المرجع السابق (ص: ٢٧)

(٣) صحيح البخاري: كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، ح:٣٣ (١٣/١).

(٤) انظر: نظم الدرر، للبقاعي (٣٧٤/٣)

ث- **عدم الوفاء بالعهود:** كما في قوله تعالى: **(وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا)**، فالمنافق لا يحافظ على العهود مع الله فهو يخونها وسيسأل عنها يوم القيامة[١].

ج- **الفرار من المعركة خوفاً من الموت أو القتل:** كما في قوله تعالى: **(قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا)**، "فالمنافق لا يقاتل عن عقيدة ولهذا إذا وجد الفرصة للهرب من أي مهمة صعبة فهو لا يتحمل المسؤولية بل يتنصل من واجباته"[٢].

ح- **الإرجاف والتخذيل وبث الفوضى:** كما في قوله تعالى: **(قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا)**.

خ- **البخل والجبن والهلع وسلاطة اللسان:** كما في قوله تعالى: **(أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا)**، فليس لديهم القدرة على مواجهة الجيش عند رؤيته لان قلوبهم مزعزعة، فإذا وقعوا في مصيبة كالحرب تراهم مضطرين كالميت الذي ينازع في السكرات تتحول عيناه يمنة ويسرة من هول ما يعينه[٣].

وإن أبرز ما يثير الانتباه في سياق هذا المقطع لأساليب المنافقين هو اعتمادهم على الكلام وإعمال ألسنتهم بالإرجاف والتخذيل والتثبيط، فسلاحهم ضد المؤمنين لسانهم كما قال تعالى: **(سلقوكم بألسنة حداد)**، وهم يتفننون في استعمال هذا السلاح، تأمل قوله تعالى: (وإذ يقول)، (وإذ قالت)، (يقولون)، (والقائلين).

د- **عدم استعدادهم للجهاد:** كما في قوله تعالى: **(يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا)**.

وإن معرفة هذه الصفات وغيرها أمر في غاية الأهمية، لينأى المسلم بنفسه بعيداً عنها فلا يتصف بأيٍ منها، ويسهل للمسلمين ولأولي الأمر من اتباع السياسة السليمة المناسبة في جهاد المنافقين، لتحجيم دورهم، وحصر خطرهم، وتفويت الفرصة عليهم، وتمزيق شملهم، وكل ذلك تمهيداً للقضاء على دورهم المشؤوم في الدولة والمجتمع الإسلامي.

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن (٩٢/٦)

(٢) المرجع السابق (٩٢/٦)

(٣) انظر: المرجع السابق(٩٢/٦)

وأنه مع اتخاذ جميع الأسباب والوسائل، فإن النصر قد يكون بأسباب أخرى، لا يكون للبشر فيها يد ولا أثر، **نجدها في غزوة الأحزاب فيما يأتي:**

١. **إسلام نعيم بن مسعود الغطفاني:** فإن الدور الذي قام به نعيم بن مسعود ﷺ دور عظيم وبطولي، قد لا يقوم به جيش بأكمله، ومن هنا فإن الفرد قد يقوم بدور لا تستطيع الجماعة أن تقوم به، وكما يقولون فإن الحرب خدعة.

٢. **الملائكة:** بعث الله تعالى الملائكة، فقلعت الأوتاد، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضها في بعض[١].

٣. **الريح العاصفة:** كانت هذه الريح معجزة للنبي ﷺ، وكان المسلمون قريباً منها، لم يكن بينهم وبينها إلا عرض الخندق، وكانوا في عافية منها، ولا خبر عندهم بها[٢].

فهذه الأسباب الثلاثة هي أبرز الأسباب في انتصار المسلمين في الأحزاب.

٥. **بيان موقف المنافقين من المسلمين**

بين الله تعالى موقف المنافقين ومؤيديهم، فقال: **(وَإِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً)** أي واذكروا- أيها المؤمنون- حين قال المنافقون الذين أسلموا في الظاهر ولم تؤمن قلوبهم، وضعفاء العقيدة لحداثة عهدهم بالإسلام: ما وعدنا الله ورسوله من النصر على العدو إلا وعداً باطلاً لا وجود ولا حقيقة له، وهذا القول المحكي عن هؤلاء تشكيكٌ بالوعد الإلهي، فقالوا: قد كان محمد يعدنا فتح فارس والروم، وقد حصرنا هاهنا، حتى ما يستطيع أحدنا أن يبرز لحاجته، ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً [٣]، "وهكذا تكشف الشدائد والمحن عن معادن الناس، وعن مطويات الضمائر، وما تخفى الصدور"[٤].

ثم إنّ هؤلاء المنافقين لم يقفوا عند حدّ هذه الوساوس وسوء الظن، بل جاوزوا هذا إلى إذاعتها بين الناس، فقالت طائفة منهم «**يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا**»، ارجعوا إلى دياركم وأهليكم، حيث الأمن والسلامة، وحيث الراحة من هذا العبث الذي لا شيء وراءه[٥]، فأصبحوا يحرضون أهل المدينة على ترك الصفوف، والعودة إلى بيوتهم، بحجة أن إقامتهم أمام الخندق لا موضع لها ولا محل، وأن بيوتهم معرضة للخطر من ورائهم.

---

(١) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٨٤)

(٢) انظر: المرجع السابق (٢١/ ٢٨٤)

(٣) انظر: المرجع السابق (٢١/ ٢٦٧)

(٤) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٦٤)

(٥) انظر: المرجع السابق (١١/ ٦٦٤)

ثم بين الله سبحانه وتعالى أن هؤلاء المنافقين لم يكتفوا بهذا القول الذميم، بل كانوا يهربون من الوقوف إلى جانب المؤمنين باختلاق الاعذار الكاذبة، فقال تعالى: **(وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ، يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ)**، فقد ذهب فريق منهم إلى النبي ﷺ يستأذنه في الرجوع إلى بيوتهم، قائلين له: يا رسول الله: **(إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ)** أي: خالية ممن يحرسها ومكشوفة للعدو [١].

ثم بين الله كذبهم وكشف عن حقيقتهم فقال سبحانه: **(وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ)**، فبيوتهم ليست كما يزعمون، وإنما يريدون الفرار من ميدان القتال، لضعف إيمانهم، وجبن نفوسهم [٢]، ثم بين الله السبب الحقيقي، **(إن يريدون إلا فراراً)**، أي ما يريدون إلا الهرب من القتال، وليس لحفظ العورات، فكشف الله خفايا نفوسهم.

ثم بيّن الله تعالى مدى ضعف الإيمان في قلوبهم وأن ذلك الفرار ليس لحفظ البيوت، فقال: **(وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها، ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْها، وَما تَلَبَّثُوا بِها إِلَّا يَسِيراً)** أي ولو دخل الأعداء عليهم من كل جانب من جوانب المدينة، أو البيوت، ثم طلب منهم الردة والعودة صراحة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين، لجاؤوها أو لأعطوها من أنفسهم ولفعلوا ذلك سريعاً، ولم يحافظوا على الإيمان ولم يستمسكوا به، وما مكثوا في استجابتهم وعطائهم ما طلب منهم إلا زمناً يسيراً من أدنى خوف وفزع [٣].

وقال أكثر المفسرين: إن المعنى: وما احتبسوا عن فتنة الشرك إلا قليلاً، بل هم مسرعون إليها راغبون فيها لا يقفون عنها إلا مجرد وقوع السؤال لهم، ولا يتعللون عن الإجابة بأن بيوتهم في هذه الحالة عورة مع أنها قد صارت عورة على الحقيقة، كما تعللوا عن إجابة الرسول، والقتال معه بأنها عورة، ولم تكن إذ ذاك عورة [٤].

ثم ذكرهم سبحانه وتعالى بما كانوا عاهدوا الله من قبل هذا الخوف، ألا يولوا الأدبار ولا يفروا من الزحف، فقال تعالى: **(وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الْأَدْبارَ..)**، أي: ولقد كان هؤلاء المنافقون قد حلفوا من قبل غزوة الأحزاب، وذلك يوم فروا من غزوة أحد إذ كانت قبل غزوة الأحزاب بقرابة السنتين فقالوا والله لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلنّ ولا نولي الأدبار، فذكرهم

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (١١/ ١٨٤)

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٦١)

(٣) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٦٨-٢٦٩)

(٤) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣٠٧)

الله بعهدهم الذي قطعوه على أنفسهم ثم نكثوه[١]، فالمطلوب من المتعهد الوفاء، وسيعاقب على ترك الوفاء.

وقيل: هم بنو حارثة همّوا يوم أحد أن يفشلوا مع بني سلمة، فلمّا نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبداً، وقيل: هم ناس كانوا قد غابوا عن واقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلنّ، فساق الله ذلك إليهم في ناحية المدينة [٢]، وقيل: هم سبعون رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وقالوا: للنبي ﷺ: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: **(أَشْتَرِطُ لِرَبِّي أَنْ تَعْبُدُوهُ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وأشْتَرِطُ لِنَفْسِي أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا مَنَعْتُمْ به أَنْفُسَكُمْ وَأَوْلادَكُمْ)**، فقالوا: قد فعلنا ذلك، فما لنا؟ قال: **(لكم النصرة في الدنيا، والجنة في الآخرة)**، قالوا: قد فعلنا ذلك، فذلك قوله: **(وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لاَ يُوَلُّونَ الْأَدْبارَ وَكانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلًا)** [٣]، والصحيح أنهم المنافقون الذين عاهدوا الله يوم أحد حين عابهم الله تعالى بما أنزل فيهم أن لا يفروا [٤].

"ثم هددهم تعالى وأوعدهم بقوله: **(وَكانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلًا)**، أي إن الله سيسألهم عن ذلك العهد والوفاء به يوم القيامة، ويجازيهم على نقضه وخيانة رسول الله ﷺ" [٥].

"وهذه الآية الكريمة تعيب عليهم نكوصهم في عهدهم في غزوة الخندق، حيث كانوا ضمن المنافقين المستأْذنين في الرجوع من المعركة لحفظ بيوتهم من الأَعداءِ، بحجة أَن بها عورة وخللًا، وتُذكّرهم بوجوب الوفاءِ بالعهد" [٦].

ثم أخبرهم أن فرارهم من المعركة لا يؤخر آجالهم، ولا يطيل أعمارهم، فقال تعالى: **(قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارَ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ..)** ، فأمر الله تعالى نبيه أن يخبرهم بأن الهرب لا ينفعهم من لقاء الموت أو القتل في ميدان المعركة، فإن المقدّر كائن لا محالة، وربما كان فرارهم سبباً في تعجيل أخذهم غرّة، فإنه لا بد لكل شخص من حتف أنف، أو قتل في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم [٧]، ويظهر أن ذلك الخوف من الموت، يدل على فكرٍ مُنحرف وعقيدة ضعيفة يستند لها المنافقون.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٩٠)

(٢) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعالبي(٨/ ٢٠)

(٣) انظر: المرجع السابق(٨/ ٢٠)

(٤) انظر: جامع البيان، للطبري (١٣٧/١٢).

(٥) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٦٩)

(٦) التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٦٠)

(٧) انظر: التفسير المنير للزحيلي (٢١/ ٢٦٩)

وفي قوله تعالى: **(وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا)**، أي: وإن نفعكم الفرار فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع إلا زماناً قليلاً، **(فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ)** (الأعراف:٣٤) [١]، وهذا تهديدٌ لهم لعله يعودوا إلى رشدهم.

ثم أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقرعهم بحجة أخرى لا يستطيعون الرد عليها، فقال: **(قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ، إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً)**، أي: وقل لهم أيضاً أيها الرسول: من هذا الذي يملك أن يدفع ما يريده الله تعالى بكم من خير أو شر، ومن نعمة أو نقمة، ومن موت أو حياة [٢].

ثم أكد هذا بقوله: **(وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً)** أي ولا يجد هؤلاء المنافقون ولياً ينفعهم، ولا نصيراً يدفع السوء عنهم. [٣]

٦. **المنافقون هم الأخطر على الأمة**

ثم بين سبحانه وتعالى عن إحاطة علمه بالمعوقين لغيرهم عن شهـــود الحرب، والقائلين لإخوانهم هلم إلينا، والتعبير القرآني يرسم هذه الصورة في لمسات فنية مبدعة لا سبيل إلى استبدالها أو ترجمتها في غير سياقها المعجز، فقال تعالى: **(قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ، وَالْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا)**[٤]، فالله سبحانه وتعالى يعلم على سبيل التحقيق المثبطين الذين يصرفون الناس ويثبّطونهم ، وهم فريق من المنافقين يصدون الناس عنه، ويمنعونهم من شهود الحرب معه، وهم الذين يقولون لإخوانهم في النفاق وكراهية الرسول وبغض الإسلام: هلم إلينا، أَي: انضموا إلينا، وتعالوا ودعوا محمدًا فلا تشهدوا معه حربًا، فإنا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه، وكانوا لا يقاتلون إلا قليلاً. [٥]

قال المفسرون: هؤلاء قوم من المنافقين كانوا يثبطون أنصار النبي ﷺ، وقالوا لهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس، ولو كانوا لحماً لالتهمهم أبو سفيان وحزبه، فخلوهم وتعالوا إلينا[٦].

قوله تعالى: (وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا): فيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنهم المنافقون قالوا للمسلمين ما محمد إلا أكلة رأس وهو هالك ومن معه فهلم إلينا.

الثاني: أنهم اليهود من بني قريظة قالوا لإخوانهم من المنافقين هلم إلينا أي تعالوا إلينا وفارقوا محمداً فإنه هالك وإن أبا سفيان إن ظفر لم يبق منكم أحداً.

---

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٦٩)

(٢) انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (١١/ ١٨٧)

(٣) انظر: تفسير المراغي (٢١/ ١٤٣)

(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٨٤٠)

(٥) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٦٢)

(٦) انظر: التفسير الوسيط، للواحدي (٣/ ٤٦٣)

الثالث: ما حكاه ابن زيد أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ انصرف من عنده يوم الأحزاب فوجد أخاه بين يديه شواء ورغيف فقال: أنت هكذا ورسول الله ﷺ بين الرماح والسيوف ، فقال له أخوه كان من أبيه وأمه، هلّم إليّ قد تُبع بك وبصاحبك أي قد أحيط بك وبصاحبك ، فقال له: كذبت والله لأخبرنه بأمرك وذهب إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجده قد نزل عليه جبريل عليه السلام بقوله تعالى: **(قَدْ يعلم الله المعوقين ..)** [١].

وقوله سبحانه: **(وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا)**: ذم لهم على جبنهم وخورهم، أي: أن من صفاتهم الأصيلة أنهم جبناء، ولا يقبلون على الحرب والقتال، إلا شيئاً قليلاً إذا اضطروا ، فهم تارة يخرجون مع المؤمنين، يوهمونهم انهم معهم، أو يخرجون معهم على سبيل الرياء والطمع في غنيمة [٢].

بعد أن فضحت الآيات السابقة ما في قلوبهم من زيغ، وما في نفوسهم من مرض، لا يزال النظم القرآني يعرض بعض صور المنافقين، فقال تعالى: **(أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ..)**، فهم بخلاء عليكم بالنفقة والنصرة وبكل ما فيه منفعة لكم، ثم أخبر عن جبنهم، فقال: **(فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ..)**، فإذا جاءَ الخوف من العدو، وحضر البأس والقتال، رأيتهم يا محمد ينظرون إليك في تلك الحالة تدور أعينهم في أحداقهم حائرة، كحال المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذرًا وخوفًا من الحرب، وذلك أن من قرب من الموت وغشيه أسبابه يذهب عقله ويشخص بصره، فلا يطرف [٣] ، ففي الآية تصويرٌ للخوف؛ كأنه شخصٌ يأتيهم فيرعبهم من شدة جبنهم، ويصور حالتهم بصورةٍ يراها الناظر، فالعيون تدور يمنةً ويسرة.

فقد وصفهم الله بالبخل والجبن، فهم حين البأس جبناء، وحين الغنيمة بخلاء، والبخل شبيه الجبن، فلما ذكر البخل بين سببه وهو الجبن والذي يدل عليه هو أن الجبان يبخل بماله ولا ينفقه في سبيل الله، قال قتادة: أما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوؤه مقاسمة، يقولون: أعطونا أعطونا، قد شهدنا معكم، وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق [٤].

ولقد كان للتشبيه في الآية الكريمة دوره المهم في الدلالة على اتصاف المنافقين بالخوف والاضطراب والقلق؛ كحال من ينازع الموت، لا يدري ماذا يجري عليه، فهو في أشد الأحوال وأصعبها؛ فكان التشبيه سبباً في كشف هذه الصورة وإظهارها، بحيث يراها كل من يقرأ الآية الكريمة صورةً نفسيةً واضحةً لا غبش فيها.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٤/ ١٥٢)، النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٨٤)،

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٧/ ٩٦)

(٣) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٦٣)

(٤) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٧٢)

(فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ..)، فإذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة وتحقق الأمن نسوا تلك الحال واجترأُوا عليكم، **(سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ)**، غلبوكم باللسان وآذوكم بالكلام وضربوكم بأَلسنة ذَرِبَةٍ فصيحة، يقولون: أعطونا فإنا قد شهدنا معكم القتال، فلستم أحق بالغنيمة منا، فهم عند الغنيمة أشح قوم وعند البأس أجبن قوم [١]، **(أشحةً على الخير)**: ورغم كل ما سبق من الصفات فهم بخلاء بالخير عامةً من غير تقييدٍ بنوعٍ من أنواعه.

ثم بين سبحانه وتعالى سوء مصيرهم فقال: **(أُولئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ وَكانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً)**، فأولئك المنافقون الموصوفون بما سبق من الصفات السيئة لم يؤمنوا إيمانًا صحيحًا نابعًا من قلوبهم، حيث أبطنوا خلافًا ما أظهروا، وأضمروا في قلوبهم الكفر وتظاهروا بالإسلام **(فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ)** بأن أظهر بطلانها وجعلها هباءً منثوراً، أو المراد أبطل تصنعهم ونفاقهم، [٢]، "وجمهور المفسرين على أن هذه الإشارة إلى منافقين لم يكن لهم قط إيمان، ويكون قوله فَأَحْبَطَ اللَّهُ أي أنها لم تقبل قط، فكانت كالمحبطة" [٣].

وتساءل الزمخشري بقوله: هل يثبت للمنافق عمل، حتى يرد عليه الإحباط؟ فأجاب: لا، ولكنه تعليم لمن عسى يظن أن الإيمان باللسان إيمان، وإن لم يواطئه القلب، وأن ما يعمل المنافق من الأعمال يجزى عليه، فبين أن إيمانه ليس بإيمان، وأن كل عمل يوجد منه باطل[٤].

{وَكانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً} فيه وجهان:

أحدهما: وكان نفاقهم على الله هيناً، **الثاني:** وكان إحباط عملهم على الله هيناً [٥]، وقد "خص يسر إحباط عملهم بالذكر مع أن كل شيء يسير عليه وذلك لبيان أن أعمالهم جديرة بالإحباط والإفساد، لصدورها عن قلوب مريضة، ونفوس خبيثة" [٦].

وقد صور صاحب الظلال ذلك فقال: وهذه صورة شاخصة، واضحة الملامح، وهي في الوقت ذاته مضحكة، تثير السخرية من هذا الصنف الجبان، الذي تنطق أوصاله وجوارحه في لحظة الخوف بالجبن، وأشد إثارة للسخرية صورتهم بعد أن يذهب الخوف ويجيء الأمن: «**فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ**»، فخرجوا من الجحور، وارتفعت أصواتهم بعد الارتعاش، وانتفخت أوداجهم بالعظمة، وادعوا في غير حياء، ما شاء لهم الادعاء، من البلاء في القتال والفضل في الأعمال، والشجاعة والاستبسال، ثم هم: «**أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ**»، فلا يبذلون للخير

---

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣١١)

(٢) انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (١١/ ١٩٠)

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٧٦)

(٤) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٥٣٤).

(٥) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٨٧)

(٦) التفسير الوسيط، لطنطاوي (١١/ ١٩٠)

شيئاً من طاقتهم وجهدهم وأموالهم وأنفسهم، وهذا النموذج من الناس لا ينقطع في جيل ولا في قبيل، فهو موجود دائماً، وهو شجاع فصيح بارز حيثما كان هناك أمن ورخاء، وهو جبان صامت منزوٍ حيثما كان هناك شدة وخوف، وهو شحيح بخيل على الخير وأهل الخير، لا ينالهم منهم إلا سلاطة اللسان، «**أُولئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ**»، فهذه هي العلة أن قلوبهم لم تخالطها بشاشة الإيمان، «**فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ**»، ولم ينجحوا لأن عنصر النجاح الأصيل ليس هناك«**وَكانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً**»، وليس هنالك عسير على الله، وكان أمر الله مفعولاً [١].

٧. **هتك ستر المنافقين وفضح سرائرهم**

ثم ختم سبحانه وتعالى هذا الحديث الجامع عن صفات المنافقين عند الشدائد والمحن فقال تعالى: **(يَحْسَبُونَ الْأَحْزابَ لَمْ يَذْهَبُوا)**، أى: أن هؤلاء المنافقين بلغ بهم الجبن والخور، أنهم حتى بعد رحيل الأحزاب عن المدينة، ما زالوا يحسبون ويظنون أنهم لم يذهبوا إلى ديارهم، فهم يأبون أن يصدقوا أن الله تعالى قد رد الذين كفروا بغيظهم، وفي هذه الجملة ما فيها من التهكم بالمنافقين، حيث وصفتهم بأنهم حتى بعد ذهاب أسباب الخوف، ما زالوا في جبنهم يعيشون [٢].

ثم بين سبحانه وتعالى حالهم فيما لو عاد الأحزاب على سبيل الفرض والتقدير فقال: **(وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِي الْأَعْرابِ)**، فلو عادت جيوش الأحزاب إلى مهاجمة المدينة مرة ثانية، تمنى هؤلاء المنافقون من شدة جزعهم أن يكونوا في البادية مع الأعراب [٣].

ثم بين سبحانه وتعالى تلهفهم على سماع الأخبار السيئة عن المؤمنين فقال: **(يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ)**، يسأل المنافقون القادمين من المدينة، والذاهبين إليها عن أخباركم، وما جرى لكم، أو يسأل بعضهم بعضاً عن الأخبار التي بلغته من أخبار الأحزاب[٤]، وقيل: "أن السؤال عن الأنباء الأنباء لقصد التجسس على المسلمين للمشركين وليسرهم ما عسى أن يلحق المسلمين من الهزيمة" [٥]

ثم يقرر القرآن هذه الحقيقة: **(وَلَوْ كَانُواْ فِيكم ما قاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا)**، أي ولو كان هؤلاء المنافقون معكم في ساحة المعركة لما قاتلوا إلا قتالاً يسيراً وزمناً قليلاً، لاستيلاء الجبن والضعف

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٨٤٠)

(٢) انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (١١/ ١٩٠)

(٣) انظر: المرجع السابق (١١/ ١٩٠-١٩١)

(٤) انظر: المرجع السابق (١١/ ١٩١)

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٣٠١)

عليهم، فهم لا يقاتلون عن رغبة، وإنما يقاتلون رياء ومخادعة [١]، "وهكذا تكشف الشدائد والمحن عن معادن الناس، وعن مطويات الضمائر، وما تخفى الصدور" [٢].

"وبهذا الخط ينتهي رسم الصورة، صورة ذلك النموذج الذي كان عائشاً في الجماعة الإسلامية الناشئة في المدينة والذي ما يزال يتكرر في كل جيل وكل قبيل، بنفس الملامح، وذات السمات، ينتهي رسم الصورة وقد تركت في النفوس الاحتقار لهذا النموذج، والسخرية منه، والابتعاد عنه، ذلك كان حال المنافقين والذين في قلوبهم مرض والمرجفين في الصفوف، وتلك كانت صورتهم الرديئة" [٣].

لقد كانت غزوة الأحزاب إحدى المنعطفات المهمة في تاريخ الإسلام والبشرية، ولقد كانت انتصاراً عظيماً للمسلمين، وإن المسلمين اليوم أحوج ما يكونون إلى العودة لدراسة سيرة نبيهم ﷺ، ومعرفة جهاده وبذله وتضحيته في سبيل الله عز وجل.

سابعاً: الهدايات المستنبطة من المقطع:

١. توجيه أنظار المسلمين إلى الخطر الداخلي الكبير الذي يمثله المنافقين، لذا تحدثت الآيات عن بعض صفاتهم، محذرة المسلمين من الوقوع فيها.
٢. من أهم صفات المنافقين التي يجب الابتعاد عنها: الشح والبخل والجبن وسلاطة اللسان وعدم حب الخير للآخرين [٤].
٣. إن واجب المسلمين اليوم الأخذ بسائر الأسباب استعداداً للجهاد في سبيل الله تعالى، مع اليقين التام بتحقق وعد الله بالنصر والتمكين.
٤. حتمية الصراع بين الإسلام والكفر بين قوى الإسلام وقوى الكفر.
٥. إن الصراع بين الإسلام والكفر صراعٌ بين الحق والباطل، وإن عنوان هذا الصراع بالنسبة للمسلم هو الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وإن هذا الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة.
٦. خطورة التخلف والقعود عن الجهاد؛ فإن ذلك أمارة من أمارات النفاق، ودلالة على عدم فهم الوقائع الحياتية، وسنة التدافع الكونية.
٧. تحريم تولية الأدبار عند ملاقاة العدو، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (اجتنبوا السبع الموبقات) قالوا: يا رسول الله وما هنَّ ؟ قال: **(الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم**

---

(١) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٧٣)
(٢) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٦٤)
(٣) انظر: المرجع السابق (١١/ ٦٧٧)
(٤) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن (٩٢/٦)

الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولِّي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات) [١].

٨. "تعظيم عهد الله، وما ينبغي أن يكون له في الناس من إكبار وإجلال" [٢].

٩. الأمور مقدرة لا يمكن الفرار مما وقع عليه القرار، فإذا قدر الله شيئاً فهو كائن لا محالة، فعلى الإنسان ألا يفر من قضاء الله بل يتلقاه بكامل الرضا والقبول، فمن حضر أجله، مات أو قتل، ولا ينفعه الفرار، ويكون تمتعه في الدنيا بعد الفرار إلى انقضاء الأجل زمنا قليلا، وكل ما هو آت فقريب [٣].

١٠. "إن النفع والضر بيده سبحانه، وليس لغيره في ذلك تصريف ولا تبديل". [٤].

١١. إن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه هو قدوة المجاهدين وقائدهم وإمام المسلمين وأسوتهم، قد سن لنا منهج التضحية والبذل في سبيل الله أوضح ما يكون؛ هجر الأوطان، وقاتل وضرب بيده الشريفة، وواجب على كل مسلم متابعته ﷺ في ذلك.

١٢. أهمية الصلاة وكثرة الدعاء وبخاصة في المواقف الحرجة، فقد كان ﷺ في غزوة الأحزاب يكثر من الصلاة، وجاءه حذيفة يخبره بخبر القوم، والرسول ﷺ يصلي في آخر الليل حتى أدخله في ردائه ﷺ من شدة البرد، وكان يدعو الله جل وعلا بأن ينصر دينه، ويعلي كلمته، ويعز جنده ﷺ.

١٣. التفاؤل رغم الألم: مع هذا الضيق الذي حل بالصحابة، وبرسول الله ﷺ ولما جاءه خبر نقض بني قريظة للعهد، قال ﷺ: " **الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين**"[٥].

١٤. إن أهل الكتاب لا سيما اليهود أهل الغدر والخيانة، وإن موالاتهم ومعاونتهم على حرب المسلمين عنوان الكفر والردة، فليحذر أناسٌ يسارعون اليوم فيهم أن يُحشروا معهم إن هم ماتوا في عدادهم، فإنه من يتولهم منا فإنه منهم.

١٥. مشروعية الخدعة في الحرب، كما فعل نعيم بن مسعود الأشجعي الذي استطاع بدهائه وحيلته بذر بذور الفرقة بين العرب وبين اليهود، ونجح في خدعته، كما تقدم بيانه [٦].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب: الحدود، باب: رمي المحصنات، ح(٦٨٥٧)(١٣٥٧/٤)

(٢) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٦٧)

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٦١)

(٤) تفسير المراغي (٢١/ ١٤٣)

(٥) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٩٤٢)

(٦) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٨٣)

١٦. الشورى، فقد كان الرسول ﷺ دائمًا يشاور أصحابه امتثالًا لأمر الله تعالى له، وكان يأخذ بالرأي السديد من أيّ شخص كان، فقد شاور الرسول ﷺ أصحابه في غزوة الخندق، وفي غزوة بدر، وفي أسارى بدر، وفي غزوة أحد، وفي غيرها من المواقف الكثيرة، قال ابن القيم: "ومنها استحباب مشاورة الإمام رعيته وجيشه استخراجاً لوجه الرأي واستطابة لنفوسهم، وأمناً لعتبهم، وتعرفاً لمصلحة يختص بعلمها بعضهم دون بعض، امتثالاً لأمر الله "[١].

(١) زاد المعاد، لابن القيم (٢/ ١٤١)

المقطع السادس

الرسول هو الأسوة الحسنة، وأصحابه هم النموذج الفريد في التضحية

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) (الأحزاب: ٢١-٢٤)

أولاً: سبب النزول:

قوله تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد، وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء؛ يعني: أصحابه، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء؛ يعني: المشركين، ثم تقدم، فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ! الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أُحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربةً بالسيف، أو طعنةً برمح، أو رميةً بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه **{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ}**[1].

ثانياً: المناسبة:

لما فرغ سبحانه وتعالى من الحديث عن المنافقين وذَكَرَ صفاتهم، ذكر حال المؤمنين في عمومهم ثناءً على ثباتهم وتأسيهم برسول الله ﷺ ووصف المؤمنين بأنهم استمروا على العهد والميثاق فوفوا بعهدهم الذي عاهدوا الله أنهم لا يفارقون نبيه إلا بالموت[2].

ثالثاً: التحليل اللغوي:

---

(١) انظر: أسباب النزول، للواحدي (٣٧٢)، الدر المنثور، للسيوطي (٣٦٤/٥)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤٧٥/٣)، وقد أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: قول الله: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ)، ح(٢٨٠٥)، (٤/ ١٩).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٩٢)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٣٠٢).

١. **(أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)**: قدوة صالحة [١].

٢. **(لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ)** أي: يأمل رضا الله، وثواب اليوم الآخر [٢]، والرجاء بمعنى الأمل، وهو توقع الخير [٣]، واليوم الآخر: هو يوم القيامة، وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده.

٣. **(وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)**: "يحتمل وجهين: **أحدهما**: أي استكثر من العمل بطاعته تذكراً لأوامره. و**الثاني**: أي استكثر من ذكر الله خوفاً من عقابه ورجاء لثوابه" [٤].

٤. **(هذا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ)** "من الابتلاءِ والنصر" [٥].

٥. **(وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ)** أَي: ظهر صدق خبر الله ورسوله في الوعد [٦].

٦. **(تَسْلِيمًا)**: انقيادًا لأَوامره الله ورسوله[٧].

٧. **(مَا عَاهَدُواْ اللَّهَ عَلَيْهِ)**: أي وفّوا بما عاهدوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة من الثبات معه والمقاتلة لمن قاتله، وقيل هم الذين نذروا أنهم إذا لقوا حرباً مع رسول الله ﷺ ثبتوا له ولم يفروا[٨]. [٨].

٨. **(نَحْبَهُ)**: النحب في كلام العرب: النذر والعهد والشيء الذي يلزمه الإنسان على نفسه، ويجب الوفاء به، وقد يسمى الموت نحباً [٩]، "فيقال قضى فلان نحبه: أي وفي بنذره، والمراد به انقضاء الأجل"[١٠]، فكلمة النحب: تحتمل عدة معاني متنوعة تبين سر انتقاء هذه الكلمة؛ لتعطي دلالات تشير إلى أنواع من النفوس المؤمنة التي تسعى لرضوان الله بمظاهر عدة.

"وقدر نذر المؤمنون إذا لقوا حرباً مع الرسول ﷺ أن يثبتوا في المعركة"[١١]

---

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣١١)، التفسير الوسيط ، مجمع البحوث (٨/ ١٦٥)

(٢) انظر: التفسير الوسيط ، مجمع البحوث (٨/ ١٦٥)، تفسير البغوي (٣/ ٦٢٤)

(٣) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥٣١)، تفسير ابن فورك (٢/ ٩٧)

(٤) النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٨٨)

(٥) التفسير الوسيط ، مجمع البحوث (٨/ ١٦٥)

(٦) المرجع السابق (٨/ ١٦٥)

(٧) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٧٧)، التفسير الوسيط ، مجمع البحوث (٨/ ١٦٥)

(٨) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٦٨)، النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٨٩)

(٩) انظر: تفسير القرطبي (١٤/ ١٥٨)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٣٠٧)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٧٨)

(١٠) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٨١)

(١١) تفسير ابن فورك (٢/ ٩٨)

٩. **(وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً)**: أي: وما غيروا عهدهم ولا نقضوا شيئاً منه[١].

رابعاً: البلاغة:

١. **(وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)**: وإظهار الاسم الجلالة واسم الرسول بعد قوله (ما وعدنا الله ورسوله)، للتعظيم[٢]، أي ظهر صدق خبرهما.

٢. **(رجالٌ)**: جاءت كلمة (رجال): نكرة للدلالة على التفخيم والتعظيم[٣]، والإخبار عنهم برجال زيادة في الثناء، لأن الرجل مشتق من الرجل وهي قوة اعتماد الإنسان، فكانوا رجالاً حقّاً، قد كملت رجولتهم، ولم ينتقص من إنسانيتهم شيء[٤].

٣. **(فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ)**: استعارة تصريحية، لأن النحب حقيقة في النذر، فاستعير للموت؛ لأنه نهاية كل حي، فكأنه نذرٌ لازمٌ في رقبة الإنسان[٥].

٤. **(وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)**: جناس الاشتقاق، وفيه التعريض بالمنافقين، وأصحاب مرض القلب، فإنهم ينقضون العهود، ويبدلون العقود[٦].

٥. **(لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ)**: "إظهار اسم الجلالة في مقام إضماره للدلالة على عظمة الجزاء"[٧]، والجزاء هو الثواب، "ولم يذكر القرآن ما يجزيهم الله به، إشارة إلى أنه جزاء معروف، وهو الإحسان، فما يجزى المحسنون إلا إحساناً، كما يقول سبحانه: **(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)**(الرحمن:٦٠) فهو جزاء لا يحتاج إلى بيان"[٨].

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٦٨)، فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٧٠)، النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٩٠)

(٢) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٤/ ٢٢٩)، إعراب القرآن وبيانه، للزجاج (٧/ ٦٢٣)

(٣) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٣٠٧)، التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٨٠)

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٣٠٧)

(٥) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٣٠٨)، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، القرآن، للهرري (٢٢/ ٥٠٥)

(٦) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٣٠٨)، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، القرآن، للهرري (٢٢/ ٥٠٥)

(٧) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٣٠٩)

(٨) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٨٢)

٦. **(وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ)**: والمراد من تعليق تعذيب المنافقين بالمشيئة: تنبيه لهم بسعة رحمة الله، وأنه لا يقطع رجاءهم في السعي إلى مغفرة ما أتوه بأن يتوبوا فيتوب الله عليهم، وأن أن أمر العذاب أو الرحمة، موكول لمشيئته تعالى [١].

٧. **(إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيما)**: "تعليل للجزاء والتعذيب كليهما على التوزيع، أي غفورٌ للمذنب إذا أناب إليه، رحيمٌ بالمحسن أن يجازيه على قدر نصبه" [٢].

خامساً: القراءات:

- **(أُسْوَةٌ)**: قرأها عاصم بضم الألف.
- **(إِسْوَةٌ)**: وقرأها الباقون بكسرها. [٣]

توجيه القراءات:

أسوة بالضم أو الكسر لغة من لغات ومعناهما واحد، يعني: لقد كان لكم اقتداء بالنبي ﷺ وقدوة حسنة، وسنة صالحة [٤].

سادساً: المعنى الاجمالي:

١. التأسي برسول الله ﷺ

بين الله سبحانه وتعالى على جهة الموعظة بأنه يجب على كل مسلم الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ، فقال تعالى: **(لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ، وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)**، فقد كان رسول الله ﷺ على الرغم من الهول المرعب والضيق المجهد، مثابة الأمان للمسلمين، ومصدر الثقة والرجاء والاطمئنان [٥].

ولقد أعطى الإسلام جانب القدوة الحسنة اهتماماً كبيراً حيث لم يقف الأمر عند إنزال الكتاب على الرسل الكرام والحديث عن قصصهم وعرض سيرتهم، بل أمر باتباعهم والاقتداء بهم، فقال تعالى: [**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ**] {الأنعام:٩٠}، فالرسول ﷺ هو قدوةٌ حسنةٌ في مختلف شؤون الحياة السعيدة التي ترنو لها النفوس السوية، ومنارة الاقتداء إلى التعاليم الدينية والقيم الأخلاقية.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٣٠٩)، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري (٢٢/ ٥٠٥)

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٣٠٩)

(٣) جامع البيان، للطبري (٢٠/ ٢٣٥)

(٤) انظر: جامع البيان، للطبري (٢٠/ ٢٣٥)، بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٥٣)

(٥) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٢٨٤١)

ولقد اعتبر ابن كثير وغيره من المفسرين أن هذه الآية أصلاً كبيراً في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وسائر أحواله، ولهذا أمر الحق تبارك وتعالى الناس جميعاً بالاقتداء بالنبي الكريم في غزوة الأحزاب في صبره ومصابرته وانتظاره الفرج من ربه[١].

وفي هذه الآية عتاب من الله للمتخلفين عن القتال مع رسول الله ﷺ يوم الأحزاب، وهذه الآية وإن سيقت للاقتداء به عليه السلام في أمر الحرب من الثبات في القتال ونحوه، فهي عامة للاقتداء به في كل أفعاله "ما لم يُعلم أنها من خصوصياته" [٢].

"قال المفسّرون في تفسيرها: يعني لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ صالحة بأن تنصروه وتؤازروه ولا تتخلّفوا عنه ولا ترغبوا بأنفسكم عن نفسه وعن مكان هواه، كما فعل هو إذ كسرت رباعيته، وجرح فوق حاجبة وقتل عمّه حمزة، وأوذي بضروب الأذى فواساكم مع ذلك بنفسه، فافعلوا أنتم أيضاً كذلك واستنّوا بسنّته" [٣].

وقد جمع الله سبحانه وتعالى بين الرجاء والإكثار من ذكره، لأن التأسى التام بالرسول ﷺ لا يتحقق إلا بهما [٤].

وقد أورد الإمام القرطبي في تفسيره اختلاف العلماء في مسألة التأسي برسول الله ﷺ هل هي على سبيل الإيجاب أم على سبيل الاستحباب، فذكر قولين ؟

القول الأول: أنه على سبيل الإيجاب حتى يقوم دليل على الاستحباب.

القول الثاني: أنه على سبيل الاستحباب حتى يقوم دليل على الإيجاب.

ثم قال: ويحتمل أن يحمل على الإيجاب في أمور الدين وعلى الاستحباب في أمور الدنيا [٥].

٢. **الصحابة هم النموذج الفريد في التضحية**

ثم بيّن سبحانه وتعالى صورة عملية للصحابة في اقتدائهم برسولهم الكريم ﷺ، وهو ما كان منهم عند رؤيتهم للأحزاب وجيوش الكفار التي أحاطت بهم كالبحر العباب، فقال تعالى: **(وَلَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا...)** [٦]، فهؤلاء المؤمنون حين رأوا الأحزاب لم يهنوا، ولم يضعفوا، ولم ترهبهم كثرة العدوّ، ولم يفزعهم الموت المطلّ عليهم من كل مكان، فالموت في هذا الموطن هو أمنيتهم التي كانوا يتمنونها، ويقدمونها ثمناً لإعلاء كلمة الله، ولهذا

---

(١) تفسير ابن كثير(٣/٥٢٢)

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري (٢٠/ ٢٣٥)، فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣١١)، التفسير الوسيط ، مجمع البحوث (٨/ ١٦٦)

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعالبي (٨/ ٢٢)

(٤) انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (١١/ ١٩٤)، التفسير الوسيط ، مجمع البحوث (٨/ ١٦٦)

(٥) انظر: تفسير القرطبي (١٤/ ١٥٦)

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٩١)، فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣١٢)

فإنهم حين رأوا الأحزاب، رأوا فيهم تحقيق ما وعدهم الله ورسوله به، من الابتلاء والبلاء على طريق الجهاد في سبيل الله، فالمؤمنون دائماً على طريق الجهاد [١].

واختلف المفسرون في المراد بوعد الله ورسوله، فقيل: وعد الله ورسوله ما نزل في سورة البقرة من قوله: **(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)** (البقرة:٢١٤)، "وكانت آية البقرة نزلت قبل وقعة الأحزاب بعام" [٢]، فلما رأى المؤمنون الأحزاب يوم الخندق، **(قَالُواْ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ)** [٣]، **وقيل:** أرادوا ما أعلمهم به رسول الله ﷺ حين أمر بحفر الخندق، بأنهم سيحاصرون وسينصرون بعد ذلك، فلما رأوا الأحزاب، استبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله إذ وعدنا بالنصر بعد الحصار و**(قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ)** [٤]. [٤].

قال الفقيه الإمام القاضي: "ويحتمل أن يكون المؤمنون نظروا في هذه الآية، وفي قول رسول الله ﷺ عند أمرهم بحفر الخندق، وأشاروا بالوعد إلى جميع ذلك" [٥].

ثم قال: **(وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً)** أي : وما زادهم ما رأوه إلا تصديقاً بوعد الله لهم، وتسليماً لأمره وقضائه، وفي الآية شهادة لاتصاف المؤمنين باليقين وقوة الإيمان والله أعلم.

٣. رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه

ثم أثنى الله عز وجل على رجال من المؤمنين الصادقين الذين عاهدوا الله تعالى على الاستقامة التامة، ثم فصل سبحانه حالهم، وقسمهم إلى قسمين؛ **قسم (قضى نحبه):** أي من المؤمنين رجال أدركوا أمنيتهم، وقضوا نحبهم ووفوا بنذرهم وعهدهم فقاتلوا حتى قتلوا[٦] ، **(ومنهم من ينتظر)** الذي ينتظر قضاء نحبه حتى يحضر أجله، كبقية الصحابة الذين نزلت هذه الآية وهم ما زالوا على قيد الحياة، فإنهم مستمرون على الوفاء بما عاهدوا الله عليه من الثبات مع رسول الله ﷺ، والقتال لعدوه، ومنتظرون لقضاء حاجتهم وحصول أمنيتهم بالقتل، وإدراك فضل

---

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٧٩)

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٣٠٤)

(٣) انظر: جامع البيان، للطبري (٢٠/ ٢٣٦)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعالبي (٨/ ٢٢)، النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٨٨)

(٤) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٧٧)، البحر المحيط في التفسير، لأبي لأبي حيان (٨/ ٤٦٧)، النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٨٩)

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٧٧)

(٦) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٣٠٧)، فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٦٩/١١)

الشهادة.[١] ، "وهذه الصورة الوضيئة لهذا النموذج الفريد من المؤمنين تذكر هنا تكملة لصورة الإيمان، في مقابل صورة النفاق والضعف ونقض العهد من ذلك الفريق، لتتم المقابلة في معرض التربية بالأحداث وبالقرآن".[٢]

وفي قوله تعالى: **(ومنهم من يَنْتَظِر)**: "إشارة إلى أن المؤمن الصادق الإيمان، ينتظر لقاء ربّه، وهو في شوق إلى هذا اللقاء، يعدّ له اللحظات، ويستطيل أيام الحياة الدنيا، في طريقه إلى ربه، شأن من ينتظر أمراً محبوباً هو على موعد معه"[٣].

وفي وقوله تعالى: **(وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)**: "إشارة إلى أن إيمانهم بالله، ويقينهم بلقائه لم يزل مكانه من قلوبهم لحظة، ولم ينحرف عن موضعه أي انحراف، فهم على حال واحدة من أمر ربّهم"[٤]، وفيها ذم وتعريض بمن بدل عهده؛ كالمنافقين.

٤. الحكمة من هذا الابتلاء

ثم بين الله سبحانه وتعالى الحكمة من هذا الابتلاء والاختبار، وعاقبة النقض والوفاء وتفويض الأمر كله لمشيئة الله، فقال: **(لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ)**، فالله سبحانه يختبر عباده بالخوف والشدائد والمحن ليميز الخبيث من الطيب، فيظهر أَمر هذا وذاك، ويكافئ الصادقين بصدقهم في إيمانهم ووفائهم، ويعذب المنافقين الذين كذبوا ونقضوا العهد وأخلفوا أوامره، والكل تحت مشيئة الله في الدنيا، إن شاء بقوا على ما هم عليه حتى يلقوه، فيعذبهم، وإن شاء تاب عليهم بأن أرشدهم إلى الإقلاع عن النفاق إلى الإيمان والعمل الصالح بعد الفسوق والعصيان، ولما كانت رحمته ورأفته بخلقه هي الغالبة لغضبه قال: **(إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً)** حيث ستر ذنوبهم، ووفقهم إلى التوبة، وهذا حث على التوبة والإيمان قبل فوات الأوان[٥].

سابعاً: الهدايات المستنبطة من المقطع:

١. وجوب الاقتداء والتأسي برسول الله ﷺ فهو الأسوة الحسنة[٦].

٢. "إن من مستلزمات الايمان بالله واليوم الاخر اتباع الرسول"[٧].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٧٨)، فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٧٠)

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٨٤٤)

(٣) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٨١)

(٤) المرجع السابق (١١/ ٦٨١)

(٥) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٧٠)، التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٧٦)

(٦) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٣٠٣)، أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٥٩)

(٧) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن (٩٩/٦)

٣. مشروعية كثرة الذكر، فإنه يغرس شجرة الإيمان في القلب، وكلما ازداد العبد ذكراً لله قوي إيمانه، وقد ذكر ابن القيم أن للذكر مائة فائدة، عدد منها ثلاثاً وسبعين فائدة: منها "أنه يطرد الشيطان، ويرضي الرحمن، ويزيل الهم والغم، ويجلب الفرح والسرور، ويقوي القلب والبدن، وينور الوجه والقلب، ويجلب الرزق، وغير ذلك مما ذكره رحمه الله"[١] .

٤. ثناء الله تعالى على المؤمنين الصادقين، فهم مصدقون واثقون بوعد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولم تزدهم المحنة والابتلاء والنظر إلى الأحزاب إلا إيماناً بالله وتسليماً لقضائه [٢]، "فهم أولاً رجال مؤمنون حقاً، صادقون في عهودهم مع الله تعالى، باعوا أنفسهم له وضحوا بها في سبيله حتى آخر لحظة من حياتهم، ولهذا وجب تعظيمهم واحترامهم رضى الله عنهم أجمعين" [٣].

٥. "وجوب الثقة بوعد الله ورسوله" [٤].

٦. أنّ الإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، كما قال تعالى: **(وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً)** [٥]، وهذا قول جمهور الأئمة، ومذهب أهل السنة والجماعة.

٧. "ذم الانهزاميين الناكثين لعهودهم الجبناء من المنافقين وضعاف الإيمان"[٦] .

---

(١) انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم (٨٤-٨٤)

(٢) انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٥٩)، التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٨٦)

(٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن (٩٩/٦)

(٤) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٧٥)

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٩٢)، التفسير الوسيط ، مجمع البحوث (٨/ ١٦٧)

(٦) أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٥٩)

المقطع السابع

نتيجة المعركة، ونتيجة خيانة اليهود

(وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) (الأحزاب: ٢٥-٢٧)

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر الله تعالى المؤمنين بنعمه عليهم بأن أرسل على أعدائهم جنوداً لم يروها، وبين أحوال المنافقين والصادقين وما له في ذلك من الأسرار، قال مذكراً بأثرهما فيما خرقه من العادة بصرف الأعداء على كثرتهم وقوتهم على حالة لا يرضاها لنفسه عاقل[١].

ثانياً: التحليل اللغوي:

١. **(الَّذِينَ كَفَرُوا)**: يعني الأحزاب[٢]، وعبر عنهم بالذين كفروا "للإيماء إلى أن كفرهم هو سبب خيبتهم العجيبة الشأن"[٣].

٢. **(بِغَيْظِهِمْ)**: "بغمهم وكربهم"[٤]، والغيظ: أشد الحنق والغضب[٥].

٣. **(لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا)**: لم يصيبوا من محمد ﷺ وأصحابه ظفراً ولا مغنماً[٦]، وسماه خيرًا؛ "لأن ذلك كان خيرًا عندهم، فجاء على استعمالهم وزعمهم"[٧]

٤. **(وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ)**: بجنود من الملائكة والريح[٨]، فلم يحوجهم إلى قتال[٩].

٥. **(وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا)**: قَوِيًّا على إحداث ما يريده، غالباً لا يغالبه أحد من خلقه[١٠].

---

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١٥/ ٣٣١)

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري (٢٠/ ٢٤٢)، التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٧٠)

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٣١٠)

(٤) جامع البيان، للطبري (٢٠/ ٢٤٢)

(٥) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٣١٠)، التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٧٠)

(٦) انظر: محاسن التأويل، للقاسمي (٨/ ٥٩)، النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٩١)

(٧) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري (٢٢/ ٤٧٩)

(٨) انظر: جامع البيان، للطبري (٢٠/ ٢٤٢)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥٣٣)

(٩) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٦٤)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٣١٠)

(١٠) انظر: محاسن التأويل، للقاسمي (٨/ ٥٩)، فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٧١)

٦. **(ظَاهَرُوهُمْ)**: عاونوهم ووقفوا وراءهم يشدون أزرهم[١].

٧. **(مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ)**: يهود بني قريظة[٢]، وقيل: بنو النضير[٣].

٨. **(صَياصِيهِمْ)**: حصونهم وقلاعهم[٤]، جمع صِيصيَة، وهو: كل شيء يتحصن به[٥]، و"كانت حصوناً حصينة، يعيش فيها هؤلاء القوم، ويجدون في ظلها الحماية من كلّ عدو يريدهم"[٦].

٩. **(الرُّعْبَ)**: "الخوف"[٧].

١٠. **(فَرِيقاً تَقْتُلُونَ)**: الرجال المقاتلون[٨].

١١. **(وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً)**: النساء والصبيان[٩].

١٢. **(وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُم وَأَمْوَالَهُم)**: المراد: بالأرض: النخل والمزارع والعقار، وبالديار: المنازل والحصون، وبالأموال: الحلي، والأثاث، والمواشي، والسلاح، والدراهم[١٠].

ثالثاً: البلاغة:

١. **(وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا)**: إظهار اسم الجلالة دون ضمير المتكلم؛ "للتنبيه على عظم شأن هذا الرد العجيب".[١١]

٢. **(فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً)**: تقديم المفعول في الأول وتأخيره في الثاني؛ للاهتمام بذكره، لأن الرجال لما كانوا أهل الشوكة وكان الوارد عليهم أشد الأمرين وهو القتل كان الاهتمام بتقديم ذكرهم أنسب بالمقام فبدأ بالأهم فالأهم.[١٢]

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٤/ ١٦١)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٨٠)، مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٦٤)

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٩٨)، التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٧٢)

(٣) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٨٠)، البحر المحيط في التفسير، لأبي لأبي حيان (٨/ ٤٦٩).

(٤) محاسن التأويل، للقاسمي (٨/ ٦٤)

(٥) انظر: جامع البيان، للطبري (٢٠/ ٢٤٣)، فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣١٥)

(٦) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٨٥)

(٧) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٣١٢)

(٨) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٦٤)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٣١٢)

(٩) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣١٦)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٣١٢)

(١٠) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣١٦)، فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١١/ ٧٤)

(١١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٣١٠)

(١٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٦٤)، فتح البيان في مقاصد القرآن، للخطيب (١١/ ٧٣)

رابعاً: المعنى الاجمالي:

١. نهاية معركة الأحزاب

رجوعاً إلى بقية القصة، وتفصيلاً لتتمة النعمة المشار إليها إجمالاً بقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا}**، يقول الله تعالى مخبراً عن الأحزاب لما أَجلاهم عن المدينة بما أَرسل عليهم من الريح والجنود الإلهية: **(وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً)**، "فقد ردّ الله الأحزاب «بغيظهم» فهذا الغيظ هو محصّلهم من هذه الغزوة التي كانوا يمنّون أنفسهم فيها بالنصر والغنيمة، فبدلا من أن يعودوا إلى أهليهم محمّلين بالغنائم، وبأهازيج الفرح والزهو، عادوا يحملون الغيظ والكمد، ويتلفعون بالخزي والذلة" [١] ، فلم ينالوا خيراً من غزوهم للمؤمنين، فقد أَلقى الله الرعب في قلوبهم فولوا مهزومين مدحورين، وكفى الله المؤمنين القتال ولم يحتاجوا إلى منازلتهم ومبارزته، بل كفى الله المؤْمنين قتلهم وحده، ونصر عبده، وأعز جنده بجنود من الريح والملائكة، وقيل: المراد علي بن أبي طالب ومن معه، برزوا للقتال ودعوا إليه. وقتل علي من الكفار عمرو بن عبيد مبارزة، حين طلب عمرو المبارزة، فخرج إليه علي، فقال: إني لا أوثر قتلك لصحبتي لأبيك، فقال له علي: فأنا أوثر قتلك، فقتله علي مبارزة، واقتحم نوفل بن الحارث، من قريش، الخندق بفرسه، فقتل فيه. وقتل من الكفار أيضاً: منبه بن عثمان، وعبيد بن السباق. واستشهد من المسلمين، في غزوة الخندق: معاذ، وأنس بن أوس بن عتيك، وعبد الله بن سهل، وأبو عمرو، وهم من بني عبد الأشهل والطفيل بن النعمان، وثعلبة بن غنمة، وهما من بني سلمة وكعب بن زيد، من بني ذبيان بن النجار، أصابه سهم غرب فقتله، ولم تغز قريش المسلمين بعد الخندق، وكفى الله مداومة القتال وعودته بأن هزمهم بعد ذلك، وذلك بقوته وعزته [٢].

ولقد ظهرت حكمة الله تعالى في غزوة الأحزاب في إغاظة أعداء الله من خلال ردهم خائبين مفرَّقين مشتتين على عكس ما جاؤوا به من الاجتماع على حرب الله ورسوله ﷺ، ولقد كان في تسليط الريح عليهم لتفريق شملهم معاني بديعة من التأييد الإلهي واجتماع الجنود الكونية على رد أعداء الله تعالى، وذكر الحافظ ابن كثير كلاماً نفيساً في هذا المعنى حيث قال رحمه الله:" يقول تعالى مخبراً عن الأحزاب لما أجلاهم عن المدينة بما أرسل عليهم من الريح والجنود الإلهية، فسلط عليهم هواءً فرَّق شملهم، كما كان سبب اجتماعهم من الهوى، وهم أخلاطٌ من قبائل شتى أحزاب وآراء، فناسب أن يرسل عليهم الهواء الذي فرق جماعتهم وردهم خائبين خاسرين بغيظهم

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٨٣)

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٧٩)، البحر المحيط في التفسير، لأبي لأبي حيان (٨/ ٤٦٩)

وحنقهم لم ينالوا خيراً في الدنيا، مما كان في أنفسهم من الظفر والمغنم، ولا في الآخرة بما تحملوه من الآثام في مبارزة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بالعداوة، وهمِّهم بقتله واستئصال جيشه، ومن همَّ بشيء وصدق همَّه بفعله فهو في الحقيقة كفاعله"[١].

وفي قوله تعالى: **(وكفى الله المؤمنين القتال)**: إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش، وهكذا وقع بعدها، لم يغزهم المشركون، بل غزاهم المسلمون في بلادهم، قال محمد بن إسحاق: لما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله ﷺ فيما بلغنا: "لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا، ولكنكم تغزونهم" فلم تغز قريش بعد ذلك، وكان هو يغزوهم بعد ذلك، حتى فتح الله عليه مكة. قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: الْآنَ نَغْزُوهُمْ، وَلَا يَغْزُونَا"[٢].

وفي الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى، قَالَ: دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْأَحْزَابِ، فَقَالَ: **«اللهُمَّ، مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللهُمَّ، اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ»**[٣].

وفي قوله تعالى :**(وَكانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً)**: بيان لما الله سبحانه وتعالى من سلطان قاهر، وقوة غالبة، فلا يملك أحد مع سلطان الله سلطان، ولا مع قوة الله قوة[٤]

٢. غزوة بني قريظة:

ثم ختم سبحانه وتعالى الحديث عن غزوة الأحزاب، ببيان ما حل بيهود بني قريظة من عذاب مهين، بسبب نقضهم لعهودهم فقال: **(وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ)**.

وقصة غزوة بني قريظة مفصلة بأدلتها وأحاديثها في كتاب السير والأحاديث، وقد أفردت خلاصة هذه الغزوة من كتب التفسير:[٥]

لما أيد الله تعالى نبيه بنصره، ورد أعداءه بغيظهم فلم ينالوا خيراً وكفاهم القتال، رجع النبي ﷺ إلى المدينة منصوراً، ووضع الناس السلاح، أرسل الله جبريل عليه السلام، فأوحى إلى

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥٢٢/٦)

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٩٦)، التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٧١)، مسند أحمد، (ح: ١٨٣٠٩)، (٣٠/ ٢٤١)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، (ح:٢٩٣٣) (٤/ ٤٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، بَابُ: اسْتِحْبَابِ الدُّعَاءِ بِالنَّصْرِ عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ، (ح:١٧٤٢)،(٣/ ١٣٦٣)

(٤) انظر: التفسير القرآني للقرآن (١١/ ٦٨٤)

(٥) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٨٠)، البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٨/ ٤٧٠-٤٧١)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥٣٣-٥٣٤)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٩٧-٣٩٩)، التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٧٨-٢٧٩)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٢٨٤٦-٢٨٤٩)، الرحيق المختوم، للمباركفوري (ص: ٢٨٨-٢٩٠)

رسول الله ﷺ قائلا: «إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تنهض إلى بني قريظة» فنهض رسول الله ﷺ من فوره، وأمر الناس بالمسير إلى بني قريظة، وذلك بعد صلاة الظهر، وقال ﷺ: «لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة» فسار الناس، فأدركتهم الصلاة في الطريق، فصلى بعضهم في الطريق، وقالوا: لم يرد منا رسول الله ﷺ إلا تعجيل المسير، وقال آخرون: لا نصليها إلا في بني قريظة، فلم يعنّف واحداً من الفريقين.

وتبعهم رسول الله ﷺ، وقد استخلف على المدينة ابن أمّ مكتوم رضي الله عنه، وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم نازلهم رسول الله ﷺ، وحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، فلما طال عليهم الحال، نزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس رضي الله عنه لأنهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية.

فلما جاء سعد، قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى سيدكم» فقام إليه المسلمون إعظاماً وإكراماً واحتراماً له في محل ولايته، فلما جلس قال له رسول الله ﷺ: «إن هؤلاء– وأشار إليهم– قد نزلوا على حكمك، فاحكم فيهم بما شئت»، فقال: وحكمي نافذ عليهم؟ قال ﷺ: «نعم» قال: وعلى من في هذه الخيمة؟ قال: «نعم» قال: وعلى من هاهنا؟ وأشار إلى الجانب الذي فيه رسول الله ﷺ، وهو معرض بوجهه عن رسول الله ﷺ إجلالاً وإكراماً وإعظاماً، فقال له رسول الله ﷺ: «نعم»، فقال رضي الله عنه: إني أحكم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم وأموالهم، فقال له رسول الله ﷺ: «لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة» أي سبع سموات.

ثم أمر رسول الله ﷺ بالأخاديد، فخدّت في الأرض، وجيء بهم مكتّفين، فضرب أعناقهم، وكانوا ما بين السبع مائة إلى الثمان مائة، وسبى من لم ينبت منهم مع النساء وأموالهم، لذا قال تعالى: **(وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، فَرِيقاً تَقْتُلُونَ، وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً)** أي وألقى في نفوسهم الخوف الشديد، لممالأتهم المشركين على حرب النبي ﷺ، وإخافتهم المسلمين، وقصدهم قتلهم، فانعكس الحال عليهم، وأسلموا أنفسهم للقتل، وأولادهم ونساءهم للسبي، فريقا تقتلون، وهم الرجال المقاتلة، وتأسرون فريقا، وهم النساء والصبيان.

وقد اخُتلف في عدد المقتولين والمأسورين، فقيل: "كان المقتولون من ستمائة إلى سبعمائة، وقيل: ستمائة، وقيل: سبعمائة، وقيل: ثمانمائة، وقيل: تسعمائة، وكان المأسورون سبعمائة، وقيل: سبعمائة وخمسين، وقيل: تسعمائة"(١).

ولقد كان من الضروري محاسبة أهل الغدر والخيانة، ومن الضروري أيضاً أن لا تمر جريمة اليهود في نقضهم العهد في أحلك ظرف مر بالدولة الإسلامية الفتية دون عقاب.

---

(١) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣١٦)

ولم تكن هذه المحاسبة تشفياً وانتقاماً للمسلمين ممن غدر بهم، وإنما كانت أمراً ربانياً نزل به جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ بعد أن وضع المسلمون السلاح، ولما أجاب الجيش المسلم المنهك النداء الرباني على الفور كان الوفاء بوعد النصر من الله تعالى.

"وهكذا ذهب هذا الداء الذي كان يعيش في كيان المدينة، ويموج بالفتن فيها، وهكذا تم إستئصال أفاعي الغدر والخيانة، والذين كانوا قد نقضوا الميثاق المؤكد، وعاونوا الأحزاب على إبادة المسلمين في أحرج ساعة كانوا يمرون بها في حياتهم، وهكذا نفت المدينة خبثها، ولبست اسماً جديداً لها هو «طيبة»، إذ قد طابت الحياة للمسلمين فيها بعد ذهاب هذا الخبث عنها"[١].

٣. بيان الغنائم، وبشارة عظيمة للمؤمنين

ثم قال تعالى: **(وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا)**، أي جعل الله لكم أراضيهم المزروعة ومنازلهم المعمورة وأموالهم المدخرة، وأرضا أخرى لم تطأها أقدامكم بعد وهي التي ستفتح في المستقبل، بعد بني قريظة، خيبر ومكة وبلاد فارس والروم[٢].

أما عن سر ترتيب الآية : "فإن المؤمنين أولاً تملكوا أرضهم بالنزول فيها والاستيلاء عليها، ثم تملكوا ديارهم بالدخول عليهم وأخذ قلاعهم، ثم أموالهم التي كانت في بيوتهم"[٣].

وفي قوله تعالى: **(وَأَرْضاً لَمْ تَطَؤُها)**: "بشارة عظيمة للمؤمنين، بأن الله تعالى سينصرهم على أعدائهم"[٤].

وقد اختلف المفسرون في تعيين هذه الأرض: فقيل: هي أرض خيبر، وقيل: هي أرض مكة، وقيل: هي أرض فارس والروم، وقيل: هي أرض اليمن، وقيل: كل أرض تفتح إلى يوم القيامة [٥]، وتدخل تلك الأقوال تحت القول الأخير هي كل أرض تفتح إلى يوم القيامة، فلا وجه لهذه التخصيصات، بل ويجوز أن يكون الجميع مراداً، وجمهور المفسرين أنها خيبر فإن المسلمين فتحوها بعد غزوة قريظة بعام وشهر، بل ويجوز أن يكون الجميع مراداً[٦].

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٦٨٦)

(٢) التفسير المنير للزحيلي (٢١/ ٢٨٠)

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٦٤)

(٤) التفسير الوسيط، لطنطاوي (١١/ ١٩٨)

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٩٩)، تفسير القرطبي (١٤/ ١٦١)، فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣١٦).

(٦) انظر: جامع البيان، للطبري (٢٠/ ٢٥١)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٩٩)، أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٥٩)

وخَتَمَ هذه الآية بقدرته على كل شيء، فلا يعجزه شيء، «**وَكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً**»، وكان في ذلك إشارة إلى فتحه على المسلمين الفتوح الكثيرة، فكما ملكهم هذه، فكذلك هو قادر على أن يملكهم غيرها من البلاد [١].

"وهكذا تم استعراض ذلك الحادث الضخم، وقد اشتمل على السنن والقيم والتوجيهات والقواعد التي جاء القرآن ليقيمها في قلوب الجماعة المسلمة وفي حياتها على السواء، وهكذا تصبح الأحداث مادة للتربية ويصبح القرآن دليلاً وترجماناً للحياة وأحداثها، ولاتجاهها وتصوراتها، وتستقر القيم، وتطمئن القلوب، بالابتلاء وبالقرآن سواء" [٢].

خامساً: الهدايات المستنبطة من المقطع:

١. "إن النصر الحاسم للمسلمين على المشركين في غزوة الخندق والأحزاب، وعلى يهود بني قريظة ناقضي العهد نعمة عظمي تستوجب الشكر والحمد لله تعالى لأنه نصر دبره الله عز وجل بإرسال الريح والملائكة، وقد صدقت فيه عزيمة المؤمنين على خوض المعركة، والدفاع عن مدينتهم عاصمة الإسلام" [٣].

٢. "ان عاقبة الكافرين والمعادين للإسلام هي الخذلان في الدنيا والأخرة ولنا في مصير الأحزاب ومن أيدهم من اليهود عبرة" [٤].

٣. "بيان صادق لوعد الله إذ أورث المسلمين أرضا لم يكونوا قد وطئوها وهي خيبر والشام والعراق وفارس وبلاد أخرى كبيرة وكثيرة" [٥].

٤. "تقرير أن قدرة الله لا تحد أبداً فهو تعالى على كل شيء قدير لا يعجزه شيء" [٦].

٥. "الاجتهاد جائز، سواء أصاب المجتهد أو أخطأ، فقد أقرّ النبي ﷺ كلّا من الفريقين: الذي صلى العصر في الطريق إلى بني قريظة، والذي أخّر الصلاة حتى فات وقتها، عملاً بقول النبي ﷺ: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»" [٧].

٦. ضرورة الاستبشار بنصر الله والاطمئنان له.

٧. إن واجب المسلمين اليوم الأخذ بسائر الأسباب استعداداً للجهاد في سبيل الله تعالى، مع يقين تام بتحقق وعد الله بالنصر والتمكين.

---

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٨/ ٤٧١)

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٨٤٩)

(٣) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٨٠)

(٤) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن(١٠٣/٦)

(٥) أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٦١)

(٦) المرجع السابق (٤/ ٢٦١)

(٧) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٨٢)

المقطع الثامن

تخييـر النبي ﷺ لزوجاتـه
بين الدنيـا والآخرة ومقـدار عقابهن

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا } (الأحزاب: ٢٨-٣٠)

أولاً: المناسبة:

بعد أن نصر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ في غزوة الأحزاب، وفتح عليه في قريظة، ظن أزواجه رضى الله عنهن أنه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم فقعدن حوله، وقلن: يا رسول الله: "بنات كسرى وقيصر في الُحلي والحلل، ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق"، وآلمن قلبه الشريف بمطالبهن من توسعة الحال وأن يعاملهن بما يعامل به الملوك والأكابر أزواجهم، فأوحى الله إلى رسوله بهاتين الآيتين. (١)

ثانياً: سبب النزول:

عنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ، لَمْ يُؤْذَنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، قَالَ: فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ، فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ ﷺ جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ، وَاجِمًا سَاكِتًا، قَالَ: فَقَالَ: لَأَقُولَنَّ شَيْئًا أُضْحِكُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ، سَأَلَتْنِي النَّفَقَةَ، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَوَجَأْتُ عُنُقَهَا، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: «هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى، يَسْأَلْنَنِي النَّفَقَةَ»، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، كِلَاهُمَا يَقُولُ: تَسْأَلْنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ، فَقُلْنَ: وَاللهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ، ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا – أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ، ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا}**، قَالَ: فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكِ أَمْرًا أُحِبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ»، قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ، قَالَتْ: أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ؟ بَلْ أَخْتَارُ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً

(١) انظر: تفسير المراغي (٢١/ ١٥١)

مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتُ، قَالَ: «لَا تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا، إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا»[١].

ثالثاً: التحليل اللغوي:

١. **(إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)**: أي: "السعادة في الدنيا وكثرة الأموال"[٢].

٢. **(وَزِينَتَهَا)**: المراد من زينة الحياة الدنيا: "زخرفها ونعيمها"[٣].

٣. **(فَتَعَالَيْنَ)**: "أَقْبِلْنَ بإرادتكن واختياركن"[٤]، "وهو دعاء إلى الإقبال إليه"[٥]، وكان يومئذ قد اعتزلهن شهرا[٦].

٤. **(أُمَتِّعْكُنَّ)**: "من المتعة، وهي الإحسان إلى المرأة إذا طلقت"[٧]، بمعنى أن يعطي الزوج لزوجته إذا أراد أن يطلقها عطية تطيباً وجبراً لخاطرها.

٥. **(وَأُسَرِّحْكُنَّ)**: "أطلقكن".[٨].

٦. **(سَرَاحًا جَمِيلًا)**: "طلاقا حسنًا لا ضرار فيه"[٩].

٧. **(أَجْراً عَظِيماً)**: "ثواباً جزيلاً "[١٠].

٨. **(بِفَاحِشَةٍ)**: "بكبيرة" [١١]، قيل: إنها الزنى، وقيل: النشوز وسوء الخلق، وقيل: عموم المعاصي[١٢]، "وقال قوم: الفاحشة: إذا وردت معرفة فهي الزنا واللواط، وإذا وردت منكرة فهي سائر المعاصي، وإذا وردت موصوفة بالبيان فهي عقوق الزوج وفساد عشرته"[١٣].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الطلاق، باب: بَابُ بَيَانِ أَنَّ تَخْيِيرَ امْرَأَتِهِ لَا يَكُونُ طَلَاقًا إِلَّا بِالنِّيَّةِ، (ح:١٤٧٨)، (٢/ ١١٠٤)، انظر: المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة، المزيني (٢/ ٨٠٤)

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٣/ ٢٧).

(٣) تفسير المراغي (٢١/ ١٥١).

(٤) التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٧٤).

(٥) تفسير القرطبي (١٤/ ١٧٠)

(٦) تفسير العز بن عبد السلام (٣/ ٣٣٥)

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٢/ ١٥٠).

(٨) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٣/ ٢٨).

(٩) التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ١٧٤).

(١٠) بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٥٨)

(١١) التفسير الوسيط ، مجمع البحوث (٨/ ١٧٨)

(١٢) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٩٧)

(١٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٨١)

وقد استبعد بعض العلماء أن يكون المراد بالفاحشة الزنا، وذلك "لعصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، من ذلك، ولأنه وصفها بالتبيين والزنا مما يتستر به، وينبغي أن تحمل الفاحشة على عقوق الزوج وفساد عشرته" [١].

٩. **(مُبَيِّنَةٍ)**: "ظاهرة القبح والفحش" [٢].

١٠. **(ضِعْفَيْنِ)**: أي: "ضعفي عذاب غيرهن، أي: مثليه" [٣]، والمراد بالعذاب: "عذاب الآخرة" [٤]، وقيل: عذاب الدنيا والآخرة [٥].

١١. **(يَسِيرًا)**: "سهلاً" [٦].

رابعاً: البلاغة:

١. **(إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها)، (وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ)**: "بينهما ما يسمى بالمقابلة أي الطباق بين جملتين" [٧].

٢. **(فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا)**: وتقديم التمتع على التسريح؟ "من باب الكرم وحسن الخلق، وفيه قطع لمعاذيرهن من أول الأمر" [٨]، وقيل: "لأن الفرقة كانت بإرادتهن كاختيار كاختيار المخيرة نفسها" [٩].

٣. **(مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا)**: (مِنْ) للبيان لا للتبعيض؛ لأَن كلهن كن محسنات في أعمالهن آثرن الله ورسوله واليوم الآخر [١٠].

خامساً: المعنى الاجمالي:

١. تخيير النبي ﷺ لزوجاته بين الدنيا والآخرة

"لقد اختار النبي ﷺ لنفسه ولأهل بيته معيشة الكفاف، لا عجزاً عن حياة المتاع، فقد عاش حتى فتحت له الأرض، وكثرت غنائمها، وعم فيؤها، واغتنى من لم يكن له من قبل مال ولا زاد،

---

(١) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٨/ ٤٧٣)
(٢) التفسير الوسيط ، مجمع البحوث (٨/ ١٧٨)
(٣) المرجع السابق (٨/ ١٧٨)
(٤) انظر: جامع البيان، للطبري (٢٠/ ٢٥٥)
(٥) انظر: تفسير القرطبي (١٤/ ١٧٥)
(٦) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٨/ ٤٧٣)
(٧) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٨٨)
(٨) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري (٢٢/ ٤٨٤)
(٩) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٤/ ٢٣٠)
(١٠) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٢/ ١٥٠)

ومع هذا فقد كان الشهر يمضي ولا توقد في بيوته نار، مع جوده بالصدقات والهبات والهدايا، ولكن ذلك كان اختياراً للاستعلاء على متاع الحياة الدنيا ورغبة خالصة فيما عند الله"[١].

"ولكن نساء النبي ﷺ كن نساء، من البشر، لهن مشاعر البشر، وعلى فضلهن وكرامتهن وقربهن من ينابيع النبوة الكريمة، فإن الرغبة الطبيعية في متاع الحياة ظلت حية في نفوسهن، فلما أن رأين السعة والرخاء بعد ما أفاض الله على رسوله وعلى المؤمنين راجعن النبي صلى الله عليه وسلم في أمر النفقة"[٢].

فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ بأن يخيّر نساءه بين الطلاق والمتعة إن أرادوا زينة الدنيا، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال مع البقاء في عصمته إن أرادوا الآخرة[٣].

"وكان تحته يومئذ تسع نسوة، خمس من قريش وهن:(عائشة، وحفصة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أُمية)، ومن غير قريش: (صفية بنت حُيَيّ الخيبرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق)"[٤].

"فبدأ ﷺ بعائشة رضى الله عنها: فاختارت البقاء في عصمته، ثم تبعها باقي زوجاته في ذلك، فاخترن، رضي الله عنهن وأرضاهن، الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة[٥]، **وعوضهن الله تعالى على صبرهن بأمرهن بأمرين:**

أحدهما: بأن يجعلهن أمهات المؤمنين فقال تعالى: **{وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُكُمْ}** تعظيماً لحقوقهن وتأكيداً لحرمتهن، و**الثاني:** أن حظر عليهن طلاقهن والاستبدال بهن فقال **{لاَ يَحِلُّ لك النِّسَاءُ مِن بَعد ... }** الآية، فمنعه من تطليق أي واحدة منهن، وذلك من أجل أن يبقين له زوجات دائمات[٦].

٢. زوجات النبي ﷺ:[٧]

زوجات النبي ﷺ اثنتا عشرة، وهن أمهات المؤمنين، ولم يتزوج إلا بكراً واحدة هي السيدة عائشة، وكان زواجه بالأخريات تأليفاً للقلوب، ومن أجل نشر الدعوة الإسلامية، وبناء الدولة، ووحدة الكلمة، وهن:

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٢٨٥٣)

(٢) المرجع السابق (٥/ ٢٨٥٤)

(٣) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٢/ ١٥٠)

(٤) جامع البيان، للطبري (٢٠/ ٢٥٢)

(٥) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٢/ ١٥٠)

(٦) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٩٦)

(٧) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٩٣)

أ- **خديجة بنت خويلد:** أول زوجاته، تزوجها رسول الله ﷺ بمكة، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وبقيت معه إلى أن أكرمه الله برسالته فآمنت به ونصرته، وكانت له وزير صدق، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين، رضي الله عنها، في الأصح، وجميع أولاده منها إلا إبراهيم.[1]

ب- **سودة بنت زمعة:** دخل بها بمكة، وتوفيت بالمدينة.

ت- **عائشة بنت أبي بكر الصديق:** الصديقة بنت الصديق، العالمة الفقيهة راوية الحديث الكثير عن النبي ﷺ، بنى بها بالمدينة وهي بنت تسع، وبقيت عنده تسع سنين، ومات رسول الله ﷺ وهي بنت ثمان عشرة، ولم يتزوج بكراً غيرها، "وتوفيت بالمدينة، ودفنت بالبقيع، وأوصت أن يصلي عليها أبو هريرة سنة ثمان وخمسين"[2].

ث- **حفصة بنت عمر بن الخطاب:** تزوجها رسول الله ﷺ، وكانت قبله عند حبيش بن حذافة، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ وممن شهد بدراً، ثم طلّقها، فقال له جبريل: «إن الله يأمرك أن تراجع حفصة، فإنها صوّامة قوّامة» فراجعها، توفيت سنة سبع، وقيل: ثمان وعشرين.

ج- **أم سلمة، هند بنت أبي أمية بن المغيرة:** تزوجها رسول الله ﷺ من ابنها سلمة على الصحيح، توفيت سنة اثنتين وستين، ودفنت بالبقيع، وهي آخر أزواج النبي ﷺ موتاً.

ح- **أم حبيبة، رملة بنت أبي سفيان:** تزوجها رسول الله ﷺ سنة سبع من الهجرة ودخل بها بعد الهجرة بسبع سنين، وكان وكيله في زواجها عمرو بن أمية الضّمري، وقد أصدقها النجاشي عن رسول الله ﷺ أربع مائة دينار، لما مات زوجها.

خ- **زينب بنت جحش:** تزوجها بأمر الله بعد طلاقها من زوجها زيد بن حارثة، وكان اسمها برّة، فسماها رسول الله ﷺ زينب، توفيت بالمدينة سنة عشرين، ودفنت بالبقيع.

د- **زينب بنت خزيمة:** تزوجها النبي ﷺ، ثم ماتت بعد ثمانية أشهر، كانت تسمى في الجاهلية أمّ المساكين لإطعامها إياهم.

ذ- **صفية بنت حييّ:** تزوجها النبي ﷺ بعد أن أعتقها، وكانت من سبايا خيبر، اشتراها الرسول ﷺ من دحية الكلبي، توفيت سنة ست وثلاثين، وقيل: سنة خمسين.

ر- **ريحانة بنت زيد:** تزوجها الرسول ﷺ سنة ست، وماتت إثر حجة الوداع، وكان زوجها قد قتل في الحرب، فتزوجها إكراماً له ولأولاده.

ز- **جويرية بنت الحارث:** من سبايا بني المصطلق، تزوجها سنة ست من الهجرة، وكان اسمها برّة، فسماها رسول الله ﷺ جويرية، وتوفيت سنة ست وخمسين.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٤/ ١٦٤-١٦٩)

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٤٠٤)

س- **ميمونة بنت الحارث:** وهي آخر من تزوج من أمهات المؤمنين، توفيت سنة ثلاث وستين، وهي خالة خالد بن الوليد، وخالة ابن عباس.

"هؤلاء المشهورات من أزواج النبي ﷺ، وهن اللاتي دخل بهن، رضي الله عنهن، وله نساء تزوجهن ولم يدخل بهن، منهن الكلابية واسمها فاطمة أو عمرة وهي المستعيذة، وأسماء بنت النعمان بن الجون، وقتيلة بنت قيس أخت الأشعث بن قيس، وعددهن عشر، وكان له من السراري سرّيّتان: مارية القبطية وريحانة، وأما من خطبهن فلم يتم نكاحه معهن ومن وهبت له نفسها فعددهن تسع، كأم هانئ بنت أبي طالب"[١].

٣. مسائل فقهية:

اختلف العلماء في كيفية تخيير النبي ﷺ أزواجه على قولين:

القول الأول: أنه خيرهن بإذن الله في البقاء على الزوجية، أو الطلاق فاخترن البقاء، لقول عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن الرجل يخير امرأته، فقالت: قد خيّرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاخترناه، فلم يعدّه طلاقاً، ولم يثبت عن رسول الله ﷺ إلا التخيير المأمور بين البقاء والطلاق، وهذا ما رجحه الأمام القرطبي في تفسيره.

القول الثاني: أنه إنما خيرهن بين الدنيا، فيفارقهن، وبين الآخرة، فيمسكهن،، لتكون لهن المنزلة العليا، ولم يخيرهن في الطلاق [٢].

كذلك اختلف العلماء في المخيرة إذا اختارت زوجها؟ قال جمهور العلماء من السلف: إنه لو اختارت زوجها لا يقع شيء، وقيل: إن اختارت زوجها فواحدة بائنة، والصحيح الأول، لقول عائشة: خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه فلم يعده علينا طلاقاً [٣].

واختلفوا في المخيرة إذا اختارت نفسها؟ قال مالك: هي طالق ثلاثاً، وقيل: تقع طلقة بائنة [٤].

هل التخيير كان واجباً على النبي ﷺ أم لا؟ إن التخيير منه كان واجباً عليه بلا شك؛ لأنه إبلاغ الرسالة [٥].

هل المتعة في الطلاق واجبة أم لا؟ المتعة للمطلقة التي لم يُدخل بها ولم يُفرض لها في العقد، متعتها واجبة عند الإمام أبي حنيفة وأصحابه، وأما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة[٦].

مقدار عقابهن

---

(١) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٩٣)

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٤/ ١٧٠)، فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣١٧-٣١٨)

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٤/ ١٧١)

(٤) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٨١)

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٦٥)

(٦) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥٣٥)

وبعد أن خير النبي ﷺ زوجاته، وقد اخترن الله ورسوله، وجه الخطاب إلى زوجاته أمهات المؤمنين، فأدبهن أكمل تأديب وأمرهن بالتزام الفضائل، وباجتناب الرذائل، فهنّ القدوة لغيرهن من النساء، ولأنهن في بيوتهن ينزل الوحى على رسول الله ﷺ فقال: **(يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ وَكانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً)**، أي يا نساء النبي وأمهات المؤمنين من يرتكب منكن معصية كبيرة ظاهرة القبح كالنشوز وعقوق الزوج وسوء الخلق، يكون عقابها مضاعفاً، لشرف منزلتكن، وفضل درجتكن، وتقدمكن على سائر النساء، فأنتن أهل بيت النبوة، ولأن قبح المعصية منهن أشد، فالصغائر عندهن كالكبائر، وكان ذلك سهلاً يسيراً على الله الذي لا يحابى أحداً لأجل أحد، إذ كونهن نساء رسوله ليس بمغن عنهن شيئاَ، بل هو سبب لمضاعفة العذاب [١]، "فكلما تضاعفت الحرمات تضاعفت العقوبات، ولذلك ضوعف حد الحر على العبد والثيب على البكر" [٢].

فإن قيل: ما حكم الفاحشة غير المُبيّنة؟ هذا الحكم خاصٌّ بنساء النبي ﷺ، فإن حدث من إحداهن ذنب بينها وبين نفسها فهو ذنب واحد مقصور عليها، فإنْ كان علانيةً فهو مُضَاعف؛ لأنهن أسوة وقدوة [٣].

سادساً: الهدايات المستنبطة من المقطع:

١. الأدب العالي لبيت النبوة، وظهر ذلك من خلال تربيته لنسائه ﷺ على الزهد والعفة والخلق السامي.

٢. "مشروعية تخيير الزوجات فإن اخترن الطلاق تطلقن وإن لم تخترنه فلا يقع الطلاق" [٤].

٣. كمال أزواج النبي ﷺ حيث اخترن الله ورسوله والدار الآخرة عن الدنيا وزينتها [٥].

٤. بيان ما كان للنبي ﷺ من المحبة والإجلال والتقدير في نفوس زوجاته، فقد ملك قلوبهن وتعلقن به كل التعلق وفوق كل أحد، ففضلاً عن كونه رسول رب العالمين، فهو عليه الصلاة والسلام الزوج الحبيب.

---

(١) انظر: تفسير المراغي (٢١/ ١٥٤)

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ١٧٤)

(٣) انظر: تفسير الشعراوي (١٩/ ١٢٠١١)

(٤) انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٦٤)

(٥) المرجع السابق (٤/ ٢٦٤)

٥. "بيان حب النبي ﷺ لزوجه عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها حيث بدأ بتخييرها، وفيه بيان فضلها وفضل أمهات المؤمنين على غيرهن من نساء العالمين حيث إنهن اخترن رضاء الله تعالى ورضاء رسوله على متاع الدنيا الزائل" (١).

٦. "مشروعية المتعة بعد الطلاق وهي أن تعطى المرأة شيئاً من المال بحسب غنى المطلق وفقره لقوله تعالى {على الموسع قدره وعلى المقتر قدره}" (٢).

٧. بيان ما كان عليه النبي ﷺ من الزهد في الدنيا والرغبة عنها، مع أنها كانت بين يديه، ولكنه رغب في الآخرة إيثاراً لها عن الدنيا، قال الله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ (الضحى:٤).

٨. "هذه الآيات تدل على عظمة نساء النبي وشرفهن وفضلهم على غيرهن من النساء فهن لسن كأحد من النساء بشرط الالتزام التام بالتقوى" (٣).

٩. "بيان أن سيئة العالم الشريف أسوأ من سيئة الجاهل الوضيع، ولذا قالوا سيئات الأبرار حسنات المقربين" (٤).

١٠. "جعل الله ثواب عقاب أزواج النبي ﷺ عقابين، وذلك لشرف منزلتهن، وفضل درجتهن، وتقدمهن على سائر النساء أجمع" (٥).

---

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن (١٠٧/٦)

(٢) أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٦٤)

(٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن (١١١/٦)

(٤) أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٢٦٤)

(٥) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/ ٢٩٤)

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي أعاني على إتمام هذا البحث، وما هذا إلا جهد المقل، ولا أدعي فيه الكمال، فإن أصبت فمن الله تعالى، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه، وسلم، وبعد...

وبعد طول معايشة لآيات الله والتفاعل مع موضوع البحث، أعرض في الختام، أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، مع ذكر أهم التوصيات المؤمل القيام بها، وأسأل الله التوفيق والسداد.

أولاً: النتائج:

ومن أبرز النتائج:

١. أن علم المقاصد يعين القارئ على فهم كتاب الله تعالى فهماً صحيحاً، ويوصله إلى معرفة الحق في تفسير كلام الله تعالى، والتبحر في دلالاته ودقائق معانيه.
٢. سورة لقمان من السور التي عالجت موضوع العقيدة في نفوس المشركين، وتعنى بالتركيز على الأصول الثلاثة لعقيدة الإيمان، وهي الوحدانية والنبوة والبعث والنشور كما هو الحال في السور المكية.
٣. أن الإنسان مهما بلغ من العلم، فإنَّ علمه لا يكاد يذكر أمام ما يجهله ويُخفيه الله عنه.
٤. لا مساواة بين المؤمن والكافر أبداً عند الله، فليس في حكم الله وعدله ولا في ميزان العقل السليم أن يسوى في الجزاء بين المؤمن المستقيم البار الذي يعمل الصالحات والفاسق المنحرف الذي يعمل السيئات، فالمؤمن أعظم منزلة عند الله من الفاسق، ولو كان الفاسقُ أعظم جاهاً في الدنيا.
٥. اشتملت سورة الأحزاب على بعض الآداب الاجتماعية، والأحكام التشريعية وأخبار في السيرة عن غزوتي الأحزاب وبني قريظة وعن المنافقين.
٦. أنّ غزوة الخندق كانت من أشد الغزوات وأكثرها ألماً وتعباً على المسلمين، ولكنها أثمرت وأينعت عن انتصار مؤزر للمسلمين.
٧. بيان حقيقة اليهود وعدائهم للإسلام والمسلمين، ونقضهم للعهود والمواثيق، فقد أثبت التاريخ قديماً وحديثاً أنهم أهل غدر وخيانة ولا يستقيمون على عهد، ولهذا حذرنا الله تعالى عن موالاتهم ومعاونتهم ضد الإسلام والمسلمين.
٨. إن أكبر خطر يواجهه المؤمنون في كل زمان هم المنافقون وولاؤهم للكافرين.
٩. الابتلاء والامتحان سنة من سنن الله، فالله سبحانه وتعالى يبتلي عباده المؤمنين بأشد أنواع البلاء حسب درجاتهم ليرفع مقامهم عنده، **(ونبلوكم بالشر والخير فتنة)** (الأنبياء:٣٥).

١٠. حتمية الصراع والمواجهة بين قوى الإيمان وقوى الكفر، فإن الصراع بين الإيمان والكفر صراعٌ بين الحق والباطل، وإن هذا الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة.
١١. إن واجب المسلمين اليوم الأخذ بسائر الأسباب استعداداً للجهاد في سبيل الله تعالى، مع اليقين التام بتحقق وعد الله بالنصر والتمكين.
١٢. أهمية الصلاة وكثرة الدعاء وبخاصة في المواقف الحرجة، فقد كان ﷺ في غزوة الأحزاب يكثر من الصلاة، وجاءه حذيفة يخبره بخبر القوم، والرسول ﷺ يصلي في آخر الليل حتى أدخله في ردائه ﷺ من شدة البرد.
١٣. المجتمع الإسلامي يقوم على العفة والطهر، وحفظ الأعراض والأنساب.
١٤. عالمية الرسالة المحمدية، وأن أمة محمد ﷺ هي وارثة الرسالات جميعاً، وأن الإيمان برسل الله تعالى يعني تشريفهم وتكريمهم وتعظيم شأن رسالاتهم.
١٥. إن وجوه الإعجاز كثيرة ولا حصر لها، وما توصل إليه العلم هو غيض من فيض، ويعد وجه الإعجاز البياني هو المهيمن على كل الوجوه.

ثانياً: أهم التوصيات:

١. أوصي الدعاة وطلبة العلم الشرعي بالتركيز على علم المقاصد، فإنه يعين على فهم كتاب الله، وإن فهم كتاب الله وتدبره له الأثر الكبير في حياة الفرد.
٢. أوصي المؤسسات والجمعيات المهتمة في تعليم وتحفيظ القرآن الكريم، أن تجعل علم التفسير جزءاً من برامجها.
٣. حث طلبة العلم على إكمال المسيرة التعليمية، والخوض في غمار البحث العلمي، وعدم الاقتصار على مرحلة البكالوريوس، فالعلم بحر لا ينتهي.
٤. كما وأوصي بضرورة إنتاج تطبيقات متنوعة في علوم القرآن وتفسيره، على الأجهزة الحديثة بمختلف أنواعها.
٥. أن يكون القرآن الكريم مرجعاً وزاداً للمسلمين للأخذ منه في السلم والحرب، وكيفية التعامل مع العدو، ومخاطبة الآخر.

وفي الختام، أسأل الله العلي العظيم أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ويتقبله مني، وأنَّ يغفر لي زلاتي، وأن يُوفِّقَنَي ويُسدِّدَني في القول والعمل، إنَّه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على سيِّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين

الفهارس العامـــة:

أولاً: فهرس الآيــات القرآنيـــــة

ثانياً: فهرس الأحاديث النبويـــة

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

رابعاً: فهرس المصادر والمراجـــع

أولاً: فهرس الآيات القرآنية:

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة البقرة		
١	ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ	٢	٦٥
٢	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ ..	٨٣	١٥٩
٣	وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ..	١٢٥	١٦٠
٤	أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا ..	٢١٤	٢٠٠
٥	الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ..	٢٥٧	٣٣
٦	لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ ..	٢٨٦	١٤٤
	سورة ال عمران		
٧	وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلاً ..	٤٥	٨٩
٨	إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ..	٥٩	٨٢
٩	مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ..	٧٩	٩
١٠	وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ..	٨١	١٦٠
١١	ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً..	١٥٤	١٧٣
١٢	الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا ..	١٨٣	١٦١
١٣	لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ	١٩٦	٣٣
١٤	مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ	١٩٧	٣٣
	سورة النساء		
١٥	يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ..	١	١٥٦
١٦	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ..	٧٧	٥٠
١٧	أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله ..	٨٢	ب
١٨	إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم..	٩٧	٨٨
١٩	وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ..	١٣١	١٣٤
٢٠	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا ..	١٧١	٨٢
	سورة المائدة		
٢١	وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ..	١٢	١٦٠
٢٢	فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ..	١٣	١٦٠

سورة الأنعام			
٢٣	وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ ..	٣٥	١٨٣
٢٤	وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى ..	٦١	٨٩
٢٥	الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ ..	٨٢	٢٥
٢٦	أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ..	٩٠	١٩٩
٢٧	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ ..	٩٣	٨٩
٢٨	وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ	١٠٥	٩
سورة الأعراف			
٢٩	وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ..	٣٤	١٨٩
٣٠	فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ ..	١٦٩	٩
سورة الأنفال			
٣١	لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّب وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ ..	٣٧	١٧٢
سورة يونس			
٣٢	وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً ..	٩٩	٩٠
سورة يوسف			
٣٣	إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون	٢	١
سورة ابراهيم			
٣٤	وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ ..	٣٤	١٧٣
سورة الحجر			
٣٥	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ	٩	٦٤
٣٦	فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي	٢٩	٨٢
النحل			
٣٧	وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ..	٩	١٥
٣٨	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ ..	٣٦	١٥٩
سورة الإسراء			
٣٩	مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا..	١٥	٧٠
٤٠	وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ ..	٧٩	١٠٠
٤١	ويسألونك عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحَ مِنْ أَمْرِ رَبِّي..	٨٥	٣٥
سورة الكهف			

٤٢	فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا	٩٧	١٤٨
سورة مريم			
٤٣	هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا	٩٨	١٢٠
سورة طه			
٤٤	الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى	٥	٧٣
٤٥	فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا	٨٦	١٦٢
سورة الأنبياء			
٤٦	ونبلوكم بالشر والخير فتنة ..	٣٥	١٧٥، ٢٢٠
سورة الحج			
٤٧	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ ..	٥	٨٢
٤٨	وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ..	٧	٦٥
٤٩	فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية ..	٤٥	١١٨
٥٠	أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ..	٤٦	١١٨، ١٤٣
٥١	وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ	٤٧	٧٧
سورة المؤمنون			
٥٢	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ	١٢	٨٢
٥٣	ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ	١٣	٨٢
٥٤	ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ..	١٤	٨٢
سورة الفرقان			
٥٥	تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ليكون للعالمين نذيراً	١	٦٥
٥٦	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ ..	٢٥	٧١
٥٧	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ..	٣٢	٦٩
٥٨	وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا	٣٣	٦٩
سورة الشعراء			
٥٩	نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ	١٩٣	٦٩
٦٠	عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ	١٩٤	٦٩
٦١	بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ	١٩٥	٦٩
سورة النمل			
٦٢	بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ..	٦٦	٦٥

سورة الروم			
٦٣	ومن آياته أن خلقكم من تراب ..	٢٠	٨٢
٦٤	وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ..	٢٧	٢٩
٦٥	وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ..	٣٣	٢٩
٦٦	وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ..	٥٨	٢٨
سورة لقمان			
٦٧	الم	١	٢٧، ٢٨
٦٨	تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ	٢	٢٧، ٢٨
٦٩	هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ	٣	٢٧
٧٠	الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ	٤	٢٥ ، ٢٧
٧١	أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	٥	٢٧
٧٢	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ..	٦	٢٣
٧٣	وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا ..	٧	٢٨
٧٤	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ	٨	٢٣
٧٥	خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ	٩	٢٣
٧٦	خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ ..	١٠	٢٧
٧٧	هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ..	١١	٢٧
٧٨	وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ..	١٢	ز، ٢٧
٧٩	وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ ..	١٣	٢٦، ٢٧
٨٠	وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ..	١٤	٢٧
٨١	وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ..	١٥	٢٧
٨٢	يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ..	١٦	٢٧
٨٣	يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ..	١٧	٢٧
٨٤	وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا..	١٨	٢٧
٨٥	وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ..	١٩	١٤، ٢٧
٨٦	أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ..	٢٠	٢٧، ٤١
٨٧	وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا ..	٢١	٢٧
٨٨	وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ ..	٢٢	٣١
٨٩	وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ..	٢٣	٣١

٩٠	نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ	٢٤	٣١
٩١	وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ..	٢٥	٣٥، ٣٩
٩٢	لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ	٢٦	٣٥
٩٣	وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ..	٢٧	٢٥، ٣٥
٩٤	مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ	٢٨	٢٩، ٣٥
٩٥	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ..	٢٩	٤١
٩٦	ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ..	٣٠	٤١
٩٧	أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ ..	٣١	٤١
٩٨	وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ..	٣٢	٢٩، ٤١
٩٩	يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ ..	٣٣	٢٨، ٤٧
١٠٠	إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ..	٣٤	٢٦، ٢٨، ٢٩، ٤٧، ٥١، ٦١، ٦٣
سورة السجدة			
١٠١	الم	١	٦٤
١٠٢	تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ	٢	٦٤
١٠٣	أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ..	٣	٦٤
١٠٤	اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ..	٤	٧١
١٠٥	يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ..	٥	٦١، ٦٢، ٧١، ٨٠
١٠٦	ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ	٦	٦١، ٧١
١٠٧	الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ	٧	٦١، ٧١
١٠٨	ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ	٨	٧١
١٠٩	ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ ..	٩	٧١
١١٠	وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ..	١٠	٦٢، ٨٦
١١١	قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ	١١	٦٢، ٨٦
١١٢	وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ..	١٢	٨٦
١١٣	وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي..	١٣	٨٦
١١٤	فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ..	١٤	٦٠، ٨٦
١١٥	إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا ..	١٥	٩٣، ٩٧
١١٦	تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ..	١٦	٩٣، ٩٤

١١٧	فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ..	١٧	٩٣
١١٨	أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ	١٨	٥٨، ١٠٢
١١٩	أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى..	١٩	١٠٢
١٢٠	وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا ..	٢٠	٥٨، ١٠٢
١٢١	وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ..	٢١	١٠٢
١٢٢	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ..	٢٢	١٠٢
١٢٣	وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ ..	٢٣	١٠٩
١٢٤	وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ..	٢٤	١٠٩، ١١٢
١٢٥	إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ	٢٥	١٠٩
١٢٦	أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ ..	٢٦	١١٥
١٢٧	أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ..	٢٧	٦١، ١١٥
١٢٨	وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ	٢٨	١١٥
١٢٩	قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ	٢٩	١١٥
١٣٠	فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ	٣٠	٦١، ١١٥، ١٢٨، ١٣٠
سورة الأحزاب			
١٣١	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ..	١	١٣٠
١٣٢	وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا	٢	١٣٠
١٣٣	وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا	٣	١٣٠
١٣٤	مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ..	٤	١٣٩
١٣٥	ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ..	٥	١٣٩
١٣٦	النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ..	٦	١٣٩، ١٥٤
١٣٧	وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ ..	٧	١٥٨
١٣٨	لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا	٨	١٥٨
١٣٩	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ..	٩	١٦٣
١٤٠	إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ..	١٠	١٦٣
١٤١	هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا	١١	١٦٣
١٤٢	وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ..	١٢	١٧٥
١٤٣	وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَاأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ..	١٣	١٧٥

١٤٤	وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا..	١٤	١٧٥
١٤٥	وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ..	١٥	١٧٥
١٤٦	قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ..	١٦	١٧٥
١٤٧	قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ..	١٧	١٧٥
١٤٨	قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ ..	١٨	١٧٥
١٤٩	أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ ..	١٩	١٧٥
١٥٠	يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ ..	٢٠	١٧٥
١٥١	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ ..	٢١	١٩٦
١٥٢	وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا ..	٢٢	١٩٦
١٥٣	مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ..	٢٣	١٢٥، ١٩٦
١٥٤	لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ ..	٢٤	١٩٦
١٥٥	وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ..	٢٥	٢٠٤
١٥٦	وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ ..	٢٦	٢٠٤
١٥٧	وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا ..	٢٧	٢٠٤
١٥٨	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ..	٢٨	٢١١
١٥٩	وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ ..	٢٩	٢١١
١٦٠	يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ..	٣٠	٢١١
سورة سبأ			
١٦١	وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ..	٤٤	٩
سورة فاطر			
١٦٢	وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إلا خَلَا فِيهَا نَذِير	٢٤	٦٩
١٦٣	ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ..	٣٢	١٥
سورة يس			
١٦٤	إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ..	٨٢	٣٨
سورة الصافات			
١٦٥	وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المرسلين	١٧١	١٣٥
١٦٦	إِنَّهُمْ لَهُمُ المنصورون	١٧٢	١٣٥
١٦٧	وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الغالبون	١٧٣	١٣٥
سورة ص			

١٦٨	وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ ..	٢٧	٣٧
١٦٩	أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ ..	٢٨	١٠٧
١٧٠	كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ	٢٩	١٩
سورة الزمر			
١٧٢	الله يتوفى الأنفس حين موتها ..	٤٢	٨٨
سورة فصلت			
١٧٣	قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ..	٩	٧٧
١٧٤	وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا ..	١٠	٧٧
١٧٥	ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ..	١١	٧٧
١٧٦	فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ ..	١٢	٧٧
سورة الشورى			
١٧٧	فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ..	١١	٧٩
١٧٨	وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا ..	١٤	٦٦
سورة الجاثية			
١٧٩	أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا..	٢١	١٠٥
سورة محمد			
١٨٠	فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ..	٢٧	٩٠
سورة النجم			
١٨١	الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ..	٣٢	٥٢
سورة الرحمن			
١٨٢	هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ	٦٠	٢٠٠
سورة الواقعة			
١٨٣	إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ	٧٧	٦٥
١٨٤	فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ	٧٨	٦٥
١٨٥	فلولا إذا بلغت الحلقوم	٨٣	١٦٨
سورة الحديد			
١٨٦	وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ ..	٨	١٥٩
سورة المجادلة			
١٨٧	قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ..	١	١٤٨

١٨٨	الَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسائِهِمْ ما هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ..	٢	١٤٨
١٨٩	وَالَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا ..	٣	١٤٨
١٩٠	فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ..	٤	١٤٨
سورة الحشر			
١٩١	لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ..	٢٠	١٠٧
سورة الصف			
١٩٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ..	١٤	١٤٩
سورة التغابن			
١٩٣	فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا	٨	٦٥
سورة المعارج			
١٩٤	تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ ..	٤	٨٠
سورة الإنسان			
١٩٥	إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ..	٢٣	١
سورة النبأ			
١٩٦	إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا	٢٧	٣٣
١٩٧	وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا	٢٨	٣٣
سورة عبس			
١٩٨	يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ	٣٤	٤٨
١٩٩	وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ	٣٥	٤٨
سورة البروج			
٢٠٠	بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ	٢١	٦٩
٢٠١	فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ	٢٢	٦٩
سورة الضحى			
٢٠٢	وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى	٤	٢٢٠
سورة القدر			
٢٠٣	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ	١	٦٨
سورة العصر			
٢٠٤	وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ	٣	١١١

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية:

م	الحديث	الراوي	رقم الصفحة
١	اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول ..	صحيح البخاري	١٩٢
٢	أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ، كَلِمَةُ لَبِيدٍ ..	صحيح البخاري	٤٥
٣	أفضل الصلاة، بعد الصلاة المكتوبة..	صحيح مسلم	٩٨
٤	ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جُنَة..	سنن ابن ماجه	٩٧
٥	أن النبي ﷺ قام يوماً يصلي فخطر خطرة ..	سنن الترمذي	١٣٨
٦	أن ملك الموت إذا أخذ روح الميت أخذها ..	مسند أحمد	٨٨
٧	أَنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ فقالت: أَلست ..	صحيح مسلم	٩٨
٨	آية المنافق ثلاث إذا حدَّث كذب ..	صحيح البخاري	١٨٣
٩	جاءت خولة بنت ثعلبة، تشكو زوجها تقول ..	سنن ابن ماجه	١٤٨
١٠	دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ..	صحيح مسلم	٢١٠
١٠	عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ..	صحيح مسلم	٤٦
١١	عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ..	السنن الكبرى للبيهقي	٩٨
١٢	غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر ..	صحيح البخاري	١٩٥
١٣	فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف..	صحيح البخاري	١٢٤
١٤	فيأتون آدم .. ثم موسى عليهما السلام، فيقول..	صحيح مسلم	٨٢
١٥	قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنِي أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي ..	صحيح مسلم	٩٩
١٦	القَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا	صحيح البخاري	١٥
١٧	كانَ النَّبِيُّ لا يَنَامُ حتَّى يَقرَأَ (الم تنزيل) ..	صحيح البخاري	٥٦
١٨	كَانَ النبي يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ..	سنن ابن ماجه	٥٦
١٩	كانَ النبي يَقرَأُ فِي صَلاةِ الفَجرِ يَومَ الجُمُعَةِ ..	صحيح البخاري	٥٩
٢٠	كان رسول الله ﷺ يصلّي بنا الظُّهر، فنسمَعُ ..	سنن النسائي	٢٦
٢١	كُنَّا نَحزِرُ قِيامَ رَسُولِ اللهِ فِي الظُّهرِ وَالعَصرِ..	صحيح مسلم	٥٩

٢٢	لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ	سنن الترمذي	ز
٢٣	لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من..	صحيح البخاري	١٥٢
٢٤	لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك..	صحيح البخاري	١٥٢
٢٥	الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين	صحيح مسلم	١٩٣
٢٦	اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَورَتَنَا وَآمِن رَوْعَتَنَا..	مسند أحمد	١٦٣
٢٧	اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ..	صحيح البخاري	٣٩
٢٨	اللهُمَّ، مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ ..	صحيح البخاري	٢٠٦
٢٩	لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ..	سنن الترمذي	٥٠
٣٠	مَفَاتِحَ الغَيبِ خَمسٌ، لا يَعلَمُهُنَّ إلا اللهُ، ثُمَّ قَرَأَ ..	صحيح البخاري ومسلم	٢٦
٣١	لَيسَ ذَاكَ، إنَّمَا هُوَ الشِّركُ، ألم تَسمَعُوا ..	صحيح البخاري ومسلم	٢٦
٣٢	ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد ابن محمد ..	سنن الترمذي	١٤٠
٣٣	مَفَاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ ..	صحيح البخاري	٤٧
٣٤	مَوْضِعُ سَوطِ في الجنة خَيْرٌ مِن الدنيا ..	صحيح البخاري	٣٤
٣٥	نزلت في انتظار هذه الصلاة التي تدعى العتمة	سنن الترمذي	٩٣
٣٦	نُصِرْتُ بِالصّبَا وأُهْلِكَت عَادٌ بِالدَّبُورِ	صحيح مسلم	١٦٣

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم:

م	أسماء الأعلام	رقم الصفحة
١	أحمد الريسوني	١٦
٢	الأصمعي	١٠
٣	جميل بن معمر الفهري	١٣٩
٤	الجوهري	١٠
٥	خالد بن معدان	٥٧
٦	علال الفاسي	١٦
٧	معتب بن قشير	١٧٥
٨	نعيم بن حماد	٧٧
٩	نور الدين الخادمي	١٦
١٠	يوسف حامد العالم	١٧

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع:

أولاً: التفاسير

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الأساس في التفسير: لسعيد حوَّى/دار السلام/ القاهرة/ ط/٢/١٩٨٩م.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ط ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل: القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق : محمد صبحي حلاق ود. محمد أحمد الأطرش، دار الرشيد ومؤسسة الإيمان، ط ١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

أوضح التفاسير: محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: ١٤٠٢هـ)، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ – فبراير ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ١

أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٥، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق : علي محمد معوض وآخران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق : صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط ١٤٢٠هـ

تبصير الرحمن وتيسير المنان: علي المهايمي، مطبعة بولاق، ط ١.

التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ.

تفسير الإمام مجاهد بن جبر: مكتبة الفلاح/ الكويت، ط/١/٢٠٠٣م.

التفسير البسيط: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري الشافعي، تحقيق : جامعة الإمام محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي، ط ١، ١٤٣٠هـ.

تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث، القاهرة، ط ١.

التفسير الحديث: محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط ١٣٨٣هـ.

تفسير الشعراوي– الخواطر: المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع

أخبار اليوم، عدد الأجزاء: ٢٠
تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣ هـ، عدد الأجزاء: ٣
تفسير العز بن عبد السلام: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٣
تفسير القرآن العظيم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد ابن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار الباز، السعودية، ط ٣، ١٤١٩هـ.
تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق : مصطفى السيد محمد وآخرون، مؤسسة قرطبة ومكتبة أولاد الشيخ، ط ١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
تفسير القرآن الكريم، الإمام الكبير محمود شلتوت، دار الشروق، الطبعة التاسعة ،١٤٠٢هـ، ١٩٨٢،
التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.
تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي/ تحقيق/ الشيخ محمد بيومي والأستاذ عبد الله المنشاوي/ مكتبة الإيمان/المنصورة/ بدون طبعة.
تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١٠.
تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، ط ١، ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.
التفسير المظهري: محمد ثناء الله المظهري، تحقيق : غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، الباكستان.
التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط ٢، ١٤١٨هـ.
التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن بإشراف أ. د. مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، ط ١، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.
التفسير الواضح: محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد، بيروت، ط ١٠، ١٤١٣هـ.
التفسير الوسيط للزحيلي: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤٢٢هـ.
التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧م.
تفسير يحيى بن سلام: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم

الإفريقي القيرواني (المتوفى: ٢٠٠هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ٢

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

التيسير في أحاديث التفسير: محمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، عدد الأجزاء: ٦.

جامع البيان في تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي الطبري، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق : الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.

حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، مراجعة : هاشم مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الشهير بالسمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

روائع البيان تفسير آيات الأحكام: محمد علي الصابوني/مؤسسة مناهل العرفان/بيروت، ط/٣/١٩٨٠م.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق : علي عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.

زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.

زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة **(المتوفى: ١٣٩٤هـ)**، دار النشر: دار الفكر العربي، عدد الأجزاء: ١٠

السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥ هـ، عدد الأجزاء: ٤

صفوة التفاسير: لمحمد علي الصابوني/ دار القرآن الكريم/ بيروت، ط/٤/١٩٨١م.

غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق : الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ.

فتح البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، تحقيق : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت.
فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق وبيروت، ط ١، ١٤١٤هـ.
الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية: سليمان الجمل، المطبعة العامرة الشرقية، مصر، ١٣٠٢هـ.
في رحاب التفسير لعبد الحميد كشك: المكتب المصري الحديث القاهرة، ط/ ١ / ١٩٨٨م.
في ظلال القرآن : سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، بيروت والقاهرة، ط ١٧، ١٤١٢هـ.
الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ.
الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق : الطاهر بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
لباب التأويل في معاني التنزيل: أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد الشيحي المعروف بالخازن، تحقيق : محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق : إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط ٣.
مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر: إعداد الشيخ مجدي السيد وآخرون / تفسير القرآن الكريم للأطفال، / بإشراف / دار الصحابة للتراث/طنطا، ط/٤/٢٠٠٢م.
محاسن التأويل : محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد حافظ الدين النسفي، تحقيق : يوسف علي بديوي، تقديم : محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ –

١٩٩٨م.
معالم التنزيل: لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوي/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ ط/١/ ١٩٩٣م.
معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق : محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط ٤، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.
معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، تحقيق : أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط ١.
مفاتيح الغيب التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.
الموسوعة القرآنية: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، مؤسسة سجل العرب، ط ١٤٠٥هـ.
النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، تحقيق : صفوان عدنان داوودي، دار القلم والدار الشامية، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
اللباب في علوم الكتاب، لابي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان
تفسير ابن فورك، محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (المتوفى: ٤٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير)، عدد الأجزاء: ١
التفسير الموضوعي للقرآن الكريم : د. أحمد السيد الكومي ود. محمد أحمد القاسم، ط ١، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢.
تفسير جزء عم للشيخ، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الثامنة، ١٤٣٠ هـ، عدد الأجزاء: ١

ثانياً: علوم القرآن

الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي/ دار الحديث/ القاهرة، مجلدان/ ط/١/٢٠٠٤م.

أسباب النزول: أبو الحسن على بن أحمد الواحدي / دار المعرفة بيروت، ط/١/٢٠٠١م.

الاستيعاب في بيان الأسباب: «أول موسوعة علمية حديثية محققة في أسباب نزول آي القرآن الكريم»، المؤلف: سليم بن عيد الهلالي (و) محمد بن موسى آل نصر، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ، عدد الأجزاء: ٣

أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، عدد الأجزاء: ١

إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين درويش، دار ابن كثير للطباعة والنشر/ بيروت، ط/٨/٢٠٠١م.

إعراب القرآن وبيانه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم : د. عبد الله محمود شحاته، المكتبة العصرية، ١٩٧٦م.

أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، د. عبدالله محمود شحاتة/الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة/ بدون طبعة.

بحوث في أصول التفسير ومناهجه، للدكتور: فهد عبدالرحمن بن سليمان الرومي ، مكتبة التوبة، الطبعة الرابعة ١٤١٩هـ.

البداية في التفسير الموضوعي "دراسة منهجية موضوعية" – الدكتور عبد الحي الفرماوي – مطبعة الحضارة العربية – ط ٢ – ١٣٩٧ هـ – ١٩٧٧م.

البدور الزاهرة في الق راءات العشر المتواترة، لأبي حفص عمر بن قاسم سراج الدين النشار، ١٥٣١هـ، ٩٣٨م.

البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي/ تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم.

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : مجد الدين أبو طاهر محمد ابن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق : محمد علي النجار، إحياء التراث، القاهرة، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

البيان في عد آي القرآن، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: غانم قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت.

تبصير الرحمن وتيسير المنان، على بن أحمد بن ابراهيم المهايمي، المتوفى سنة ٨٣٥هـ، عالم

الكتاب، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
التبيان في آداب حملة القرآن: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، حققه وعلق عليه: محمد الحجار، الطبعة: الثالثة مزيدة ومنقحة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان
تسهيل الوصول في معرفة أسباب النزول، الجامع بين روايات الطبري والنيسابوري وابن الجوزي والقرطبي وابن كثير والسيوطي، الشيخخالد عبدالرحمن العك، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م،
الجدول في إعراب القرآن، المؤلف: محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، الناشر: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ
حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، عدد الأجزاء: ١، الناشر: دار الرسالة
الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، الناشر: دار الشروق - بيروت
الحجة للقراء السبعة، المؤلف: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ)، المحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ٧
الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، عدد الأجزاء: ٨
دراسات في علوم القرآن، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١
شرح طيبة النشر في القراءات العشر : أبو القاسم محمد بن محمد بن محمد بن علي ابن الجزري / تقديم وتحقيق د. مجدي محمد سرور سعد باسلوم/ دار الكتب العلمية/ بيروت، ط/١/٢٠٠٣م.
شرح طيبة النشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١
الكشف عن وجوه القراءات، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي ٣٥٥- ٤٧٣هـ، تحقيق الدكتور محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت- شارع سوريا،

لباب النقول في أسباب النزول : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي/ مكتبة الصفا/ القاهرة/ ط/١/٢٠٠٢م.

مباحث في التفسير الموضوعي : مصطفى مسلم، دار القلم، ط ٤، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

مباحث في علوم القرآن، مناع القطان / مكتبة وهبة/ القاهرة، ط/١٠/١٩٩٧م.

مجمع البيان في تفسير القرآن: إبراهيم شمس الدين الطبرسي، دار الكتب العلمية، ط١

المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة، د. خالد بن سليمان المزيني ، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، محرم ١٤٧٢هـ.

مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور : إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق : صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤١٢هـ.

مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبدالعظيم الزرقاني/ دار الكتب العلمية/ بيروت، ط/١/٢٠٠٣م.

مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط ٣.

النشر في القراءات العشر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري محمد بن محمد بن يوسف، تحقيق : علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.

نظم الدرر في تناسب الآيات السور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

نواسخ القرآن = ناسخ القرآن ومنسوخه، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: أبو عبد الله العاملي السّلفي الداني بن منير آل زهوي، الناشر: شركه أبناء شريف الأنصارى – بيروت.

ثالثاً: كتب السنة النبوية

الأدب المفرد: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ٣، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

سنن ابن ماجه: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م.

سنن الترمذي: وهو الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه المعروف بجامع الترمذي، للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حكم وعلق على

أحاديثه: المحدث ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع/ الرياض ط/١/١٤١٧هـ.
السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
سنن النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، دار المعرفة، بيروت، ط ٥، ١٤٢٠هـ.
صحيح البخاري: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. محمد تامر، دار البيان العربي/ القاهرة، ط/١/٢٠٠٥م.
صحيح مسلم: للإمام أبي حسين مسلم بن حجاج القشيري/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ط/٢/١٩٧٢م.
فضائل الصحابة: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: د. وصي الله محمد عباس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت
مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م.
مسند الدارمي: أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني ودار ابن حزم، الرياض وبيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.
فتح الباري : أحمد بن حجر العسقلاني/ تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي/ دار مصر للطباعة/ القاهرة، ط/١/٢٠٠١م.

رابعاً: المعاجم واللغة

الإصابة في تمييز الإصابة : لأبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ط/١/١٣٢٨هـ.
إيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو ٥٥٠هـ)، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت
تاج العروس من جواهر القاموس : أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق : مجموعة من المحققين، دار الهداية.
تفسير غريب القرآن، كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري، الناشر: دار بن حزم ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨، عدد الأجزاء: ١
تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد

عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٨.

جمهرة اللغة : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق : رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق : مكتب تحقيق التراث بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٨، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية): أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الحنفي، تحقيق : عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

لسان العرب : أبو الفضل محمد بن مكرم بن على جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.

مختار الصحاح : زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية والدار النموذجية، بيروت، ط ٥، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

معجم اللغة العربية المعاصرة، د.أحمد مختار عبد الحميد عمر، (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن، حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ – ٢٠٠٨ م

المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت.

خامساً: مراجع عامة

الاجتهاد المقاصدي حجيته .. ضوابطه .. مجالاته، نور الدين بن مختار الخادمي، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر، أصدر ضمن سلسلة دورية تصدر كل شهرين تسمى بـ (كتاب لأمة)، الطبعة الأولى: ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

الاجماع، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى : ٣١٩هـ)، المحقق : فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة : الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، عدد الأجزاء: ١

أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجعه وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء:٤

أرشيف ملتقى أهل التفسير

الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي

الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، المؤلف: عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: ١٤١٩هـ)، الناشر: دار المعارف، الطبعة: الثالثة

الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م

إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، عدد الأجزاء: ٢

أهداف التربية الإسلامية، د ماجد عرسان الكيلاني الأردني، الناشر: دار القلم، الطبعة: الأولى

الأهداف السلوكية، للدكتور: مهدي محمود سالم، مكتبة العبيكان، السعودية، ١٤١٨هـ، الطبعة الأولى

الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عبد الحميد الأثري ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، مدار الوطن للنشر.

بيان المعاني، لعبد القادر ملا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، مطبعة الترقي – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م

التتار من البداية إلى عين جالوت، راغب السرجاني، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية

تجريد التوحيد، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، المحقق: طه محمد الزيني، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة

تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث – القاهرة، رقم الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩ م

التربية الجهادية، منير الغضبان ، دار الوفاء، الطبعة السادسة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م،
التوحيد وأثره في حياة المسلم، لحمد الحريقي ، الناشر: دار الوطن، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م
التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٣هـ، عدد الصفحات: ١٧٣، عدد الأجزاء: ١
الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبي القاسم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن حسن – عبد العزيز بن إبراهيم – حمدان بن محمد، الناشر: دار العاصمة، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٦
الجواب الكافي، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١
الحق الواضح المبين، عبدالرحمن بن ناصر آل سعدي ، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م
دراسة في فقه المقاصد بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، الطبعة الثالثة ٢٠٠٨م.
دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٠٥ هـ، عدد الأجزاء: ٧عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، للسمين الحلبي
الرحيق المختوم : صفي الرحمن المباركفوري / دار الوفاء/ المنصورة/ ط/٢٠٠٤م.
الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، الناشر: دار الهلال – بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: ١
روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت
روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– عمان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ١٢
سورة القصص دراسة تحليلية، د. محمد مطني

السيرة النبوية : أبو الفداء إسماعيل ابن كثير / دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ بدون طبعة.
السيرة النبوية لابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحِمْيَرِي / تحقيق وضبط مصطفى السقا، وإبراهيم الابياري، وعبد الحفيظ شلبي، تراث الإسلام.
شأن الدعاء، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، المحقق: أحمد يوسف الدّقاق، الناشر: دار الثقافة العربية
شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ)، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: السادسة، ١٤٢١ هـ
شرح المعتمد في أصول الفقه، محمد حبش، مع مقدمة: للدكتور محمد الزحيلي
شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م
صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، الناشر: الدرر السنية – دار الهجرة، الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٦ م، عدد الأجزاء: ١
علم المقاصد الشرعية، د. نور الدين بن مختار الخادمي، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
علم مقاصد السور، د.محمد بن عبدالله الربيعة، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ، ٢٠١١م، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر.
فتاوى الشبكة الإسلامية، المؤلف: لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية
فتاوى نور على الدرب، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)
قواعد المقاصد عن الإمام الشاطبي عرضاً ودراسة وتحليلاً، د. عبد الرحمن إبراهيم الكيلاني، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولي، ١٤١٢هـ، ٢٠٠٠م.
كتاب المنهاج في شعب الإيمان، أبي عبدالله الحسين بن الحن الحليمي، المتوفى سنة ٤٠٣هـ، ١٠١٢م، تحقيق حلمي فوره، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المؤلف: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، عدد الأجزاء: ٩٥ جزءاً.

مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المؤلف: الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، الناشر: موقع الجامعة على الإنترنت، عدد الأجزاء: ١٢٠ عددًا، أعده للشاملة: أسامة بن الزهراء

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت

المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، أحمد عمر أبو شوفة، الناشر: دار الكتب الوطنية – ليبيا، عام النشر: ٢٠٠٣، عدد الأجزاء: ١

المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، أحمد عمر أبو شوفة، الناشر: دار الكتب الوطنية – ليبيا، عام النشر: ٢٠٠٣ن عدد الأجزاء: ١

المغني، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، عدد الأجزاء: ١٠، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م

مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

مقاصد الشريعة : محمد الطاهر ابن عاشور / البصائر للإنتاج العلمي/ ط/١/١٩٩٨م.

المقاصد العامة للشريعة الإسلامية : د. يوسف حامد العالم /المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الرياض، ط/٢/١٩٩٤م.

من آيات الاعجاز العلمي، الدكتور زغلول راغب محمد النجار، مكتبة الشروق الدولية ، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ، مارس ٢٠٠٧م.

النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: محمد بن عبد الله دراز (المتوفى : ١٣٧٧هـ)، اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية، قدم له : أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، الناشر : دار القلم

نظرية المقاصد عند الشاطبي، د. أحمد الريسوني، الناشر: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط٢ - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م

الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)

http://www.raissouni.ma